**كلية الآداب**

**دائرة اللغة العربية وآدابها**

# دلالات التَّناسب اللّغوي في صحيح البخاري: دراسة تحليليّة أسلوبيّة

# Linguistic Suitability in Sahih AL- Bukhari: An Analytical Stylist Study

**إعداد**

**غادة محمد عمر قنديل**

1135090

**إشراف:**

**د. مشهور موسى مشهور مشاهرة**

**قدمت هذه الرِّسالة استكمالًا لنيل درجة الماجستير في برنامج اللغة العربية وآدابها**

**جامعة بيرزيت**

**الفصل الأول2017 م – 1438هـ**

# الإهداء

إلى من لهما الفضل بعد الله، والديَّ الكريمين أطال الله بقاءهما، ومتعهما بالصحة والعافية.

إلى من كان لي دعاؤه سندًا، زوجي الوفي الفاضل حبًا وعرفانًا.

إلى بُنَيّاتي الحبيبات سارة وبتول وسلمى ومريم.

إلى من رحلوا وما زالت ذكراهم باقية في قلوبنا، والديْ زوجي رحمهما الله.

إلى هؤلاء جميعًا، أهدي جهدي المتواضع، تقديرًا واعترافًا بالفضل.

## الشُّكر والعرفان

إنَّ واجب الشكر والتقدير يَدفعني أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور مشهور موسى مشهور مشاهرة الذي أولاني عناية خاصة، وتفضل بالإشراف على هذا البحث، فكان نعم المشرف والمتابع، كما أقدم الشكر الجزيل إلى الأستاذين الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة: الدَّكتور حاتم جلال، والدَّكتور نصر الله الشاعر على تحملهم قراءة هذه الرّسالة، وتقويم خللها، وسد نقصها، فجزاهم الله عني خير الجزاء، وجعل جهدهم في ميزان أعمالهم.

# فهرست المحتويات


الإهداء.....أ

الشُّكر والعرفان.....ب

فهرست المحتويات.....ج

ملخص الرسالة.....ز

Abstract.....ح

المقدمة .....1

التَّمهيد.....10

ترجمة البخاري: .....10

التَّعريف بالجامع الصحيح .....15

الفصل الأول: التَّناسب الدِّلالي في الجامع الصحيح.....21

المبحث الأول: وجوه التَّناسب الدِّلالي بين أبواب الجامع الصحيح. .....22

المطلب الأول: التَّناسب على أساس التَّكميل والتَّوضيح. .....23

المطلب الثَّاني: التَّناسب على أساس التَّفصيل بعد الإجمال. .....26

المطلب الثَّالث: التَّناسب على أساس السُّؤال والاستفسار.....30

المطلب الرَّابع: التَّناسب على أساس بيان الحكم.....32

المطلب الخامس: التَّناسب على أساس المقابلة.....35

المطلب السادس: التَّناسب على أساس التَّأكيد.....37

المبحث الثَّاني: وجوه التَّناسب في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة.....41

المطلب الأول: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشَّريف وما قبله مباشرة. ..... 42
المطلب الثَّاني: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشَّريف وما بعده مباشرة. ..... 45
المطلب الثَّالث: التَّناسب بين الحديث النَّبوي وما يأتي قبله عمومًا..... 48
المطلب الرابع: التَّناسب بين الحديث النَّبوي وما يأتي بعده عمومًا. ..... 51
المطلب الخامس: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشَّريف والكتاب الذي جاء فيه. ..... 53
المطلب السَّادس: التَّناسب في اختيار الحديث النَّبوي الشَّريف الخاتم لكل كتاب..... 54
المطلب السّابع: التَّناسب بين آخر الحديث النّبوي الشّريف وأوله. ..... 58

الفصل الثَّاني: التَّناسب اللغوي في الجامع الصحيح..... 62
المبحث الأول: التَّناسب في المستوى الصَّوتي. ..... 63
توطئة:..... 64
المطلب الأول: التَّناسب في صفات الأصوات المتضادة..... 66
التَّناسب في صفات الأصوات المجهورة:..... 66
التَّناسب في صفات الأصوات المهموسة: .....71
التَّناسب في صفات الأصوات المفخمة: ..... 76
التَّناسب في صفات الأصوات المرققة: ..... 81
التَّناسب في صفات الأصوات المفردة: ..... 84
التَّناسب في ظاهرة التَّفشي:..... 84
التَّناسب في أصوات القلقلة:..... 86
المطلب الثاني: التَّكرار الصَّوتي ودلالاته التناسبية..... 90
المطلب الثَّالث: الجناس ودلالاته التناسبية..... 96

**المبحث الثاني: التَّناسب في المستوى الصرفي..... 105**
**توطئة:..... 106**
**المطلب الأول: بنية الأفعال الثلاثية المزيدة ودلالاتها التناسبية. ..... 107**
**العدول الصرفي في صيغ الأفعال والدلالات التَّناسبية..... 119**
**المطلب الثَّاني: بنية الأسماء ودلالاتها التَّناسبية..... 127**
**الدِّلالات التَّناسبية للمشتقات ..... 127**
**اسم الفاعل ودلالاته التَّناسبية..... 128**
**اسم المفعول و دلالاته التَّناسبية:..... 132**
**صيغ المبالغة ودلالاتها التَّناسبية: ..... 135**
**المطلب الثَّالث: الدِّلالات التَّناسبية لأبنية المصادر:..... 140**
**المصدر الميمي ودلالاته التَّناسبية: ..... 141**
**مصدر المرة ودلالاته التَّناسبية:..... 145**
**المبحث الثَّالث: التَّناسب في المستوى النَّحوي..... 148**
**توطئة:..... 149**
**المطلب الأول: التَّقديم والتَّأخير ودلالاته التَّناسبية..... 150**
**التَّناسب في تقديم المسند إليه: ..... 151**
**التَّناسب في تقديم المسند: ..... 156**
**التَّناسب في تقديم متعلقات الفعل: ..... 161**
**المطلب الثاني: الإظهار في موضع الإضمار ودلالاته التناسبية ..... 167**
**الإضمار في موضع الإظهار ودلالاته التَّناسبية:..... 173**

**المبحث الرَّابع: التَّناسب الأسلوبي..... 176**

**توطئة:..... 177**

**المطلب الأول: التَّنكير ودلالاته التَّناسبية:..... 179**

**المطلب الثَّاني: التَّعريف ودلالاته التَّناسبية:..... 189**

**التَّناسب في التَّعريف بإلاضافة:** ..... 190

**التَّناسب في التَّعريف باسم الإشارة.** ..... 195

**التَّناسب في التَّعريف بـ (أل):**..... 201

**المطلب الثَّالث: الحذف ودلالاته التَّناسبية:..... 205**

**التناسب في حذف المسند إليه ( المبتدأ) :**..... 207

**التَّناسب في حذف المفعول به:** ..... 216

**الخاتمة..... 225**

**فهرست الآيات القرآنية..... 228**

**فهرس الأحاديث النبوية الشريفة..... 231**

**قائمة المصادر والمراجع..... 244**

# دلالات التَّناسب اللّغوي في صحيح البخاري: دراسة تحليليّة أسلوبيّة

## ملخص الرسالة

إعداد: غادة محمد عمر قنديل

المشرف: الدكتور مشهور موسى مشهور مشاهرة

**تناولت هذه الدِّراسة الحديث عن دلالات التناسب اللغوي في أحاديث صحيح البخاري دراسة تحليلية أسلوبية، وما تتضمنه هذه الأحاديث النبوية الشريفة من نظم نبوي بديع، وتناسق بلاغي دقيق.**

وقد جاءت هذه الدِّراسة في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة تعرض أهم النتائج، تناولت المقدمة دوافع الكتابة في هذا الموضوع، وتوضيح المنهج المتبع والأهداف المرجوة من كتابتها، ومن ثم أتت في محورها الأول على ترجمة للإمام البخاري، وكتابه الجامع الصحيح، والوقوف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لعلم المناسبة، وأهميته في فهم المعنى، وإبراز أوجه الدلالة، وكان ذلك في تمهيدها.

وجرى الحديث بعدها عن التناسب الدلالي في الجامع الصحيح في الفصل الأول من الدراسة وكان ذلك في مبحثين، ومجموعة من المطالب التي اعتمد فيها الباحث على التمثيل والتحليل لإبراز أوجه المناسبات القائمة على تعدد الروابط والعلاقات.

واختص الفصل الثاني من الدراسة بدراسة التناسب اللغوي في صحيح البخاري، وذلك بأربعة مباحث، هي: التناسب في المستوى الصوتي، والتناسب في المستوى الصرفي، والتناسب في المستوى النحوي، والتناسب في المستوى الأسلوبي، ومن ثم الخاتمة وما فيها من نتائج وتوصيات.

# Abstract

**Prepared by:** Ghada Mohammad Omar Qandil
**Supervisor:** Dr. Mashhour Musa Mashhour Mashahreh

This study has addressed the topic of denotations of linguistic proportionality in the prophetic traditions (hadith) of Sahih Al-Bukhari; an analytical stylistic study, and it has also addressed the magnificent prophetic composition and miraculous rhetorical symmetry which distinguish these prophetic traditions.

This study includes an introduction, preface, two chapters, and conclusion which includes the main results. The introduction addresses the reasons for writing about this topic, and clarifies the adopted methodology and the desired objectives. Then, the preface includes a translation of Imam Al-Bukhari's book "Al-Jami' Al-Sahih" and discusses the linguistic and terminological meaning of the science of relevance and its importance for understanding the meaning as well as revealing the types of denotation.

The first chapter of the study discusses the denotation proportionality in "Al-Jami' al-Sahih" in two sections, and the researcher has depended on representation and analysis for revealing the types of relevance which are based on the variety of connections and relations.

The second chapter studies the linguistic proportionality in Sahih Al-Bukhari in terms of three topics: proportionalityin the phonetic level, proportionality in the morphological level and proportionality in the stylistic level. The conclusion includes the results and recommendations.

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد –ρ– وتكفل بحفظه إلى يوم الدين، وجعل رسوله –ρ– إمامًا يقتدى به، وشرفه برسالة الدّين الإسلامي، وجعل من تتمة حفظه حفظ سنة سيدنا محمد –ρ– رحمة وحسنة لحياة المسلمين أجمعين، وبعد،

فإن أشرف ما تشتغل به النَّفس الإنسانية، وأنبل ما تعكف عليه القلوب النَّبيلة، خدمة كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله –ρ–؛ فالانشغال بهما من أشرف الأعمال وأجلها، وأعلى المعارف وأرقاها.

فالسُّنة النَّبوية الشَّريفة صنو القرآن الكريم؛ من حيث كونها المصدر الثَّاني للتشريع الإسلامي بعد كتاب الله عز وجل، فقد جاءت بيانًا له؛ مفصّلة ومبينة ومؤكدة، وأحيانًا مخصصّة أو مقيّدة، والأحاديث النَّبوية الشَّريفة ذات مزايا خاصة في أسلوبها ونظمها، وفصاحة بيانها وبلاغتها، ومن أبرز هذه المزايا: التَّناسب الكامن في أحاديث رسول الله –ρ–، وتجاور ألفاظها. أعني: (إمكانية دراسة العلاقات التَّناسبية بين هذه الأحاديث، وفي ثناياها).

ولعل أهمية هذه الدراسة التي وسمت بـ (دلالات التّناسب اللّغوي في صحيح البخاري: دراسة تحليليّة أسلوبيّة)، ترجع فيما ترجع إليه إلى كون التَّناسب اللُغوي من المباحث الأُسلوبيّة التي تُظهر محاسن الكلام على نحو بديع، إذ تكشف عن ارتباط الكلام بعضه ببعض، فلا يكون

متقطّعًا، بل إنّ أكثر لطائف النصوص –كما يقولون– مودعة في التَّرتيبات والرّوابط، فهذه الدِّراسة التَّطبيقية ما هي إلا تطبيق لعلم المناسبة في أحاديث الجامع الصحيح، من خلال: تبيُّن مواطن المناسبات فيها، وتحليلها وفق سياقها، والوقوف على ما فيها من سمات أسلوبية، ومقاصد بلاغية.

وتناول الباحثون موضوع علم المناسبة في لغة القرآن الكريم، وكُتب التَّفسير إلا إن علم المناسبة لم ينل حظًا وافرًا من الدِّراسات في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، فلم تعثر الباحثة – حسب اطلاعها– على دراسة متخصّصة في علم التَّناسب، ومُطبّقة على الحديث النَّبوي الشَّريف، ولعلّ هذا الدافع الرئيسي من هذه الدِّراسة مؤملة أن تسد ثغرة في المكتبة العربية، إضافة إلى التعرّف على دلالات التَّناسب اللغوي في الأحاديث النَّبويّة الصّحيحة، وفحص الأسرار الأسلوبيّة الكامنة وراء التَّناسب اللغوي في الأحاديث النَّبويّة في صحيح البخاري.

وقبل البدء في الدِّراسة يجب الإشارة إلى أَمر مفاده أنّ علم المناسبة هو أحد علوم القرآن الكريم، ولكنّ هذا لا يمنع دراسته وتطبيقه على الكلام العالي، بل إنّ العلماء قد أفادوا منه في ترتيب بعض القصائد، أو أبيات في قصائد شعرية، وخرجوا بدلالات ومعانٍ كبيرة، مثل: دراسة الدَّكتور محمد أبي موسى الموسومة بـ "**الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشُّعراء**"[1]؛ فقد درس مجموعة من عيون قصائد الشَّعر الجاهلي وفقًا لعلم المناسبة، وكذلك فعل مع أحاديث – ρ – في دراسته الموسومة بـ "**شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة**

[1] – أبو موسى، محمد: الشَّعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء، ط1، د.ت، مكتبة وهبة، 2008.

**في سمت الكلام الأول"**[1]. وقد أفادت الباحثة من إشاراته وحاولت أن تبنيي دراسة على صحيح البخاري، مؤمّلة من خلالها الوصول إلى نتائج تعين على فهم بلاغة هذه الأحاديث النّبوية، والوصول إن أمكن إلى الدِّلالات البلاغية الكامنة في ترتيب البخاري لأحاديثه، وكذلك الوقوف على جمال هذا التَّناسب في جسم الأحاديث نفسها.

**ويؤمل من هذه الدِّراسة أيضا الإجابة عن الأسئلة الآتية:**

- ما هي أهم المزايا الأُسلوبيّة الكامنة خلف التَّناسب اللغوي للحديث النَّبوي الشَّريف في أصح كتبه؟
- كيف يُمكن الإفادة من هذه المزايا في الدِّراسات الأدبية؟
- كيف يمكن للمناسبة اللغوية أن تكون وسيلة فاعلة في حل ما يُشكِل من الأحاديث النَّبوية؟

ولتحقيق الفائدة المرجوة من هذه الدِّراسة، قامت الدِّراسة على منهجية واضحة، هي: رصد مواطن التَّناسب في أحاديث الجامع الصحيح، ومن ثم تحليلها؛ للوقوف على أبرز أوجه التَّرابط والتَّناسب بين أجزائها، مستعينةً في المجال البلاغي بأمهات الكتب في شروحات الأحاديث النَّبوية الشَّريفة واللغة والنَّحو والصرف.

أما **منهج الدِّراسة**، فهو الجمع بين الوصف والتحليل والاستنباط، أو ما يمكن أن يسمى بالمنهج التكاملي؛ لأنه استفاد من المنهج الوصفي والتحليلي والاستنباطي، للوصول إلى الدِّلالات والمقاصد التَّناسبية في أحاديث صحيح البخاري، وقد اقتصرت الباحثة في

[1] – أبو موسى، محمد: شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمت الكلام الأول، ط1، د.ت، مكتبة وهبة، 2001.

الأحاديث النَّبوية المنتقاة على ذكر ما انتهى إليه السند، فكلها صحيحه، ولذلك، اختارت عبارة ( ما أُثر عن رسول الله ρ)، وأحيانًا تذكر الصَّحابي الذي انتهى إليه السَّند، مستغنيةً عن ذكر السَّند بالإحالة والتوثيق.

وقد تتبعت الباحثة سير الدِّراسات التي توصل إليها الباحثون في هذا العلم، أو ما اقترب في بعض مباحثها من الموضوع بعامة، فوجدت المتخصص منها يقوم– في مجمله– على دراسة هذا العلم في القرآن الكريم، وفي كتب التَّفاسير، أما الأحاديث النَّبوية الشَّريفة فلم تحظ بهذا النوع من الدِّراسة، ما عدا بحثًا مختصًا اطلعت عليه في مجلة المعرفة بعنوان: " **التَّناسب البياني في السُّنة النَّبوية**"[1]، وهو على أهميته إلا إنه مختصر بالنسبة للدراسة.

ومن الدِّراسات في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة :

**بناء الجملة في الحديث النَّبوي الشَّريف في الصحيحين**، للدكتور عودة خليل أبو عودة (رسالة دكتوراه)، ركّز في كتابه على عرض أنماط التَّراكيب اللغوية في الحديث الشَّريف، وقام بتحليل نحوي لجمل الحديث النَّبوي الشَّريف، ولم يتطرق إلى التناسب اللغوي.

وأما الدِّراسة الثانية، فهي بعنوان: **التَّناسب القرآني عند الإمام البقاعي**، وهي دراسة بلاغية للدكتور: مشهور مشاهرة، تقدم بها للحصول على درجة الماجستير عام 2001م، تقوم هذه الدِّراسة في القرآن الكريم عند الإمام البقاعي، أي في كتاب من كتب التفسير، وليس الحديث النبوي الشريف، وقد أفدت من عناوينها في دراستي كما سيتضح.

[1]– محمد مختار، المفتي: التناسب البياني في السنة النبوية، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، لبنان، مج19، عدد 73، 2013، ص 41– 72.

وثالث هذه الدِّراسات، دراسة بلاغية للباحثة زهراء خالد العبيدي، بعنوان: **دلالات التَّرتيب والتَّركيب في سورة البقرة دراسة في ضوء علم المناسبة**، تقدمت بها للحصول على درجة الدكتوراة عام 2012م، تقوم هذه الدِّراسة على الوقوف على أوجه المناسبات في سورة البقرة، والتَّناسب الدِّلالي بين آياتها، والتَّناسب في النَّظم والظَّواهر السِّياقية في الخطاب، كالتَّناسب في الألفاظ والمعاني، والتَّناسب في الصياغة والبناء، وقد أفدت منها في المنهج وكيفية التحليل.

ومن الدِّراسات الأخرى: **شرح أحاديث من صحيح البخاري، دراسة في سمت الكلام الأول**، للدكتور محمد محمد أبي موسى، الصَّادرة عام 2001، هذا الكتاب عالج فيه مصنّفه جملة من الأحاديث الصحيحة، درسها دراسة لغوية تفصيليّة، وقد كان للتّناسب اللغوي حظّ وافر من الشَّرح، على الرُّغم من أنّ دراسته لم تكن متخصّصة في علم المناسبة.

وفي دراسة أخرى تناول محمد محمد أبو موسى موضوع المناسبة في دراسة بعنوان: **الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء**، الصَّادرة عام 2008م، مطبقًا إياه على نصوص من الشَّعر الجاهلي، وقد أفدت من طرق تحليله في الدِّراستين آنفتي الذكر.

يتضح مما سبق، أن هذه الدِّراسات ينظمها خيط جامع، فهي في مجملها تهتم بعلم التَّناسب اللغوي، وتُؤصِّل له، وفيها أمثلة توضيحيه، ولكنّها كلّها في القرآن أو في جانب من جوانب الأدب العربي، وعليه، فقد خلت من التَّطبيق على الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، ما خلا دراسة أبي موسى (شرح أحاديث من صحيح البخاري، والبحث السابق)، وقد تمت الفائدة من كل ما تقدم حسب الحاجة.

أما هذه الدِّراسة؛ فهي دراسة جديدة في موضوعها، وبنائها الدَّاخلي في التَّحليل البلاغي، وأما الموضوع؛ فقد تناولت أحاديث رسول الله –ρ– وفق رؤية واضحة، تقوم على تقسيم أوجه التَّناسب بين أبواب الجامع الصحيح وأحاديثه النَّبوية الشريفة. وفيما يتعلق بالبناء الدَّاخلي، فقد درست دلالات المستويات اللغوية، المتمثلة بالمستوى الصَّوتي، والمستوى الصَّرفي، والمستوى النَّحوي والمستوى الأُسلوبي، وما يتولد منها من دلالات بلاغية، وبنى عميقة تدل على حسن التَّناسق والانسجام بين الدِّلالات المتولدة منها والسِّياق العام للأحاديث النَّبوية الشَّريفة. وهذا ما يُعرف حديثا بنحو النص.

وقد بنيت هذه الدِّراسة على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، أما المقدمة، فكانت حديثًا عن أهمية الدِّراسة، ومشكلتها، وما فيها من جديد، والمنهج الذي سارت عليه، وفصول الدِّراسة. وفي التَّمهيد فقد ترجمت للبخاري، وعرفت بصحيحه، وبينت مكانته بين الكتب، كما عرفت بعلم المناسبة لغة واصطلاحًا، وهذا مخطط عام للدراسة:

- المقدمة.
- التَّمهيد.
- الفصل الأول: وفيه **(التَّناسب الدِّلالي في الجامع الصحيح)**، إذ اشتمل على مبحثين تناولت في المبحث الأول **(وجوه التَّناسب الدِّلالي بين أبواب الجامع الصحيح)** من حيث:
  - التَّناسب على أساس التَّكميل والتَّوضيح.
  - التَّناسب على أساس التَّفصيل بعد الإجمال.

- التَّناسب على أساس السُّؤال والاستفسار.
- التَّناسب على أساس بيان الحكم.
- التَّناسب على أساس المقابلة.
- التَّناسب على أساس التَّأكيد.

وفي المبحث الثَّاني: **(وجوه التَّناسب الدِّلالي بين الأحاديث النَّبوية الشَّريفة)**، وفيه سبعة مطالب:

- المطلب الأول: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشَّريف وما قبله مباشرة.
- المطلب الثَّاني: التَّناسب بين الحديث النبوي الشَّريف وما بعده مباشرة.
- المطلب الثَّالث: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشَّريف وما قبله عمومًا.
- المطلب الرَّابع: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشَّريف وما بعده عمومًا.
- المطلب الخامس: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشريف والكتاب الذي ورد فيه.
- المطلب السَّادس: التَّناسب في اختيار الحديث النَّبوي الشَّريف الخاتم لكل كتاب.
- المطلب السابع: التَّناسب بين آخر الحديث النَّبوي الشَّريف وأوله.

ثم كان الفصل الثاني بعنوان: **(التَّناسب اللغوي في أحاديث صحيح البخاري)**، وفيه:

- **المبحث الأول: التَّناسب في المستوى الصَّوتي.**
- المطلب الأول: التَّناسب في صفات الأصوات المتضادة والمفردة.
- المطلب الثَّاني: التَّكرار الصَّوتي ودلالاته التَّناسبية .
- المطلب الثَّالث: الجناس ودلالاته التَّناسبية.

- **المبحث الثَّاني: التَّناسب في المستوى الصَّرفي.**
- المطلب الأول: بنية الأفعال ودلالاتها التَّناسبية.
- المطلب الثَّاني: بنية الأسماء ودلالاتها التَّناسبية.
- المطلب الثَّالث: أبنية المصادر ودلالاتها التَّناسبية.
- **المبحث الثَّالث: التَّناسب في المستوى النَّحوي.**
- المطلب الأول: التَّقديم والتَّأخير ودلالاته التَّناسبية.
- المطلب الثَّاني: الإظهار في موضع الإضمار ودلالاته التَّناسبية.
- **المبحث الرابع: التَّناسب في المستوى الأسلوبي.**
- المطلب الأول: التَّنكير ودلالاته التَّناسبية.
- المطلب الثَّاني: التَّعريف ودلالاته التَّناسبية.
- المطلب الثَّالث: الحذف ودلالاته التَّناسبية.

وفي نهاية المطاف، فإن لكل بداية نهاية، وخير العمل ما توج برضا الله عز وجل وتوفيقه، وخير الكلام ما زين بالصَّلاة على نبي الأمة سيدنا محمد – ρ–، وما هذا إلا جهد المقل، ولا أدعي فيه الكمال، ولا أزعم أنني تناولت جميع الأحاديث النَّبوية الشَّريفة من حيث علم المناسبة، أو مستوياتها اللُغوية في صحيح البخاري، وإنما هي محاولة مؤملة أن تكون في الاتجاه الصحيح، فإن أصاب المرء فالفضل لله جل ثناؤه، وإن كانت الأخرى فهي من طبيعة البشر، والله ولي التَّوفيق، ومنه نستمد العون، فهو ولي الذكر ومولاه.

- التَّمهيد.

- ترجمة البخاري.

- التَّعريف بالجامع الصحيح.

- التَّعريف بعلم المناسبة.

## ترجمة البخاري – رحمه الله-:[1]

[1]– من مصادر ترجمته، انظر ما يلي:

- **اسمه ونسبه ومولده:**

هو سيد الفقهاء، وصاحب الصَّحيح، وإمام الحديث في زمانه، كبير الحفاظ، النَّاقد البصير ( أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي)، ينسب البخاري إلى البلد المعروف بما وراء النهر يقال لها بخارى، خرج منها جماعة من العلماء في كل فن ولها تاريخ، ومن أهلها: محمد بن إسماعيل البخاري، وأما الجعفي؛ فلأن أبا جده

---

– البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب: تاريخ بغداد، (ت 463هـ)، ط1، تح. الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 2002 م، ج 2، ص322 .

– السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت 562هـ): الأنساب، ط1، ت: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره،
مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1962، ج2. ص 107.

– ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت 630هـ): اللباب في تهذيب الأنساب، د.ط، د.ت ، دار صادر – بيروت، ج1، ص125.

– ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط1، ت. إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ص188.

– الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ): تذكرة الحفاظ ، ط1 ، د.ت، ، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، 1998م، ج2، ص 104.

– الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ( ت 748هـ): الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، ط1، ت: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية – مؤسسة علوم القرآن، جدة، 1992 م، ص156.

– الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ): البداية والنهاية، ط1، ت. علي شيري، دار إحياء التراث العربي
1988 م، ج11، ص 30.

– العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت 852هـ): تهذيب التهذيب، ط1، د.ت، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، 1326هـ، ج9، ص 47.

– العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ت 852هـ): د.ط، ت. الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1993، ص 664.

– السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ): طبقات الحفاظ، ط1، د.ت، دار الكتب العلمية، بيروت1403، ج 1، ص 313.

– الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد(ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط1، ت. محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1986 ، ج1، ص 25.

– كافي، أبو بكر: منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها ( من خلال الجامع الصحيح )، د.ت، ط1، دار ابن حزم بيروت، 2000 م ، ج1، ص 44.

– الحلبي، نور الدين محمد عتر : الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – الكويت، عدد 4 ،1985، ص63.

(المغيرة) أسلم على يد اليمان الجعفي، وأتى بخارى فنسب إليه نسبة ولاء؛ لأنه من أسلم على يد شخص كان ولاؤه له.

ولد الإمام البخاري – رحمه الله– بعد صلاة يوم الجمعة سنة أربع وتسعين ومائة، مات أبوه وهو صغير ونشأ في حجر أمه، وقد أصيب بالعمى في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل فقال لها: "يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو دعائك"[1]، وتوفي سنة ست وخمسين ومائتين [2].

**- طلبه للعلم وشيوخه:**

كان البخاري مولعًا – منذ نعومة أظفاره– بحب العلم وطلبه، وقراءة الكتب المشهورة، وحفظ الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، وقد تمتع بذاكرة قوية مكنته من حفظ الأحاديث النَّبوية بسرعة، حتى قال حينئذ: "ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتّاب، قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك، فقال: عشر سنين أو أقل"[3]، و" كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سردا، وحج وعمره ثماني عشرة سنة فأقام بمكة يطلب بها الحديث، ثم رحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنته الرحلة إليها، وكتب عن أكثر من ألف شيخ"[4]، وصحح لكبار المحدّثين وهو ابن إحدى عشرة سنة.

---

[1]– الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ): سير أعلام النبلاء، د.ط، د.ت، دار الحديث– القاهرة، 2006م، ج10، ص80.

[2]– السيوطي: طبقات الحفاظ، ج 1، ص 253.

[3]– العسقلاني: هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص 664.

[4]– الدمشقي: البداية والنهاية، ص30، ج11.

ولما وصل عمره ست عشرة سنة "حفظ كتب ابن المبارك ووكيع"[1] ، وأقام بمكة بعد أدائه فريضة الحج واستمر في تصنيف "فضائل الصَّحابة والتَّابعين وأقاويلهم وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنف كتاب "التأريخ" إذ ذاك عند قبر الرسول ρ في الليالي المقمرة".[2]

**- منزلته العلمية وثناء العلماء عليه:**

كان البخاري – رحمه الله– ممن أقر له العلماء بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل، فقد دأب في طلب الحديث، ورحل إلى أمصار مختلفة كي يتحقق من صحة السند والمتن، فكان "البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره ثم يطفئ سراجه، ثم يقوم مرة أخرى وأخرى حتى كان يتعدد منه ذلك قريبًا من عشرين مرة"[3]، كما اشتهر بالحفظ ودقة الملاحظة والعلم والذكاء، وكان حريصًا على تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها، ومقاربة الأسانيد بعضها ببعض والاطلاع على أحوالها، ومما يجمل ذكره: أنه دخل إلى سمرقند فاجتمع به أربعمئة من علماء الحديث فركبوا أسانيد وجمعوا بين أسانيد الشام في أسانيد العراق، كما جعلوا متن الأحاديث على غير أسانيدها، ثم قاموا بعرضها وقراءتها على الإمام البخاري، فرد كل حديث إلى سنده، وصحح جميع الأحاديث والأسانيد، فلم يستطيعوا أن يثبتوا عليه أي خطأ في سند الحديث ومتنه[4].

---

[1]– المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت 742هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط1، ت: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1980، ج 24، ص 439.

[2]– المصدر نفسه، ص 440.

[3]– الدمشقي: البداية والنهاية، ج11، ص 31.

[4]– ينظر بتصرف: الدمشقي: البداية والنهاية، ج11، ص 31، وابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج4، ص 180.

وقد أثنى عليه علماء زمانه من شيوخه وأقرانه؛ لما يتمتع به من صفات الورع والزُّهد والعبادة والفهم والفقه والحفظ، فقال الإمام البخاري – رحمه الله–: " ذاكرني أصحاب عمرو بن علي الفلاس بحديث، فقلت: لا أعرفه فسُروا بذلك، وصاروا إلى عمرو فأخبروه، فقال: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث، وكان إسحاق بن راهوية يقول: اكتبوا عن هذا الشاب – يعني البخاري – فلو كان في زمن الحسن لاحتاج الناس إليه؛ لمعرفته بالحديث وفقهه، وقال الإمام أحمد: ما أخرجت خرسان مثل محمد بن إسماعيل، وكان علماء مكة يقولون: محمد بن إسماعيل إمامنا وفقيهنا وفقيه خرسان، وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم"[1].

- **الآثار العلمية للبخاري:**

للبخاري تصانيف قيمة "سارت مسير الشَّمس ودارت في الدُّنيا فما جحد فضلها إلا الذي يتخبطه الشيطان من المس وأجلها وأعظمها الجامع الصحيح"[2]، وكانت هذه المصنفات في الحديث والفقه والعقيدة والتاريخ، وقد اقتدى الناس بها، ومن هذه المصنفات: " الجامع الصحيح، والأدب المفرد، والتاريخ الكبير، والتاريخ الأوسط، والتاريخ الصغير، وخلق أفعال العباد، والرد على الجهمية، والجامع الكبير، والمسند الكبير، والأشربة، والهبة، وأسامي الصحابة، والوحدان، والمبسوط، والمؤتلف، والمختلف، والعلل، والكنى، والفوائد، وقضايا

[1]– كافي، أبو بكر: منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها (من خلال الجامع الصحيح )، ص 47، ينظر: الدمشقي، البداية والنهاية،ج11، ص 31، العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ص 671.

[2]– القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك ( ت 923هـ): إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، ط7، د.ت، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ج1، ص36.

الصحابة والتابعين وأقاويلهم، ورفع اليدين في الصلاة، والقراءة خلف الإمام، وبر الوالدين والضعفاء"[1]، وغيرها.

## التَّعريف بالجامع الصحيح .

يعد هذا الكتاب " الجامع الصَّحيح المسند من حديث رسول الله – ρ– وسننه وأيامه"[2]، من أشهر الكتب للبخاري وأصحها بعد القرآن الكريم، إذ جمع فيه البخاري الأحاديث النَّبوية الشَّريفة الصَّحيحة، و"رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدِّلالات البديعة، وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السُّبل الوسيعة" [3]؛ أي أن كتابه لم يكن مقتصرًا على الأحاديث النَّبويّة فقط؛ بل كان هدفه الاستدلال والاستنباط لأبواب أرادها ضمن جامعه الصحيح تحت كتب معينة، وقد صنف كتابه الصَّحيح "لست عشرة سنة، خَرجتُه من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله – عز وجل"[4].

كان هذا الكتاب "جامعًا كما سمي لكثير من السُّنن الصحيحة، ودالًا على جمل من المعاني الحسنة المستنبطة التي لا يكمل لمثلها إلا من جمع إلى معرفة الحديث نقلته والعلم بالروايات وعللها علمًا بالفقه واللغة وتمكنا منها كلها وتبحرا فيها، وكان – يرحمه الله– الرجل الذي

---

[1]– كافي، أبو بكر: منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها (من خلال الجامع الصحيح)، ج1، ص 54، وينظر:القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج1، ص 36، والعسقلاني: هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ص 680.

[2]– العسقلاني: هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ص 8.

[3]– العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت 852هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري (د.ط)، ت. محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت 1973، ج1، ص 8.

[4]– العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1، ص8.

قصر زمانه على ذلك فبرع وبلغ الغاية فحاز السبق وجمع إلى ذلك حسن النية والقصد للخير فنفعه الله ونفع به" [1] .

وأما السَّبب الذي جعل البخاري يشرع في تأليف هذا الكتاب؛ فيتجلى في أن الكتب التي سبقت ظهور الجامع الصحيح لم تختص بالأحاديث الصحيحة، بل كانت تضم الأحاديث الصحيحة والضعيفة والمعلولة؛ اعتقادًا منهم إن بإمكان المحدثين التَّمييز بين هذه الأحاديث، وبعد أن كثر عدد الرُّواة وطال السَّند، وتشعبت طرقه، لم يستطيعوا التفرقة والتمييز بينها، فأصبحت الحاجة ملحة إلى إيجاد كتاب جامع يضم هذه الأحاديث الصحيحة[2]؛ الأمر الذي قوى عزيمة الإمام البخاري، وحرك همته – رحمه الله–؛ لضم الأحاديث الصحيحة وتجميعها في كتاب واحد، وقد صرّح هذه الحاجة المحدث الكبير شيخ الإمام البخاري الإمام إسحاق بن راهوية (161هـ)[3] في مجلس من مجالسه العلمية إذ قال: "لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سنة رسول الله ρ، فقال الإمام البخاري: "وقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح"[4]، كما أن البخاري – رحمه الله– رأى رسول الله – ρ– في منامه، إذ قال: "رأيت النبي – ρ– وكأنني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب بها عنه فسألت بعض

---

[1]– المصدر نفسه.

[2]– للمزيد حول الدوافع في تأليف هذا الكتاب، ينظر: كافي، أبو بكر: منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها، ج1، ص 54، العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري،ج1، ص6.

[3]– هو: إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه، كان إماما مذكورا مشهورا من أهل مرو، وكان عالما بالفقه جميل الطريقة مستقيم الحديث سكن نيسابور، وكان متبوعا له أقوال واختيارات، وهو من أقران أحمد بن حنبل، ولد سنة إحدى وستين ومائة، انظر: السمعاني: الأنساب، ج 6، ص 56– 57.

[4]– العسقلاني: هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص 7.

المعبرين، فقال لي: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح"[1]، وكان البخاري – رحمه الله– يغتسل ويصلي ركعتين قبل أن يكتب أي حديث شريف.

احتوى الجامع الصَّحيح للإمام البخاري– رحمه الله– على "سبعة وتسعين كتابًا، وثلاثة آلاف وأربعمئة وخمسين بابًا مرتبة على المسائل الفقهية والعقدية وغيرها" [2]، وقد افتتح البخاري جامعه الصحيح بكتاب بدء الوحي، واختتمه بكتاب التوحيد، واحتوى كل كتاب على عدد من الأبواب، التي تضمنت هي – أيضًا– عددًا من الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، وقد " قصد البخاري في صحيحه إبراز فقه الحديث واستنباط الفوائد منه، فعقد تراجم الأبواب: أي عناوين الأبواب وذكر في التراجم الأحاديث المعلقة، وكثيرًا من الآيات وفتاوي الصحابة والتابعين؛ ليبين بها فقه الباب والاستدلال له، وبهذا يكون قد جمع بين حفظ سنة رسول الله –ρ– وحفظها"[3].

وكان ترتيب هذه الكتب والأبواب والأحاديث على نسق بديع، وترتيب دقيق، من النَّظم والتَّناسب؛ أي أن هناك خيطًا جامعًا يربط بين كتب صحيح البخاري وأحاديثه وأبوابه الذي مثل لبنة أساسية، ووشائج معنوية دقيقة، ودلالات جليلة الوصف، في تفضيل الصحيح على غيره من الكتب؛ حتى أصبح أصح كتاب بعد القرآن الكريم؛ فالإمام البخاري– رحمه الله– علا مقامه ومقام كتابه الجامع باشتراطه وضع الأحاديث الصَّحيحة فيه، ودقة الاستنباط الفقهي في كتبه وأحاديثه وتراجمه؛ فقد "ساق الفقه في التَّراجم سياقة المخلص للسنن

---

[1]– المصدر نفسه.

[2]– كافي، أبو بكر: منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها (من خلال الجامع الصحيح)، ج1، ص 58، والعسقلاني: هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص 649.

[3]– حماد، أحلام مطيع: رسالة ماجستير، الموصولات في صحيح البخاري دراسة تحليلية تطبيقية، الجامعة الإسلامية، غزة، 2016، ص 14.

المحضة عن المزاحم المستثير لفوائد الأحاديث من مكامنها، المستبين من إشارات ظواهرها مغازي بواطنها. فجمع كتابه العلمين والخيرين الجمين. فحاز كتابه من السنة جلالتها ومن المسائل الفقهية سلالتها" [1].

**التَّعريف بعلم المناسبة.**

المناسبة في أصل مادتها اللُغوية تأتلف من: "النُّونِ وَالسِّينِ وَالْبَاءِ كَلِمَة وَاحِدَة قِيَاسُهَا اتِّصَالُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ. مِنْهُ النَّسَبُ، سُمِّيَ لِاتِّصَالِهِ وَلِلِاتِّصَالِ بِهِ"[2]، ومنه: " النَّسِيبُ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ لِاتِّصَالِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ" [3]، والمناسبة تعني: المشاكلة؛ فتقول:" لَيْسَ بَيْنَهُمَا مُناسَبة أَي مُشاكَلةٌ"[4].

ولمّا كان هذا العلم من علوم القرآن الرئيسة؛ فإنّ أهل علوم القرآن هم أنفسهم من عُني به، فعرّفوه لغة واصطلاحًا، وأشاروا إلى أهميّته وأنّه سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وهذا لا يكون إلا بعد معرفة مقصود النُّصوص كما يقولون. وعلى العموم يُفهم من تعريفهم له في الدِّراسات القرآنية بأنّه: علم يدرس أجزاء الشَّيء،

---

[1]– الإسكندراني، أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي ( ت 683هـ): المتواري على تراجم أبواب البخاري، د.ط، ت، صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا – الكويت، ج1، ص 39.

[2]– الرازي، أحمد بن فارس (ت 359هـ): مقاييس اللغة، د.ط، ت. عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، مادة "نسب ".

[3]– الرازي: مقاييس اللغة، مادة "نسب ".

[4]– ابن منظور، محمد بن مكرم بن على ( ت 711هـ): لسان العرب، ط 3، دار صادر – بيروت، 1414، مادة "نسب"، ينظر أيضا: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت 393هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، ت. أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت– 1987 م ، مادة "نسب".

وعلاقته بما قبله وبما بعده، وهو علم عقلي اجتهادي، وكما يقول الزركشي: "هو علم شريف تُحزَرُ به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول"[1].

ولعلم المناسبة أهمية جليلة تسهم في دقة فهم المعنى، وإحكام بيانه، وانتظام دلالاته، وجمال أسلوبه وروعته؛ وكما مر من قبل لقد كان ميدان هذا العلم: دراسة أوجه التَّناسب بين سور القرآن الكريم وآياته، وأوجه التَّناسب بين فواتح السُّور وخواتيمها، وتعالق أوجه التَّناسب بين الآية وما قبلها وما بعدها، أو بين السُّورة وما قبلها وما بعدها[2].

ومع ذلك فإنّ هذا لا يعني بحال من الأحوال اختصاص القرآن الكريم به – وإن كان فيه أظهر وأوضح– فهو مركوز في كلّ النُّصوص العالية، ولكنّه بحاجة إلى دراسة جادّة، أؤمّل أن تكون هذه الدراسة فيها توجيه وإشارة لذلك، فالتَّلاقح بين العلوم مطلوب في الدِّراسات الأدبية.

---

[1]– انظر: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله ( ت 794هـ): البرهان في علوم القرآن،ط1، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – بيروت، 1957 ج1، ص35–36، و البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر (ت 885 هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، د.ت، د.ط، دار الكتاب الإسلامي– القاهرة، 1948، ج1، ص5–6. والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ( ت 911هـ): الإتقان في علوم القرآن، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974 م، ج8 ، ص 112. ومسلم، مصطفى : مباحث في التفسير الموضوعي، ط4 ، د. ت، دار القلم، 2005، ج1، ص 58. مشاهرة، مشهور موسى مشهور: رسالة ماجستير، التناسب القرآني عند الإمام البقاعي دراسة بلاغية، الجامعة الأردنية، 2001، ص 27.

[2]– ينظر على سبيل المثال:

- السيد، محمد يوسف هاشم: رسالة ماجستير، المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية لسورتي الأحزاب وسبأ، الجامعة الإسلامية– غزة، 2009.
- العبيدي، زهراء خالد سعد الله: رسالة دكتوراة، دلالات الترنيب والتركيب في سورة البقرة دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، الموصل، مؤسسة الواحة، 2007، ص 21 وما بعدها.
- المسعودي، منال حامد: رسالة دكتوراة، التناسب في تفسير الإمام الرازي دراسة في أسرار الاقتران، جامعة أم القرى، السعودية.
- مذكور، أحمد بن محمد،رسالة ماجستير: المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، جامعة أم القرى، السعودية، 2008.

وفي الختام يحسن الإشارة إلى معلومة معروفة عند الدَّارسين، ولكن يجب تأكيدها؛ فالمقصود بالحديث النبوي (أعني موضع الدّرس) هو نفسه الذي عرّفه أهل الحديث؛ فهو يشمل كلام الرَّسول – ρ– وكلام صحابته الكرام والتّابعين، وهو ما اختاره الدَّكتور نور الدين عتر حيث قال في تعريفه: " هو ما أُضيف إلى النَّبي صلّى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خِلقي أو خُلقي او أُضيف إلى الصحابي أو التابعي"[1].

وعليه، ستحاول الباحثة الوقوف على الأسرار الكامنة والمعاني الدِّلالية التي تربط أحاديث الجامع الصحيح، وتعالق وجه المناسبة بين فواتح الأحاديث النبوية وخواتيمها، والتَّناسق بين هذه الأحاديث الشريفة وما قبلها وما بعدها، وإبراز أوجه المناسبات في المستويات اللغوية في الأحاديث الشَّريفة، فيتطلب هذا العلم: الاستقصاء اللغوي لدلالات الألفاظ النَّبوية، والإحاطة بالسِّياقات اللغوية التي تعين على فهم النَّص النَّبوي، وتبين معناه، والتمكن من الأساليب البلاغية؛ لإدراك سر ترتيب الأحاديث الشَّريفة التي وضعت بجوار بعضها البعض.

فالأحاديث النَّبوية على فصاحتها وبلاغتها ليست معجزة، بل لا توصف بالإعجاز، فالإعجاز وصف حقيقي خاص بالقرآن الكريم، ولكنّها من أعلى البيان بيد أنّها صدرت من أفصح العرب من الحبيب محمد صلّى الله عليه وسلّم.

[1]– عتر، نور الدين : منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، 1997م، ص27.

# الفصل الأول: التَّناسب الدِّلالي في الجامع الصحيح

## المبحث الأول: وجوه التَّناسب الدِّلالي بين أبواب الجامع الصحيح.

- المطلب الأول: التَّناسب على أساس التَّكميل والتَّوضيح.

- المطلب الثَّاني: التَّناسب على أساس التَّفصيل بعد الإجمال.

- المطلب الثَّالث: التَّناسب على أساس السُّؤال والاستفسار.

- المطلب الرَّابع: التَّناسب على أساس بيان الحكم.

- المطلب الخامس: التَّناسب على أساس المقابلة.

- المطلب السَّادس: التَّناسب على أساس التَّأكيد.

## المبحث الأول: وجوه التَّناسب الدِّلالي بين أبواب الجامع الصحيح.

يتسم النَّظم الحديثي الشَّريف بانسجام أبوابه، وسبكه التَّام الذي يلفت الأنظار بما فيه من أثر في إبراز جودة الكلام، وحسن نسجه، وما في نظمه من لطف ودقة؛ فالمطلع على عناوين هذه الأبواب يلمح أن ثمة نسقًا واحدًا ينظمها، يزيدها حسنًا وبيانًا ودقة في التَّعاضد النَّظمي؛ لأن تدفق المعاني والدِّلالات داخل هذه الأبواب، ومراجعة أسرار تعقب بعضها في إثر بعض، يقع في النفس موقعًا طيبًا، ويبرز في كشف الصَّنعة الخفية لعلم المناسبة؛ وبناء على هذا استخرجت الباحثة عددًا من العلاقات التَّرابطية التَّناسبية بين هذه الأبواب، وذلك من قبيل التَّمثيل لا الاستقصاء؛ للوقوف على دلالاتها، وفهم أسرار بلاغة التَّناسب الدِّلالي، وهذه العلاقات المختارة في هذا المقام هي:

- التَّناسب على أساس التَّكميل والتَّوضيح.
- التَّناسب على أساس التَّفصيل بعد الإجمال.
- التَّناسب على أساس السُّؤال والاستفسار.
- التَّناسب على أساس بيان الحكم.
- التَّناسب على أساس المقابلة.
- التنَّاسب على أساس التَّأكيد.

## المطلب الأول: التَّناسب على أساس التَّكميل والتَّوضيح.

يعد التَّناسب القائم على أساس التَّكميل والتَّوضيح من أهم العلاقات التي أسهمت في كشف أوجه التَّلاحم والتَّناسق بين أبواب الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، وتحقيق مقاصدها، واستمرار السَّياق النَّبوي في تناسقه والتئامه؛ إذ ترد بعض الأحاديث الشَّريفة مكملة وموضحة ومبينة لما سبقها؛ فكما أن الآية الكريمة تلتحم وتلتئم مع أختها، فكذلك الأحاديث النَّبوية الشَّريفة يلتئم بعضها مع بعض.

ولعل هذه العلاقة من أكثر العلاقات وضوحًا في صحيح البخاري[1] الأمر الذي دعا الباحثة إلى اختيار نماذج ممثلة؛ لتسليط الضَّوء على أوجه التَّناسب البلاغية الدَّالة على تلاحم أبواب هذه الأحاديث النَّبوية وتناسقها، ومثال هذه العلاقة:

**التَّناسب بين باب التَّناوب في العلم، وبين باب الغضب في الموعظة والتَّعليم إذا رأى ما يكرهه،** ففي الباب الأول: **عنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: "كُنْتُ أَنا وجارٌ لِي مِنَ الأَنْصارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بنِ زَيْدٍ، وهْيَ مِنْ عَوالِي المَدِينَةِ، وكُنَّا نَتَناوَبُ النُّزُولَ عَلَى رسولِ الله –ρ– ، يَنْزِلُ يَوْمًا وأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وإذا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ،..."** [2]، أما حديث الباب الثَّاني: **فعَنْ أَبَيْ مَسْعُودٍ الأَنْصارِيّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رسولَ الله لَا أكادُ أُدْرِكُ الصَّلاةَ مَمَّا يُطَوّلُ بِنَا فُلانٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبيَّ ρفِي**

---

[1] – ومثاله: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ( ت 256هـ): صحيح البخاري، د.ت، ط2، دار الفجر للتراث– القاهرة، 2009م، كتاب الآذان: باب فضل التأذين ، م1، ص 163.

– المصدر نفسه، كتاب الآذان: باب رفع الصوت بالنداء، م1، 163.

– المصدر نفسه، كتاب الإيمان: باب أمور الإيمان، م1، ص11.

– المصدر نفسه، كتاب الإيمان: باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، م1، ص 11.

[2]– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب التناوب في العلم، م1، ص 35.

**مَوْعِظَـةٍ أَشَدَّ غَضَباً مِـنْ يوْمِئـذٍ، فَقَـالَ: (أَيُّهـا النَّـاسُ، إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمـنْ صَلَّى بالنَّـاسِ فَلْيُخَفِّفْ فإنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ والضَّعيفَ وذَا الحاجَةِ) "[1].**

لما ذُكِرَ في حديث الباب الأول تناوب الصَّحابة وصفاتهم في حرصهم على طلب العلم، وحضور مجالس الرَّسول –ρ– التي لم تمنعهم ظروفهم من الاستماع إلى أحاديثه –ρ–؛ فقد كان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– يتناوب النُّزول مع جاره الأنصاري لسماع هذه الأحاديث النَّبوية وحفظها، جاء بعده **(باب الغضب والموعظة إذا رأى ما يكرهه)**؛ لأنه أليق بمقام التَّوضيح والتَّكميل للباب السَّابق الذِّكر، فهو يوضح صفات المتعلمين إذا رأى أحد منهم ما يكرهه ويغضبه؛ فـ "الواعظ من شأنه أن يكون في صورة الغضبان؛ لأن مقامه يقتضي تكلف الانزعاج لأنه في صورة المنذر، وكذا المعلم إذا أنكر على من يتعلم منه سوء فهم ونحوه لأنه قد يكون أدعى للقبول منه"[2]، وقد غضب رسول الله – ρ–؛ " لأنه كره التَّطويل في الصَّلاة من أجل أن فيهم المريض ونحوه، فأراد الرَّفق والتَّيسير بأمته ولم يكن نهيه، –ρ– ، من التَّطويل لحرمته، لأنه –ρ–، كان يصلي في مسجده ويقرأ السور الطوال مثل سورة يوسف، فيصلي معه أجلة أصحابه، وكان أكثر همه طلب العلم والصلاة. وكان يخفف في بعض الأوقات عند سماع صوت بكاء الصبي ونحوه" [3].

يتضح مما سبق أَن وجه المناسبة بين الحديثين ظاهر؛ لأن كلا من البابين يوضحان صفات المتعلمين وحرصهم على العلم، فـ " المذكور في الباب الأول التَّناوب في العلم، وهو

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم : باب الغضب في الموعظة إذا رأى ما يكرهه، م1، ص 35.

[2]– العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1، ص187.

[3]– العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ( ت 855هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج2، ص 107.

من جملة صفات المتعلمين، ومن جملة المذكور في هذا الباب أيضًا بعض صفاتهم، هو أن المعلم إذا رأى منهم ما يكرهه يغضب عليهم، وينكر عليهم، فتناسق البابان من هذه الحيثية" [1].

وقريب من هذا: **التَّناسب الواقع بين باب حفظ العلم، وباب الإنصات للعلماء**، إذ يقول أبو هريرة – رضي الله عنه– في حديث الباب الأول: "**إنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، ولوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثا، ثُمَّ يَتْلُو: (إنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والهُدَى إلَى قَوْلِهِ: الرَّحْيمُ)**"[البَقَرَة: 159–160 ]**إنَّ إخْوَانَنَا مِنَ المُهَاجِرينَ كانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بالأَسْوَاقِ، وإنَّ إخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كانَ يَشْغَلُهُمُ العَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ وإنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كانَ يَلْزِمُ رسولَ الله ρ بشبَعِ بَطْنِهِ وَيَحْضُرُ مَا لَا يَحْضُرُونَ ويَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ**"[2]. أما حديث الباب الثَّاني: **فعَنْ جَرِيرٍ أنَّ النَّبيَّ ρ : قالَ لَهُ فِي حَجَّةٍ الوَدَاعِ:"اسْتَنْصِتِ النَّاسَ فقال: (لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ)**"[3].

لما بين حديث الباب الأول الحرص على حفظ العلم، والحث على طلبه، وتفضيل تحصيله وطلبه على طلب المال، وملازمة العلماء للحفظ عنهم، أردفه البخاري – رحمه الله– بباب الإنصات للعلماء، إذ وضح فيه أن حفظ العلم يستلزم الإنصات للعلماء خاصة إن كان موضوع الحديث النَّبوي يمس أمورًا تتعلق بالحياة الدِّينية والسِّياسة والاجتماعية، أو يهدف إلى تحقيق مصلحة عامة من مصالح المسلمين.

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 105.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم: باب حفظ العلم، م1، ص 42.

[3]– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب الإنصات للعلماء، م1، ص42.

وخلاصة القول يتبين أن حفظ العلم يستلزم الإنصات للعلماء، ولذلك جاء الباب الثاني موضحًا وكاشفًا عن الشَّروط التي يجب اتباعها في حفظ العلم؛ فـ " العلم إنما يحفظ من العلماء ولا بد فيه من الإنصات لكلام العالم حتى لا يشذ عنه شيء، فبهذه الحيثية تناسبا في الاقتران" [1].

## المطلب الثَّاني: التَّناسب على أساس التَّفصيل بعد الإجمال.

يُعد التَّفصيل بعد الإجمال من الأساليب البلاغية الرفيعة؛ إذ يعمد إلى تفصيل الصُّورة المجملة؛ لتكون أشد وضوحًا، وأكثر وقعًا وتأثيرًا في النُّفوس، وأدعى لتقرير المعنى وتثبيت الدِّلالة؛ وذلك تبعًا لمتطلبات السِّياق، " فكما يجب على البليغ في مظان الإجمال أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التَّفصيل أن يفصل ويشبع"[2]، ويكتسب هذا الأسلوب جماله؛ لأنه يمكّن "المعنى في النفس تمكنًا زائدًا؛ لوقوعه بعد الطلب، فإنه أعز من المنساق بلا تعب، أو لتكمل لذة العلم به فإن الشيء إذا علم من وجه ما تشوقت النفس للعلم به من باقي وجوهه وتألمت فإذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة"[3] .

---

[1]- العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 186.

[2]- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 179.

[3]- المصدر نفسه، ص 242.

والأحاديث النَّبوية الشَّريفة تزخر بسهم وافر في هذه العلاقة بين أبواب الجامع الصحيح[1] وتتخذ منها وسيلة لبيان الوشائج الدقيقة التي تكتمل عندها صورة المعنى، والغرض الذي يروم الحديث النَّبوي تبليغه.

**ومن أمثلة هذا الضَّرب من التَّناسب الواقع بين: باب ما يقال إذا أمطرت، وباب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته،** ففي باب الحديث النَّبوي الأول: عَنْ عَائشةَ – رَضي الله عنها– **أَن رَسُول الله** – ρ– **كَانَ إِذا رأى الْمَطَر قَالَ: "اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا"[2]**، وفي حديث الباب الثَّاني **قال أَنسُ بنُ مَالِكَ: " أَصَابَت النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهدِ رَسُولِ اللهِ** – ρ – **فَبَيَنا رَسُولُ اللهِ** – ρ – **يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله هَلَكَ المَالُ، وجَاعَ الْعِيَالُ، فَادعُ اللهَ لَنَا أَن يَسقِيَنَا قَالَ: فَرفَعَ رَسُولُ اللهِ** – ρ – **يَدَيْهِ وَمَا فِي السَّمَاء قَزَعَةٌ قَالَ: فَثَارَ سَحَابٌ أَمْثَالُ الْجِبَالِ، ثمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنبرِهِ حَتَّى رَأَيْت الْمَطَر يَتَحَادَرُ عَلَى لِحيتِه، قَالَ: فَمُطِرنَا يَوْمنَا ذَلِك وَفِي الْغَد وَمن بعد الْغَد وَالَّذِي يَلِيهِ إِلَى الْجُمُعَة الْأُخْرَى، فَقَامَ ذَلِك الْأَعرَابِيُ – أَو رَجُلٌ غَيره– فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَهدَّمَ الْبِنَاءُ، وَغَرِقَ المَالُ، فَادعُ اللهَ لَنا، فَرفعَ رَسُولُ اللهِ** – ρ– **يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالينا وَلَا عَلَيْنَا. قَالَ: فَمَا**

---

[1]– ومثاله: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة: باب هل تنبش قبور الجاهلية، م1، ص 120 .

– المصدر نفسه، كتاب الصلاة: باب الصلاة في مرابض الغنم، م1، ص121.

– المصدر نفسه، كتاب الإيمان: باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الإستسلام أو الخوف من القتل، م1، ص15.

– المصدر نفسه، كتاب الإيمان: باب إفشاء السلام من الإسلام، م1، ص16.

[2]– المصدر نفسه، كتاب الاستسقاء: باب ما يقال إذا أمطرت، م1، ص 264.

**جَعَلَ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلاَّ تَفَرَّجَتْ، حَتَّى صَارَتِ الْمَدِينَةُ فِي مِثْلِ الْجَوْبَةِ، حَتَّى سَالَ الْوَادِي –وَادِي قَنَاةَ– شَهْرًا، قَالَ: فَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلاَّ حَدَّثَ بِالْجَوْدِ "[1].**

يشير باب الحديث النَّبوي الأول إلى أن رسول الله – ρ– كان إذا رأى المطر تضرّع لله تعالى؛ للازدياد من خير المطر وبركته؛ راجيّا أن يكون "سقيا رحمة، تُنْبتُ بها الأرضُ أعشابها، وتخرج من خيراتها، وتدر المواشي من ألبانها، لا سقيا عذاب تهدم وتغرق"[2]؛ وهذا ما فصله باب الحديث النّبوي الثَّاني، عندما قام الرَّجل وطلب من رسول الله – أن يدعو بأن تكون سقيا رحمة؛ لأن كثرة المطر قد تهدم الأبنية، وتغرق المواشي؛ فهو " لم يسأل رفع المطر من أصله؛ بل سأل دفع ضرره وكشفه عن البيوت والمرافق والطرق حيث لا يتضرر به ساكن ولا ابن سبيل وسأل بقاءه في مواضع الحاجة حيث يبقى نفعه وخصبه في بطون الأودية ونحوها " [3].

وبناء الحديث النَّبوي الشَّريف على هذه العلاقة يزيد من غزارة المعاني المتولدة من تفصيل ما أجمل من أنواع المطر، فمنه النافع ومنه الضار؛ أي أن " الصيب لما جرى ذكره في القرآن قرن بأحوال مكروهة، ولما ذكر في الحديث وصف بالنفع؛ فأراد أن يبين أن المطر ينقسم إلى نافع وضار" [4].

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء: باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته، م1، ص 264.

[2]– قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، راجعه الشيخ: عبد القادر، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق– الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد اللطائف، المملكة العربية السعودية، ج2، ص 289.

[3]– المصدر نفسه، ج6، ص 238.

[4]– العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 518.

ومن هذا القَّبيل –أيضًا–: التَّناسب الواقع بين: **باب إذا هبت الريح، وباب قول النَّبي – ρ– نصرت بالصَّبا**، ففي حديث الباب الأول، يقول **أنسُ بنُ مالكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–**: " **كَانَتِ الرِّيْحُ الشَّدِيدَةُ إِذَا هَبَّتْ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ – ρ–**"[1]، وأما باب الحديث النَّبوي الثّاني؛ **فعن ابْنِ عَبَّاس –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–، أن النَّبِيَّ – ρ –** قَالَ: " **نُصِرْتُ بالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**"[2].

يوضح باب الحديث النَّبوي الأول حالة الخوف والفزع التي كانت تنتاب رسول الله – ρ– عند هبوب الرِّياح؛ خوفًا من أن تكون ريحاً مدمرة، وفيها عذاب شديد؛ كـ " تلك التي وقعت لقوم هود، فكانت عليهم عاصفة شديدة، قلعت أشجارهم وهدّمت ديارهم؛ كما قال تعالى في وصف ما أحدثته فيهم من كوارث: **(تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا)**[3] حتى أنها كانت ترفع المرأة بين السماء والأرض كأنها جرادة، وكانت ترميهم بالحجارة فتدق أعناقهم، ولهذا كان النَّبي – ρ– إذا اشتدت الريح يخشى أن تصاب أُمَّتَهَ بما أصيب به أولئك" [4].

أما باب الحديث النَّبوي الثّاني؛ فيفصل أنواع الرِّياح، فمنها ما يكون ضارًا؛ كالدَّبور الذي يكون " للبلاء، وأهونه أَن يكون غبارًا عاصفًا يقذي الأَعين"، وقد سلطها الله – عز وجل– على قوم عاد "سبع ليال وثمانية أيّام حسومًا فأهلكتهم وقضت عليهم"[5]؛ **لقوله تعالى: (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ)** [6].

---

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب إذا هبت الريح، م1، ص 264.

[2] – المصدر نفسه، كتاب الاستسقاء، باب قول النبي ρ نصرت بالصبا، م1، ص 264.

[3] – سورة الأحقاف، آية 25.

[4] – قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج2، ص290.

[5] – قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج2، ص291.

[6] – سورة الحاقة، آية 7.

ومنهـا ومـا يكـون نافعًـا؛ كـريح الصّـبا؛ فهـي ريـح نافعـة وبشـرى خيـر " حملـت ريـح يوسف –عليه الصَّـلاة والسَّلام– قبل البشير إليه؛ فإليها يستريح كل محزون" [1]، وقد نصر الله – عز وجل– رسوله – ρ– بهذه الرِّيح يوم غزوة الخندق؛ إذ " بعث الله الصبا ريحًا باردة علـى المشركين فـي ليـالي شـاتية شـديدة البـرد، فأطفأت النيران، وقطعت الأوتـاد والأطنـاب، وألقت المضارب والأخبية، فانهزموا بغير قتال ليلًا"[2] .

وعلـى هذا يكون بـاب الحديث النَّبوي الثَّاني مفصـلًا لمـا أجمل من أنـواع الرِّيـاح، التـي لـم يذكرها رسول الله – ρ – ، وإنما أبدى خوفه منها.

## المطلب الثَّالث: التَّناسب على أساس السُّؤال والاستفسار.

شـكل التَّناسـب علـى أسـاس السُّـؤال والاستفسـار ظـاهرة بلاغيـة تطـوي دلالات متعـددة اقتضـاها السَّياق النَّبـوي؛ فالأحاديـث النَّبويـة الشَّـريفة تتخـذ مـن هـذه العلاقـة مجـالًا واسـعًا؛ لتقرير المعاني وزيادة الإيضـاح، ومن أمثلته التَّناسب بين: **بـاب مـن سـأل وهـو قـائم عالمًـا جالسًا، وباب السُّؤال والفتيا عند رمي الجمار، فـفي البـاب الأول يقـول أَبُـو مُوسَـى: جـاءَ رَجُلٌ إِلَـى النَّبـيِّ ρ فقالَ: يَـا رَسُـولَ اللَّهِ! مَـا القتـالُ فِـي سَـبِيلِ اللَّهِ؟ فَـإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَـبًا ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلاَّ أَنَّـهُ كـانَ قائِمًـا، فقالَ: مَنْ قاتَـلَ لِتَكونَ كَلِمةُ اللَّهِ هيَ العُلْيَـا فَهُوَ فِـي سَـبِيلِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ"**[3]، وأما حديث البـاب الثَّاني؛ **فـعَنْ**

[1] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 7، ص 56.

[2] – المصدر نفسه.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم: باب من سأل وهو قائم عالما جالسا، م1،ص 44.

**عَبْدِ اللهِ بْنِ عمرِو بنِ العَاصِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ρ– وقَفَ في حَجَّةِ الوَدَاعِ بِمِنىً لِلنَّاسِ يَسْألونَهُ، فجَاءَهُ رَجُل فقالَ: لمْ أَشْعُرْ، فَحَلَقْتُ قبلَ أنْ أذْبَحَ؟ فَقَالَ: اذْبَحْ ولا حَرَجَ. فجاءَ آخَرُ فَقَالَ: لمْ أَشْعُرْ فنَحَرْتُ قَبْلَ أن أرْمِيَ فَقَالَ: ارْمِ ولا حَرَج، فما سُئِلَ النَّبِيُّ – ρ– عَنْ شَيءٍ قُدِّمَ ولا أُخِّرَ إلَّا قَالَ: افْعَلْ وَلا حَرَج "[1].**

لعل التَّناسب واضح بين البابين، ففي باب الحديث الأول كان فيه سؤال النبي –ρ– عن القتال في سبيل الله، فمن الناس من يقاتل غضبًا، ومنهم من يقاتل حمية " بدافع الغضب والرغبة في الانتقام، والبعض يقاتل أنفةً وغيرة ودفاعاً عن قومه"[2]، فكان جوابه –ρ – دليلًا على وجوب إخلاص القتال؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وأما حديث الباب الثَّاني فكان فيه – أيضًا– سؤال النَّبي –ρ– عن مناسك الحج، وجواز تقديم الرَّمي والنَّحر قبل الحلق يوم عيد الأضحى، وكانت إجابته– ρ– فيها تيسير للناس؛ إذ أجاز للسائل الأول النَّحر قبل الحلق، و أجاز للسائل الثَّاني الحلق قبل النحر.

والجامع بين البابين أن وجه المناسبة بينهما ظاهر؛ " لأن كلًا منهما مشتمل على السؤال عن العَالم وهو ظاهر لا يخفى" [3].

**ومن هذا التَّناسب – أيضًا–: التَّناسب بين باب الحياء في العلم، وباب من استحيا فأمر غيره بالسُّؤال،** ففي حديث الباب الأول: **عَنْ أمِّ سَلَمَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا– قَالَتْ: "جَاءَت أُمُ سُلَيمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِρ فَقَالَت: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ اللهَ لَا يَستَحيِيَ منَ الْحَقِّ، فَهَل**

---

[1]– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب السؤال والفتيا عند رمي الجمار، م1، ص45.

[2]– قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج1، ص 225.

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 198.

**عَلَى الْمَرْأَة مِن غُسلٍ إذا احْتَلَمت؟ قَالَ النَّبِيُ ρ إِذَا رَأَتْ المَاءَ، فَغَطّت أُمُّ سَلمَة – تَعْنِي وَجهَهَا– وَقَالَت: يَا رَسُولَ اللهِ وتَحتَلِم الْمَرْأَةُ، قَالَ: نَعَم تَرِبَت يَمِينُكِ فَبِمَ يُشبِهُهَا"**[1]. وقال عَلِي – رَضِيَ اللهُ عَنْه– في باب الحديث الثَّاني: **"كُنتُ رَجُلًا مَذَّاءً، فَأَمَرتُ المِقدَادَ أَن يَسأَلَ النَّبِيَ ρ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: فِيهِ الْوُضُوءُ".**[2]

يقوم البابان على خلق رفيع وحسن وهو الحياء؛ فباب الحديث النّبوي الأول يوضح أن لا حياء في طلب العلم والسؤال عن الدِّين لأنه حق، فعلى المسلم "أن يسأل عن كل ما لا يعلمه من أمر دينه ودنياه"[3]، وفي حديث الباب الثّاني يبين "مشروعية الإنابة في السؤال والاستفتاء إذا استحيا من مباشرة ذلك"[4]؛ فالعلاقة وطيدة بين البابين؛ لأن كلًا منهما مشتمل على السُّؤال والاستفسار.

## المطلب الرَّابع: التَّناسب على أساس بيان الحكم.

دأب الرَّسول – ρ– إلى بيان الأحكام المتعلقة في أمور العبادات، كالصَّلاة والصَّوم والزَّكاة والحج وغيرها؛ للحرص على القيام بها وتأديتها، ومن أوجه هذا التَّناسب على أساس بيان الحكم[5] العلاقة القائمة بين: **باب فضل الوُضوء والغُرُ المُحَجَّلُون من آثار الوضوء،**

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم: باب الحياء في العلم، م1، ص46.

[2]– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب من استحيا فأمره غيره بالسؤال، م1،ص47.

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص210.

[4]– قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج1، ص230.

[5]– ينظر : البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة: باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، م1، ص101.

– المصدر نفسه، كتاب الصلاة: باب وجوب الصلاة في الثياب، م1، ص102.

– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب من سأل عالما ، م1، ص 25.

– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب من رفع صوته بالعلم، م1، ص25.

**وباب لا يتوضأ من الشَّك حتى يستيقن،** ففي باب الحديث الأول: **عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ –ρ- يَقُولُ:** " **إِنَ أُمَّتِي يُدعَونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرّا مُحَجَّلِينَ مِن آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَن اسْتَطَاعَ مِنْكُم أَن يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيفْعَل"**[1]. أما حديث الباب الثاني، **فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدَ بْنِ عَاصِم المَازِنِيّ الأَنْصَارِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنه شكا إِلَى رَسُول الله –ρالرّجُلُ الَّذِي يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَجِدُ الشَّيْءَ فِي الصَّلَاة، فَقَالَ: لَا يَنْفَتِل أَو لَا يَنْصَرِف حَتَّى يَسمَعَ صَوتا أَو يَجِدَ رِيحًا"**[2].

لما ذكر رسول الله –ρ- في باب الحديث النَّبوي الأول حكم فضل الوضوء وأثره على المتوضئين بأن وجوههم وأيديهم وأرجلهم تشع نورًا وجمالًا تكريمًا وتشريفًا لهم، جاء بعده باب الحديث النَّبوي الثَّاني؛ ليوضح أن المسلم الذي يتيقن من طهارته و وضوئه وشك أنه سمع صوتًا أو وجد ريحًا لا يبطل وضوؤه، لأن" الأشياء يحكم ببقائها على أصولها حتى يتيقن خلاف ذلك، ولا يضر الشك الطارئ عليها" [3].

ومن ذلك يتبين لنا أنَّ وجه المناسبة بين البابين بارز؛ من حيث" اشتمال كل واحد منهما على حكم من أحكام الوضوء؛ أما الأول فلأنه في فضل الوضوء وهو حكم من أحكامه، وأما الثَّاني؛ فلأنه في حكم الوضوء الذي يقع فيه الشَّك، ولا يؤثر فيه ما لم يحصل اليقين فتناسبا من حيث إن كلًا منهما حكم من أحكام الوضوء وإن كانت الجهة مختلفة"[4].

---

[1] – المصدر نفسه، باب فضل الوضوء والغر المحجلون من آثار الوضوء، م1، ص81.

[2] – المصدر نفسه، باب لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن، م1، ص 84.

[4]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 255.

[4]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 255.

ومن أوضح الارتباط وأشده تناسبًا على هذه العلاقة ما هو قائم بين: **باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، وباب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان**، ففي حديث الباب الأول يقول **أنسُ بنُ مَالِكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– :" رَأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ρ وحَانَتْ صَلاةُ العَصْرِ، فالْتَمَسَ النَّاسُ الوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رسولُ اللَّهِ ρ بِوَضُوءٍ فَوَضَعَ رسولُ اللَّهِ ρفِي ذَلِكَ الإِنَاءِ يَدَهُ، وأَمَرَ النَّاسَ أنْ يَتَوَضَّؤوا مِنْهُ، قالَ: فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبِعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِم"**[1]، أما حديث الباب الثَّاني؛ **فعن ابنِ سيرِينَ قَالَ: " قُلْتُ لِعَبِيدَةَ عِنْدَنَا مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ ρ أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ، أَوْ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ أَنَسٍ فَقَالَ: لأَنْ تَكُونَ عِنْدِى شَعَرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"**[2].

يكمن وجه المناسبة بين البابين في اشتمالهما على بيان حكم الماء المستخدم في الوضوء؛ فباب الحديث النَّبوي الأول يوضح أن الوضوء لا يصح إلا بماء طاهر، والماء الذي يغسل به شعر الإنسان ينبغي – أيضًا– أن يكون طاهرًا؛ لأن البخاري – رحمه الله– "استدل به على أن الشَّعر طاهر وإلا لما حفظوه، ولا تمنى عبيدة أن تكون عنده شعرة واحدة منه، وإذا كان طاهرًا فالماء الذي يغسل به طاهر" [3].

وعليه تناسب الحديثان من حيث " إن في الباب الأول التماس الناس الوضوء، ولا يلتمس للوضوء إلا الماء الطاهر، وفي هذا الباب غسل شعر الإنسان، وشعر الانسان طاهر، فالماء الذي يغسل به طاهر، فعلم أن في كل من البابين اشتمال على حكم الماء الطاهر"[4].

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء: باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، م1، ص 56.

[2]– المصدر نفسه، كتاب الوضوء: باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، م1، ص 56.

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج3، ص 37.

[4]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج3، ص 37.

## المطلب الخامس: التَّناسب على أساس المقابلة.

المقابلة: شكل من أشكال الرَّوابط التي تربط أبواب الجامع الصَّحيح إذ يؤتى "بمعنيين فأكثر ثم بما يقابل هذه المعاني"[1]، وبناء على هذا فـ " هي إحدى الوسائل أو الطُّرق التي تقوم على مبدأ إقامة ضدية بين فكرتين أو تعبيرين، أو كلمتين بمعنيين متقابلين، أو متضادين، مع قصد في اللفظ ووفاء بحق المعنى" [2]، ويحقق هذا النوع من التِّناسب دلالات بلاغية، ويكشف عن أوجه العلائق وأصدائها في بواطن الحديث النَّبوي الشَّريف، ويثير "ضروبًا من الشغب والمنابذة والمجاذبة، رأيت الكلام يستثير في النفس قواها المتضاربة ويستفز هواجسها المتباينة، ومن شأن هذا أن يستثير صبابة ونشوة ويقظة وهزة وتشوقًا؛ لأنه ضرب أوتارها الحية الحساسة"[3].

وقد كثر هذا النَّمط من الرَّوابط في الجامع الصَّحيح[4]، من ذلك: التَّناسب بين **باب التَّخفيف في الوضوء، وباب إسباغ الوضوء**، ففي باب الحديث النَّبوي الأول يقول **ابن عَبَاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا–: " بِتُّ عِنْد خَالَتِي مَيْمُونَة لَيْلَةً، فَقَامَ النَّبِيُ ρ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا كَانَ فِي بَعضِ اللَّيْلِ قَامَ النَّبِيُ ρ فَتَوَضَّأ مِن شَنٍّ مُعَلّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا يُخَفِّفُهُ عَمْرٌو وَيُقَلِّلُهُ،**

---

[1]– عباس، فضل حسن: البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، د.ت، ط9، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 2004، ص282.

[2]– مشاهرة، مشهور موسى: التناسب القرآني عند الإمام البقاعي دراسة بلاغية، ص 118.

[3]– أبو موسى، محمد: شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمت الكلام الأول، د.ت، ط1، مكتبة وهبة، 2001، ص 462.

[4]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم: باب فضل من علم وعلم، م1، ص 32.

– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب رفع العلم وظهور الجهل، م1، ص 32.

– المصدر نفسه، كتاب الكسوف:باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يخوف الله عباده بالكسوف، م1، ص 268.

– المصدر نفسه، كتاب الكسوف: باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف، م1، ص 268.

**وَقَامَ يُصَلِّي فَتَوَضَّأتُ نَحوًا مِمَّا تَوَضَّأ، ..."** [1]، أما حديث الباب الثاني؛ **فعن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–، أَنَّهُ قَالَ: " دَفَعَ رَسُولُ اللهِ ρ مِن عَرَفَةَ حَتَّى إِذا كَانَ بِالشِّعبِ نَزَلَ فَبَالَ ثُمَّ تَوَضَّأ، وَلَم يُسبِغْ الْوضُوءَ، فَقُلتُ: الصَّلَاةَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ أَمَامَكَ، فَرِكِبَ فَلَمَّا جَاءَ الْمزْدَلِفَةَ، نزل فَتَوَضَّأ فَأَسبَغَ الْوُضُوءَ، ثمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى الْمَغرِبَ، ثمَّ أَنَاخَ كُلُّ إِنْسَانٍ بَعِيرَهُ فِي مَنزِلِهِ ثُمَّ أُقِيمَت الْعِشَاءُ فَصَلَّى، وَلَمَ يُصَلِّ بَينَهُمَا"**[2].

يرشد باب الحديث الشريف الأول إلى كيفية وضوء النبي– ρ–؛ فقد أجاز تخفيف الوضوء، وقابله في باب الحديث الثاني بإسباغ الوضوء؛ أي " إبلاغه مواضعه وإيفاء كل عضو حقه والتركيب يدل على تمام الشيء وكماله" [3].

ويظهر لي أن وجه المناسبة قائم على المقابلة "من حيث إن المذكور في الباب الأول تخفيف الوضوء، والمذكور في هذا الباب ما يقابله صورة وإن كان لا بد في التخفيف من الإسباغ "[4].

ومن شواهد هذه العلاقة – أيضًا–: التَّقابل بين **باب الوضوء من غير حدث، وباب من الكبائر أن لا يستتر من بوله،** ففي حديث الباب الأول: **عن أنس – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، قَالَ: " كَان النَّبِيَّ –ρ– يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ، قُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قالَ يُجزِئُ أَحَدَنَا الوُضُوءُ مَا لَمْ يُحْدِثْ"** [5]، وأما حديث الباب الثَّاني: **فعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قالَ: مَرَّ النَّبيُّ –ρ– بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي**

---

[1]– المصدر نفسه، كتاب الوضوء: باب التخفيف في الوضوء، م1، ص49.

[2]– المصدر نفسه، كتاب الوضوء، باب إسباغ الوضوء، ص49، م1.

[3]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج1، ص 231.

[4]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 258.

[5]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء: باب الوضوء من غير حدث، م1، ص66.

**قُبُورِهِمَا، فقالَ النبيُّ ρ: يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَان فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قالَ: بَلَى، كانَ أَحَدُهُمَا: لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ وكانَ الآخَرُ: يَمْشِي بالنَّميمَةِ، ثمَّ دَعَا بِجَرِيدةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَع عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً فَقِيلَ لهُ: يَا رسولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قالَ: ρ لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَم يَيْبسَا أَوْ أَنْ يَيْبَسَا "** [1].

نلمح التَّقابل بين صورتين متضادتين في هذين البابين، تتمثل الصورة الأولى في صورة الإنسان دائم الطهارة، وبين صورة الإنسان الذي لا يتطهر من بوله ولا يحافظ على نظافة بدنه، ولا يحترز من الوقوع في النَّجاسة.

وعلى هذا فإن المناسبة بين البابين تكمن في أن "الباب الأول ذكر الوضوء من غير حدث، وله فضل كبير إذا كان المتوضىء محترزًا عن إصابة البول في بدنه أو ثوبه، وفي هذا الباب يذكر الوعيد في حق من لا يحترز منه " [2].

## المطلب السادس: التَّناسب على أساس التَّأكيد.

يأتي التَّناسب على أساس التَّأكيد في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة؛ ليؤكد معنى الحديث النَّبوي الشَّريف، ويؤصل وحدة بنائه، ويثري دلالاته، ومن بديع هذا اللون[3] التَّناسب بين **باب فضل من استبرأ لدينه، وباب أداء الخمس من الإيمان.**

---

[1]– المصدر نفسه، كتاب الوضوء: باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، م1، ص67.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج3، ص 114.

[3]– ومثاله: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب لا يبصق عن يمينه في الصلاة، م1، ص116.

– المصدر نفسه، كتاب الصلاة: باب ليبزق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى، م1، ص117.

– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب قول الله تعالى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً}، م1، ص 45.

– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب من خص قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، م1، ص 45.

وأما باب الحديث النَّبوي الأول: **فعَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشير – رَضِيَ الله عنهما–، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ– ρ– يَقُول: "الحَلالُ بَيّنٌ والحَرامُ بَيّنٌ وَبيْنِهما مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُها كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، ومَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعِي يَرْعَى حَولَ الحِمى يُوشِكُ أَن يُواقِعَهُ، أَلا وَإِنّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلا إنّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وإنّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كُلُّهُ وَإِذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وهْيَ القَلبُ"**[1]. وفي حديث الباب الثَّاني: **عَن بْنِ عبَّاسٍ – رَضِي الله عَنْهُمَا–، قَالَ: "إِنَّ وَفدَ عَبدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوا النَّبِي ρ، قَالَ: من الْقَوْم أَو مَنِ الْوَفْدِ؟ قَالُوا: رَبيعَةُ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالقَومِ أَو بِالوَفدِ غَيرَخَزَايَا وَلَا نَدَامَى، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَا نَستَطِيعُ أَن نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشّهرِ الْحَرَامِ، وَبَينَنا وَبَيْنَك هَذَا الْحَيُّ مِن كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرنَا بِأَمْرٍ فَصلٍ نُخبِر بِهِ مَن وَرَاءَنَا، وَنَدخُل بِهِ الْجنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشرِبَةِ فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُم عَن أَربَعٍ، أَمَرَهُم بِالْإِيمَانِ بِاللَّه وَحدَهُ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحدَه؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أعلمُ قَالَ: شَهَادَةُ أَن لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصِيَامُ رَمَضَان وَأَن تُعطُوا مِنَ الْمَغنَمِ الْخُمُس، وَنَهاهُم عَن أَربَعٍ: عَن الحَنتَمِ وَ الدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ والمُزَفَّتِ، وَقَالَ: احفَظُوهُنَّ وَأَخبِرُوا بِهِنَّ مَن وَرَاءَكُم"** [2].

قسَّم النَّبي – ρ– في حديث الباب النَّبوي الأول الأمور من حيث الحكم الشَّرعي إلى ثلاثة أقسام، يتناول القسم الأول الحلال: وهي الأمور التي ثبتت إباحتها بالأدلة القطعية، أما القسم الثاني فيركز على الحرام: وهي الأمور التي ثبتت حرمتها بالأدلة القطعية، والقسم

[1]– المصدر نفسه، كتاب الإيمان: باب فضل من استبرأ لدينه، م1، ص 22.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان: باب أداء الخمس من الإيمان، م1، ص23.

الثَّالث: هو القسم الذي حذر الرسول –ρ– منها: وهو الوقوع في الشُّبهات التي لم تثبت حرمتها وإباحتها، ولقد شبه النَّبي– ρ– من يقترف هذه الشُّبهات بالرَّاعي الذي يرعى حول الحمى، ومن اجتنب الشُّبهات برأ دينه من النَّقص، وعرضه من الطعن فيه، **أما في حديث الباب النَّبوي الثَّاني** فقد مدح الرَّسول –ρ– قوم عبد قيس للاهتمامهم بأمور دينهم والأعمال الصالحة التي تدخلهم الجنة وتبعدهم عن النار، ولهذا أمرهم الرسول – ρ– بالإيمان بالله عز وجل وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من الغنائم، ونهاهم عن جملة من الأمور التي تدخلهم النار كـ: (الحنتم والدباء والنقير والمزفت) [1].

وفي كلا البابين نجد جامعًا وقاعدة واحدة تتفرع منها المعاني والدِّلالات، وتدور في دائرة التَّأكيد على قواعد الإسلام وأصول الأعمال في الدِّين، وأنها لا تخرج عن كون الشريعة الإسلامية أوامر ونواهي، فـ "المذكور في الباب الأول هو الحلال الذي هو المأمور به، والحرام الذي هو المنهي عنه، فكذلك في هذا الباب، المذكور هو المأمور به، والمنهي عنه. أما المأمور به فهو: الإيمان بالله ورسوله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وإعطاء الخمس، وأما المنهي عنه فهو: الحنتم وأخواتها "[2] .

**ومنه: – أيضًا– التَّناسب الواقع بين باب إثم من كذب على النَّبي ρ، وباب كتابة العلم،** ففي باب الحديث الأول: **عن عَلِي – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، قَالَ: " سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – ρ–**

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ص 305، الحنتم: هي الجرار الخضر يجلب فيها الخمر، الدباء: اليقطين اليابس أي الوعاء منه وهو القرع، النقير: جذع ينقرون وسطه وينبذون فيه، النقير: نقر أصل النخلة ثم ينتبذ الرطب واليسر ثم يترك حتى يهدر ثم يموت، المزفت: الأوعية التي فيها الزفت.

[2]– المصدر نفسه ، ج1، ص 302.

**يَقُول: " لَا تَكْذِبُوا عليَّ، فإنَّهُ مَنْ كَذَبَ عليَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ"** [1]. وأما حديث الباب الثَّاني: **فعَن أَبِي جُحَيْفَةَ قالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍ بنِ أَبِي طَالِبٍ هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ؟ قَالَ: لاَ! إلاَّ كِتابُ اللَّهِ أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قالَ: قُلْتُ: فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟ قالَ: العَقْلُ، وَفَكاكُ الأَسِير، ولاَ يُقْتلُ مُسْلِمٌ بكافِرٍ"**[2].

حذر رسول الله– ρ– أن ينسب إليه أي حديث لم يصدر عنه أو يخبره أو يفعله، مغبة من يفتري عليه كذبًا بأن مصيره الولوج في النار، إذ "جعل الأمر بالولوج مسببًا عن الكذب؛ لأن لازم الأمر الإلزام، والإلزام يولج النار بسبب الكذب عليه "[3]، وعلى هذا يكون باب الحديث النّبوي الثَّاني مؤكدًا لأهمية تدوين الحديث النَّبوي؛ خوفا عليه من "الضياع والاندراس "[4]؛ فطلب الرَّسول – ρ– منهم كتابًا يحفظ ما يقوله – ρ– ليكون لهم هاد ومرشد فلا يميلوا بعده، ولا يرجعوا بعده كفارًا، وقد حث هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على "الاحتراز عن الكذب في النَّقل عن رسول الله ρ، وفي هذا الباب أيضًا حث على الاحتراز عن ضياع كلام الرَّسول – ρ– ، ولا سيما من أهل هذا الزَّمان؛ لقصور هممهم في الضبط، وتقصيرهم في النقل"[5].

وقد خلص هذا الفصل إلى نتيجة مفادها، أن علم المناسبة له جانب أساسي من جوانب فهم النَّظم النَّبوي، وإحكام بيانه، وانتظام كلام رسول الله –ρ– من خلال العلاقات التَّناسبية

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم: باب إثم من كذب على النبي ρ، م1، ص40.

[2]– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب كتابة العلم، م1، ص40.

[3]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج1، ص 201.

[4]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 158.

[5]– المصدر نفسه.

كـ : (التَّكميـل والتَّوضـيح، والتَّفصـيل بعـد الإجمـال، و السـؤال والاستفسـار وبيـان الحكـم والتناسب على أساس التأكيد والمقابلة) التي تربط بين الأحاديث النَّبوية الشَّريفة.

## المبحث الثَّاني: وجوه التَّناسب في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة.

**المطلب الأول: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشَّريف وما قبله مباشرة.**

**المطلب الثَّاني: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشَّريف وما بعده مباشرة.**

**المطلب الثَّالث: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشَّريف وما قبله عمومًا.**

**المطلب الرَّابع: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشَّريف وما بعده عمومًا.**

**المطلب الخامس: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشَّريف والكتاب الذي ورد فيه.**

## المطلب السَّادس: التَّناسب في اختيار الحديث النَّبوي الشَّريف الخاتم لكل كتاب.

## المطلب السَّابع: التَّناسب في آخر الحديث النَّبوي الشَّريف وأوله

### المطلب الأول: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشَّريف وما قبله مباشرة.

يهدف هذا النوع من التَّناسب إلى البحث في الأسرار البلاغية التي تقود إلى التَّدبر والتَّفكر لإبراز أوجه الإعجاز البلاغي، والوقوف على النَّسق النَّبوي والاطلاع على معاني الأحاديث النَّبوية الشَّريفة ومراميها، وكشف التَّلاحم والتَّعانق الذي يربط الحديث الشَّريف بما قبله، فقد تتصل هذه الأحاديث النَّبوية الشَّريفة بما قبلها مباشرة بأساليب بلاغية تناسبية تسهم في كشف وجه المناسبة المراد، ومن هذه الأساليب: أسلوب التَّحذير والوعيد، وما يمثل هذا الأسلوب: **عن عَلِي – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، قَالَ: " سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – ρ– يَقُول: "لاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ"**[1]، وقد سُبق هذا الحديث النَّبوي بحديث نبوي آخر، فـ **عنْ أبي بَكْرَةَ ذُكِرَ النبيُّ– ρ – قَالَ: " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ"**[2].

---

[1]– البخاري صحيح البخاري، كتاب العلم: باب إثم من كذب على النبي ρ، م 1، ص40.

[2]– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، م1، ص 39.

يرشد الحديث النَّبوي الشَّريف الأول إلى تحريم الكذب على الرَّسول –ρ–؛ فلا ينسب إليه أي حديث لم يصدر عنه، لأنه من كذب عليه عامدًا متعمدًا سيكون مصيره نار جهنم، وأما الحديث النَّبوي الشَّريف الثَّاني؛ فقد أوصى الرَّسول –ρ– بتبليغ العلم وإيصاله إلى من لا يعلم مع مراعاة عدم الافتراء على رسول الله –ρ–، ونسب أحاديث لم تصدر عنه.

ومن هذا كله نلحظ أنَّ الرَّابط التَّناسبي الذي يربط بين هذا الحديث النَّبوي الشَّريف وما قبله قائم على أسلوبيّ التَّحذير والوعيد من مغبة الكذب على رسول الله –ρ–.

ومن التَّناسب – أيضًا – في هذا المقام ما يكون على أساس أسلوب التَّأكيد؛ فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –ρ– يقول: "**قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نِبِيًّاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ فأمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فأوْحَى اللهُ إلَيْهِ: أنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أحْرَقَتْ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ**"[1]، وأما الحديث النّبوي الذي قبله؛ **فعَنْ أنَس بنِ مالِكٍ – رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ– قَالَ: "إنَّ رَهْطًا مِنْ عُكْلٍ ثَمَانِيَةً، قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ –ρ– فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْغِنَا رِسْلاً، قَالَ: مَا أَجِدُ لَكُمْ إِلاَّ أَنْ تَلْحَقُوا بِالذَّوْدِ، فَانْطَلَقُوا فَشَرِبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا حَتَّى صَحُّوا وَسَمِنُوا، وَقَتَلُوا الرَّاعِيَ، وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ، فَأَتَى الصَّرِيخُ النَّبِيَّ –ρ–، فَبَعَثَ الطَّلَبَ، فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ حَتَّى أُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ثُمَّ أَمَرَ بِمَسَامِيرَ فَأُحْمِيَتْ فَكَحَلَهُمْ بِهَا وَطَرَحَهُمْ بِالْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَمَا يُسْقَوْنَ حَتَّى مَاتُوا"**[2].

بين الحديث النَّبوي الأول جواز التَّعذيب في النّار؛ إذ إن النَّبي موسى – عليه السَّلام– حرق بيت نمل مرة؛ لأن نملة واحدة قرصته، وقد عوتب؛ لأنه أحرق بيت نمل كامل بذنب

[1]– البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير: باب، م2، ص343.

[2]–المصدر نفسه، كتاب الجهاد والسير، باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق؟، م2، ص 343.

نملة واحدة، فلو "أحرق التي قرصته لما عوتب"[1]، ويذكر أن سبب هذه القصة أن سيدنا موسى – عليه السَّلام– " مرّ على قرية أهلكها الله بذنوب أهلها، فوقف متعجبًا فقال: يا رب كان فيهم صبيان ودواب ومن لم يقترف ذنبًا، ثم نزل تحت شجرة فجرت له هذه القصة؛ فنبهه الله على أن الجنس المؤذي يقتل، وإن لم يؤذِ وتقتل أولاده وإن لم تبلغ الأذى"[2] .

ويشير الحديث النَّبوي الثَّاني أن الرَّهط عندما غدروا وقتلوا الرَّاعي، وسبوا البهائم، طبق عليهم رسول الله – حد الحرابة؛ فقطع أيديهم وأرجلهم، وعاقبوهم بالنَّار، فحكلهم بمسامير، وطرحهم أرضا حتى ماتوا، فـ " المحارب وقاطع الطَّريق إذا قتل لا بد من قتله؛ لأن النّبي – قتل هؤلاء العرنيين المذكورين في الحديث أما إذا خاف السبيل، أو سرق المال"[3].

ولعل وجه مناسبة هذا الحديث النَّبوي بما قبله ظاهرة تقوم على أساس التَّأكيد على جواز استعمال النّار في كلا الحديثين، وإهلاك الجميع بذنب الواحد؛ أي أنه "إذا اختلط من يستحق الإهلاك بغيره وتعين إهلاك الجميع طريقًا إلى إهلاك المستحق جاز إهلاك الجميع"[4].

---

[1]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج5، ص 151.

[2] – القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج5، ص 151.

[3] – قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج1، ص288.

[4] – القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج5، ص 151.

## المطلب الثَّاني: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشَّريف وما بعده مباشرة.

وكما يرتبط الحديث النَّبوي الشَّريف بما قبله مباشرة، فإنه يرتبط كذلك بالأحاديث النَّبوية الشَّريفة التي تأتي بعده مباشرة[1]، مثال ذلك: **عَن بْنِ عبَّاسٍ – رَضِي الله عَنْهُمَا–، قَالَ: "إِنَّ وَفدَ عَبدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوا النَّبِي ρ، قَالَ: من الْقَوْم أَو مَنِ الْوَفْدِ؟ قَالُوا: رَبيعَةُ، قَالَ "مَرْحَبًا بِالقَومِ أَو بِالوَفدِ غَيرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَا نَستَطِيعُ أَن نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشّهرِ الْحَرَامِ، وَبَينَنا وَبَيْنَك هَذَا الْحَيُّ مِن كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرنَا بِأَمْرٍ فَصلٍ نُخبِر بِهِ مَن وَرَاءَنَا، وَنَدخُل بِهِ الْجنَّةَ، وَسَألُوهُ عَنِ الأَشرِبَةِ فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُم عَن أَربَعٍ، أَمَرَهُم بِالْإِيمَانِ بِاللَّه وَحدَهُ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحدَه؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أعلمُ قَالَ: شَهَادَةُ أَن لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصِيَامُ رَمَضَان وَأَن تُعطُوا مِنَ الْمَغنَمِ الْخُمُس، وَنَهاهُم عَن أَربَعٍ: عَن الحَنتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ والمُزَفَّتِ، وَقَالَ: احفَظُوهُنَّ وَأَخبِرُوا بِهِنَّ مَن وَرَاءَكُم"**[2]. وقد أردف هذا الحديث بحديث نبوي آخر، **فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطابِ – رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ–، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ –ρ– يَقُول: "الأَعْمَالُ**

---

[1]– ينظر على سبيل المثال:

– البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم: باب السمر في العلم، م1، ص 42.

– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب حفظ العلم، م1، ص42.

– المصدر نفسه، كتاب الآذان: باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة، وكان ابن عمر يبدأ بالعشاء، م1، ص 176.

– المصدر نفسه، كتاب الآذان: باب إذا دعي الإمام إلى الصلاة وبيده ما يأكل، م1، ص 177.

– المصدر نفسه، كتاب الصوم: باب حق الجسم في الصوم، م1، ص 55.

– المصدر نفسه، كتاب الصوم: باب صوم الدهر، ج1، ص 55.

[2]– المصدر نفسه، كتاب الإيمان: باب أداء الخمس من الإيمان، م1، ص23.

**بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"[1].**

لما ذكر في الحديث النَّبوي الشَّريف الأول الأعمال التي يدخل بها المسلم الجنة من إيمان بالله ورسوله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس، والأعمال التي يتجنبها خوفًا من غضبه – سبحانه وتعالى– عليه[2]، اتصل هذا الحديث النَّبوي الشَّريف بما بعده؛ ليؤكد أنَّ هذه العبادات مرتبطة بالنية؛ فلكل امرئ نية ما نوى، فمن قصد بعمله تحقيق منفعة مادية أو دنيوية، لم يُحصل إلا على تلك النّية، وفاته الأجر والثَّواب. أما من قصد بعمله وطاعته وجه الله عز وجل؛ للتَّقرب منه، وابتغاء مرضاته، فقد نال الأجر والثّواب العظيم الذي يستحقه.

ومن أجل إبراز معنى هذه الأحاديث النَّبوية، وإظهار وجه التَّناسب في وحدة تأليفها واتساق ألفاظها ذكر هذا الحديث النّبوي عقيب حديث النّية، فـ" المذكور في الحديث الأول هو الأعمال التي يدخل بها العبد الجنة، ولا يكون العمل عملًا إلا بالنية والإخلاص؛ فلذلك ذكر هذا الحديث"[3] تذكيرًا وتكميلًا لدِّلالة الحديث النَّبوي الشَّريف الأول.

ومنه – أيضًا –: **عن أنسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: أَنَّ النَّبِيَ ρ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحلِ، قَالَ: يَا مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدِيك قَالَ: يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَبيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدِيكَ ثَلَاثًا، قَالَ: مَا مِن أَحَدٍ يَشْهَدُ أَن لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدقًا مِن**

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان: باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى، م1، ص 23.

[2]– تم تفصيل الأعمال التي نهى عنها رسول الله–ρ– في ص 27 .

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج1، ص 312.

**قَلبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلا أُخبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَستَبشِروا، قَالَ: إِذًا يَتَّكِلوا، وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوتِهِ تَأَثُّمًا"**[1]، و أما الحديث النَّبوي الذي جاء بعده، **فـ: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا– قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَستحيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرأَةِ مِنْ غُسْل إذا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ – ρ –: "إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ، فَغَطَّتْ أمّ سَلَمَةَ تَعْنِي وَجْهَهَا، وقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ وَتَحْتَلِمُ الْمَرأَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ تَرِبتَ يَمِينُكِ، فبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا"**[2].

لما بين رسول الله –ρ– في الحديث النّبوي الأول " أنه يجب أن يُخَص بالعلم قومٌ فيهم الضبط وصحة الفهم، ولا يبذل المعنى اللطيف لمن لا يستأهله من الطلبة ومن يخاف عليه الترخص والاتكال لتقصير فهمه"[3]، أعقبه بالحديث الشريف الثاني تنبيهًا أنه لا حياء في طلب العلم، والسؤال في أمور الدَّين الإسلامي، فـ " لا ينبغي لأحد أن يستحي من السؤال مما له فيه حاجة زاعمًا أن العلم مخصوص بقوم دون قوم؛ بل عليه أن يسأل عن كل ما لا يعلمه من أمر دينه ودنياه"[4]، فجاء التناسب بين الحديثين تنبيهًا بضرورة السُؤال وعدم الحياء في الأسئلة الدينية.

---

[1]–البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم: باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، م1، ص 46.

[2]– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب الحياء في العلم، م1، ص 46.

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 208.

[4]– المصدر نفسه، ص 210.

## المطلب الثَّالث: التَّناسب بين الحديث النَّبوي وما يأتي قبله عمومًا.

يمثل هذا الضَّرب من التَّناسب[1] مسلكًا هامًا في توضيح الأحكام النَّبوية، وبيان دلالاتها والإحاطة بتفاصيلها؛ فعلاقة الحديث النّبوي الشَّريف بما يأتي قبله عمومًا لا تنفصل عن كونها مرتبطة دلاليًا بالمضمون العام للكتاب الذي جاء فيه، وما نلحظه في **باب التَّيمن في الوضوء والاغتسال** خير برهان لتأكيد هذا النوع من التَّناسب؛ فـ: **عَن أم عَطِيَّة – رَضِيَ الله عَنْهَا– قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ–ρ–: " ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا"**[2]. وقد سبق هذا الحديث النَّبوي الشَّريف أحاديث نبوية أخرى، مثال ذلك: **عَن أَبَي – هُرَيْرَةَ رَضِي اللهُ عَنه– عَن النَّبيّ – ρ– أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ تَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ، ومَنِ اسْتجْمَرَ فَلْيُوتِرْ"**[3]. **وعَنْ بنِ عَمْرٍو – رَضِيَ اللهُ عَنْهُما– قَالَ: تَخَلَّفَ النَّبيُّ– ρ– عَنَّا فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا، فَادْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقَنَا العَصْرُ فَجَعلْنا نَتَوَضَّأُ وَنَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلنَا فَنَادَي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: ( وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ) مَرَّتَيْنِ أوْ ثَلاثاً"**[4]، **وعَن أَبي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أنهُ قَالَ: " أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ؛ فَإِنَّ أَبَا القَاسِمِ – ρ– قَالَ: " وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ"**[5].

والملاحظ على هذه الأحاديث النّبوية الشَّريفة أنها تتناول أحكام الوضوء لكل من الرجلين والمسح على النعلين، وغسل الأعقاب، والمضمضة والاستنثار. ويتناول الحديث النّبوي

---

[1]– للوقوف على أحاديث نبوية أخرى في هذا المبحث، انظر :البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء: باب الوضوء مرة مرة، م1، ص 53.

– المصدر نفسه، كتاب الوضوء: باب السواك، م1، ص 73.

– المصدر نفسه، كتاب الصلاة: باب فضل استقبال القبلة، م1، ص 112.

[2]– المصدر نفسه، كتاب الوضوء: باب التيمن في الوضوء والاغتسال، م1، ص 56.

[3] – المصدر نفسه، كتاب الوضوء، باب الاستنثار في الوضوء، م1، ص 54.

[4]– المصدر نفسه، كتاب الوضوء، باب غسل الرجلين ولا يمسح على القدمين، م1، ص 54.

[5] – المصدر نفسه، كتاب الوضوء، باب غسل الأعقاب، م1، ص 55.

الأول – أيضًا– حكمًا من أحكام الوضوء، وهو "استحباب تقديم الميامن على المياسر في الوضوء والغسل وغيره من الأعمال الشريفة"[1].

وبناء على هذا يظهر وجه التَّلاحم والتَّناسب بين هذا الحديث النّبوي والأحاديث النّبوية التي سبقته في اشتمالها على أحكام الوضوء التي لا تصح الصَّلاة بدونه.

ومنه: – أيضًا– **عَن عَمَّارِ بْنِ يَاسِر– رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– أنه قَالَ لِعُمرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: " أَمَا تَذْكُر أَنَّا كُنَّا في سَفَرٍ أنا وَأَنْتَ، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فَصَلَّيْتُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ – ρ– فَقَالَ النَّبِيُّ – ρ–: " إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا " فَضَرَبَ بِكَفَّيْهِ الأَرْضَ، ونَفَخَ فِيهِمَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ"** [2].

سبق هذا الحديث النّبوي الشَّريف أحاديث نبوية أخرى توضح أحكام التيمم؛ **فعنْ عائِشَةَ– رَضِيَ اللهُ عَنْهَا– أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ منْ أَسْماءَ قِلاَدَةً فَهَلَكَتْ، فَبَعَثَ رسولُ اللَّهِ – ρ– رَجُلًا فَوَجَدَها، فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلاةُ وَلَيْسَ مَعَهُمْ ماءٌ فَصَلَّوْا، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى رسولِ الله–ρ– فأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ، فقالَ أَسَيْدُ بنُ حُضَيرٍ لِعَائِشَةَ: " جَزَاكِ اللَّهُ خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ تَكْرَهِينَهُ إلاَّ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكِ وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ خَيْرًا"** [3] .

---

[1]– قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج1، ص265، والعسقلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج1، ص 252.

[2]– البخاري، صحيح البخاري، كتاب التيمم: باب المتيمم هل ينفخ فيهما، م1، ص96.

[3] – المصدر نفسه، كتاب التيمم، باب إذا لم يجد ماء ولا ترابًا، م1، ص 96.

**وعَنْ أَبي جُهَيْم – رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ– قَالَ: " أَقْبَلَ النَّبِـيُّ – ρ – مِنْ نَحْوِ بِئْرِ جَمَل فَلَقِيَـهُ رَجُلٌ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ – ρ– حتَّى أَقْبَلَ علَى الْجِدَارِ، فَمَسَحَ بِوَجْهِهِ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ"** [1].

نجد أن هذه الأحاديث النَّبوية الشَّريفة تناولت أحكام التيمم في حال لم يجد المتيمم ماء أو ترابًا، أو جواز التيمم في الحضر عند عدم الحصول على الماء، ويوضح الحديث النَّبوي الشَّريف الأول– أيضًا–حكم النفخ في اليدين إذا علق بهما تراب بعد التيمم، فتناسب هذا الحديث الشَّريف بما قبله عموما؛ لأن " المذكور فيما قبل هذا الباب أحكام التيمم، والنفخ فيه أيضًا من أحكامه" [2].

[1] – البخاري، صحيح البخاري، كتاب التيمم: باب التيمم في الحضر إذا لم يجد الماء وخاف فوت الصلاة، م1، ص 96.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج4، ص17.

## المطلب الرابع: التَّناسب بين الحديث النَّبوي وما يأتي بعده عمومًا.

إن موقع الحديث النَّبوي وحسن اقترانه وما يأتي بعده عمومًا من المباحث المهمة التي تكشف عن اللطائف الأسلوبية والنكات الذَّكية وجمال أسرارها التناسبية[1]؛ مثال ذلك: **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –ρ– :" لَا تُقبَلُ صَلَاةُ مَن أَحدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأ، قَالَ رَجُلٌ مِن حَضرَمَوتَ: مَا الْحَدَثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: فُسَاءٌ أَو ضُرَاطٌ"[2].**

يبين هذا الحديث النَّبوي أن الوضوء هو الشَّرط الأساسي الذي تقوم عليه الصلاة؛ فإن صح الوضوء صحت الصلاة، وإن فسد الوضوء ترتب عليه بطلان الصلاة وفسادها.

ويأتي بعد هذا الحديث النَّبوي المتناول حديث نبوي آخر يبين أن من تيقن من طهوره وشك في الحدث لا يبطل وضوؤه، **فـعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدَ بْنِ عَاصِم المَازِنِيّ الأَنْصَارِي – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: أَنه شكا إِلَى رَسُول الله –ρ– الرّجُلُ الَّذِي يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَجِدُ الشَّيْءَ فِي الصَّلَاة، فَقَالَ: لَا يَنْفَتِل أَو لَا يَنْصَرِف حَتَّى يَسمَعَ صَوتًا أَو يَجِدَ رِيحًا" [3]**، كما جاء بعده – أيضًا– أحاديث نبوية أخرى تبين فضل الوضوء؛ **فـعَنْ أَبِي هرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْه– قَالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ –ρ– يَقُول: " إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَومَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجّلِينَ مِنْ آثارِ الْوُضوءِ، فمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يطِيلَ غرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ"[4].**

---

[1]– ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب إذا لم يجد ماء ولا ترابا، م1، ص 96.
– المصدر نفسه، كتاب الوضوء: باب التسمية على كل حال وعند الوقاع، م1، ص 50.

[2]– المصدر نفسه، كتاب الوضوء: باب لا تقبل صلاة بغير طهور، م1، ص 48.

[3] – المصدر نفسه، باب من لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن، م1، ص 48.

[4] – المصدر نفسه، باب فضل الوضوء والغر المحجلون من آثار الوضوء، م1، ص 48.

والملاحظ أن هذه الأحاديث النَّبوية الشَّريفة تتناول الشرط الأساس لصحة الصلاة والحث عليه، ألا وهو الوضوء، وعليه تقوم المناسبة بين هذا الحديث النَّبوي وما بعده من أحاديث نبوية؛ "لأن الكتاب في أحكام الوضوء والغسل اللذين لا تجوز الصلاة أصلًا إلا بأحدهما"[1].

ومنه – أيضًا–: **عَنْ مُحَمَّدِ بنِ المُنْكَدِرِ قَالَ: " صَلَّى جَابِرٌ فِي إِزَارٍ قَدْ عَقَدَهُ مِنْ قِبَلِ قَفَاهُ وَثِيَابُهُ مَوْضُوعَةٌ عَلَى الْمِشْجَبِ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: تُصَلِّي فِي إِزَارٍ وَاحِدٍ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا صَنَعْتُ ذَلِكَ لِيَرَانِي أَحْمَقُ مِثْلُكَ، وَأَيُّنَا كَانَ لَهُ ثَوْبَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ –ρ–؟**[2]".

وقد جاء بعد هذا الحديث النَّبوي أحاديث نبويّة أخرى تبين أحكام الثياب؛ شاهد هذا: **عَنْ عُمَرَ بنِ أبي سَلَمَة أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ –ρ– يُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ مُشْتَمِلًا بِهِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ وَاضِعًا طَرَفَيْهِ عَلَى عَاتِقَيْهِ"**[3]. **و عَنْ سَهلِ بن سعدٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ: " كَانَ رِجَالٌ يُصَلُّونَ مَعَ النَّبِيِّ –ρ– عَاقِدِي أُزْرِهِمْ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ كَهَيْئَةِ الصِّبْيَانِ، وَقَالَ لِلنِّسَاءِ: "لاَ تَرْفَعْنَ رُؤُوسَكُنَّ حَتَّى يَسْتَوِيَ الرِّجَالُ جُلُوسًا"**[4].

ولعلَّ الرَّابط التَّناسبي بين الحديث النَّبوي المذكور وما بعده من أبواب واضح الدلالة؛ "لأن الكل في أحكام الثَّياب"[5].

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج4، ص 40.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة: باب عقد الإزار على القفا، م1، ص 103.

[3]– المصدر نفسه، كتاب اللباس: باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفا به، م1، ص103.

[4]– المصدر نفسه، كتاب اللباس: باب إذا كان الثوب ضيقا، م 1، ص 105.

[5]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج4، ص 56 .

## المطلب الخامس: التَّناسب بين الحديث النَّبوي الشَّريف والكتاب الذي جاء فيه.

ومن لطيف التَّناسب في صحيح البخاري تتبعه – رحمه الله– لجمل أحاديث نبوية معينة وربطها بعنوان الكتاب[1]، من ذلك: **عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا– قَالَتْ: " لَمَّا أُنْزِلَتِ الآيَاتُ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي الرِّبَا خَرَجَ النَّبِيُّ –ρ– إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَرَأَهُنَّ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ حَرَّمَ تِجَارَةَ الْخَمْرِ"[2].**

يريد الرَّسول –ρ– أن يؤكد لأمته حرمة تناول الخمر؛ لما لها من ضرر جسيم على صحة الجسم النفسية والعقلية والجسمية، فتحجب العقول وتغيبها، وتوقع الإنسان في الرَّذائل والمعاصي وغضب الله – عز وجل–، وتنهي حياته وأحلامه. ومن المعروف أن المسجد مكان مخصص للعبادة والتَّقرب لله تعالى، فيكون منزهًا عن الفواحش والرَّذائل، ولكن الله – عز وجل– أجاز ذكرها في المسجد؛ لحكمة نبويّة تتجلى في تنفير المسلمين منها والنهي عنها، وقد قال العيني في مناسبة ذلك: " إن المسجد لما كان للصلاة ولذكر الله تعالى منزهًا من الفواحش، والخمر والربا من أكبر الفواحش يمنع من ذلك، فلما ذكر الشارع تحريمها في المسجد، ذكر أنه لا بأس بذكر المحرمات والأقذار في المسجد على وجه النهي عنها، والمنع منها" [3].

---

[1]– ينظر: البخاري: صحيح البخاري: كتاب الدعوات: باب الموعظة ساعة بعد ساعة، م4، ص 201.
– المصدر نفسه، كتاب الحيل: باب احتيال العامل ليهدى له، م4، ص 341.
– المصدر نفسه، كتاب الاستئذان: باب حفظ السر، م4، ص 172.
– المصدر نفسه، كتاب المظالم: باب من قاتل دون ماله، م2، ص 188.
– المصدر نفسه، كتاب الجهاد والسير: باب الحور العين وصفتهن، م2، ص287.

[2]– المصدر نفسه، كتاب الصلاة: باب تحريم تجارة الخمر في المسجد، م1، ص 128.

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ص231، ج4، والعسقلاني: فتح الباري لشرح صحيح البخاري، ج1، ص554.

ومن هذا الباب – أيضًا–: **عنْ أبي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ النبيُّ** – ρ–: **" لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى: يُقْبَضَ العِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، ويَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ ويَكْثُرَ الهَرْجُ وَهُوَ – القَتْلُ القَتْلُ حتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ"**[1].

ورد هذا الحديث النَّبوي الشَّريف في كتاب الاستسقاء، إذ يصف العلامات والأدلة التي تسبق ظهور يوم القيامة كـ: (قلة العلم، وكثرة وقوع الزلازل، وظهور الفتن، وكثرة القتل).

وأما وجه مناسبته لكتاب الاستسقاء فإنه يتصل بجملة (تكثر الزلازل)؛ "لأن وجود الزلزلة ونحوها يقع غالبًا مع نزول المطر"[2].

ومن البيان النَّبوي في هذا المضمار سوق حديث قتل الخنزير في كتاب البيوع، **فـ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ– يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ**–ρ– : **" والَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، ويَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، ويَضَعَ الجِزْيَةَ، ويَفِيضَ المالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أحدٌ "**[3].

لقد حرّم الله – عز وجل– بيع الخنزير وأكل لحمه، كما أنه أجاز قتله؛ لما له من ضرر على صحة الإنسان، ووجه المناسبة واضح الدلالة في "أن ما أمر بقتله لا يجوز بيعه" [4].

## المطلب السَّادس: التَّناسب في اختيار الحديث النَّبوي الشَّريف الخاتم لكل كتاب.

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء: باب ما قيل في الزلازل والآيات، م1، ص 265.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ص 57، ص7، و العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج2، ص521.

[3]–البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع ، باب قتل الخنزير، م2، ص 114.

[4]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج4، ص105.

يعد هذا المطلب التَّناسبي أبعد غورًا وألطف مسلكًا في علم المناسبة كونه المحطة الأخيرة التي تستثير منابع الثَّلاحم النَّبوي، وتجاذب الأسرار والنَّكات البلاغية؛ لأنه يحوي أبرز القواعد والمبادئ الأساسية التي يقوم عليها مقاصد الحديث النَّبوي وأغراضه، ومن لطيف ما عرض له البخاري – رحمه الله– : **عَنْ جرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ البجلِيّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: "بَايَعْتُ رسولَ اللَّهِ –ρ– علَى إِقَامِ الصَّلاَةِ وإِيتَاءِ الزَّكاةِ والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ"**[1].

يوضح هذا الحديث النَّبوي الشَّريف الرَّكائز الأساسية التي يقوم عليها الدَّين الإسلامي، وقد مثلت الصَّلاة أول هذه الركائز؛ لأنها رأس العبادات البدنية التي يستشعر فيها المسلم قربه من الله – عز وجل–، فيتقرب بها إليه، وينال رضاه، ومن ثم الزَّكاة التي جعلت أساس العبادات المالية التي تطهر النفس، وتزيل البغضاء، وتزكي الروح، وتنمي المال وتثريه، أما النصيحة فقد جعلها الله – عز وجل– قرينة الصلاة والزكاة؛ لما لها من شأن عظيم بين المسلمين؛ فهي من كمال الإيمان بالله تعالى.

إن موقع هذا الحديث النَّبوي الشَّريف في خاتمة باب الإيمان يشير إلى موقعه التَّناسبي العظيم؛ فهو "حديث عظيم جليل حفيل، عليه مدار الإسلام، كما قيل: إنه أحد الأحاديث الأربعة التي عليها مدار الإسلام، فيكون هذا ربع الإسلام. ومنهم من قال: يمكن أن يستخرج منه الدليل على جميع الأحكام" [2]، أي أنه "وحده محصل لغرض الدين كله؛ لأنه منحصر في الأمور التي ذكرها"[3].

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وقوله تعالى (إِذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ)، م1، ص 24.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج1، ص 321.

[3]– العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1، ص138.

ومن الأمثلة – أيضًا– التي تجمع معاقد دلالاتها في هذا المضمار: **عَنْ البَرَاءِ بنِ عازِبٍ – رَضِـي الله عَنْهُمَـا– قَـالَ: قَـالَ رسـولُ الله – ρ–: "إِذَا أَتَيْـتَ مَضْـجَعَكَ فَتَوَضَّـأ وُضُـوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثمَّ اضْطَجِعْ علَى شِقِّكَ الأيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أمْرِي إلَيْكَ، وألجَأتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأ ولا مَنْجَا مِنْكَ إلَا إلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنتُ بِكِتَابِكَ الَّذي أنزلْتَ، وَنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ، فإنْ متَّ من لَيْلَتِكَ فَأنتَ عَلَى الفِطرةِ، وَاجْعَلهنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّم بِهِ ،قَالَ: فَرَدَّدتهَا عَلَى النَّبِيِّ – ρ–، فَلَمَّا بَلَغْت اللهمَّ آمَنْت بِكِتَابِكَ الذي أنزلْتَ، قلْت: وَرَسولكَ، قَالَ: لا! وَنَبيِّكَ الذي أرْسَلْتَ"**[1].

يدل هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على فضل استحباب الوضوء قبل النوم، والاضطجاع على الشَّق الأيمن، وقول هذا الدُّعاء، كما بين – أيضًا– فضل من ختم ليلته بهذا الدعاء؛ فإن مات فهو على ملة الإسلام.

وتكمن الحكمة في الاضطجاع على الشَّق الأيمن دون الأيسر؛ لأنه " أدعى إلى النَّشاط والاكتفاء بالقليل من النوم، وأعون على الاستيقاظ في آخر الليل، وأنفع للقلب لأنّه أخف عليه حيث يكون في الجهة العليا"[2].

ويختم البخاري – رحمه الله– كتاب الوضوء بهذا الحديث النَّبوي الشَّريف، لحكمة تناسبية ظاهرة تتمثل في: " أن الوضوء عند النَّوم مندوب إليه مرغوب فيه، وكذلك الدُّعاء، لأنه قد تقبض روحه في نومه فيكون قد ختم عمله بالوضوء والدعاء الذي هو أفضل الأعمال، ثم إن هذا الوضوء مستحب وإن كان متوضئًا كفاه ذلك الوضوء، لأن المقصود النوم على

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء: باب فضل من بات على الوضوء، م1، ص 74.

[2] – قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج1، ص299.

طهارة مخافة أن يموت في ليلته، ويكون أصدق لرؤياه وأبعد من تلعب الشيطان به في منامه"[1].

ويجعل البخاري – رحمه الله– باب قول الله تعالى: **(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)** [2]خاتمة كتاب التَّوحيد، الذي ورد فيه حديث نبوي شريف يرويه أبو هريرة – رضي الله عنه–، إذ قال رسول الله –ρ– : " **كَلِمتانِ حَبيبَتان إِلَى الرَّحْمنِ خَفِيفتانِ عَلى اللِّسانِ، ثَقيلَتانِ فِي المِيزانِ: سبْحان الله وبِحَمْدِهِ، سبْحانَ الله العَظِيمِ**"[3]، وقد ارتبطت دلالة هذا الحديث النَّبوي الشَّريف بالحديث الذي افتتح البخاري – رحمه الله– جامعه الصحيح؛ **فعَنْ عُمرَ بنِ الخطابِ قَالَ: سَمعتُ رَسُولَ اللهِ –ρ– : " إِنَّمَا الْأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلّ امرِئٍ مَا نَوَى، فَمَن كَانَت هِجرَتُهُ إِلَى دُنيَا يُصِيبُهَا أَو إِلَى امْرَأَةٍ يَنِكحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**"[4].

أي أن البدء بهذا الحديث النَّبوي الشَّريف يحمل دلالات جديدة غير التي في سياق الحديث عن خاتمة الكتاب، وذلك "لما كانت النية سابقة للعمل، بدأ بها في المقال رعاية للمقام" [5]، فأراد بهذا " إخلاص القصد وتصحيح النية"[6]، وخاتمة كتاب التوحيد هي الصلة الممتدة من نسيج مفتتح الكتاب، والباعثة لمعاني الخاتمة ومقاصدها؛ فجاء الختم بحديث

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج3، ص 189، والقسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج1، ص 312، والعسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1، ص 358.

[2] - سورة الأنبياء، آية47.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى **(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)**، م4، ص 496.

[4]–المصدر نفسه، كتاب الوحي: باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ρ، م1، ص5.

[5]– قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج5، ص 383.

[6]– العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج1، ص 22.

موازين الأعمال؛ "لأنها انتهاء غاية التّمام، فالبخاري بدأ بالنية التي يتوقف عليها صلاح العمل وفساده، وختم بالميزان الذي يتبين به مصير الإنسان من سعادة أو شقاء، تنبيهًا للقارىء إلى إخلاص النية في البداية، لما يترتب عليه من ثقل الميزان في النهاية، وذلك غاية المرام وحسن الختام"[1]. وقد زاد على هذه الدِّلالة، وتوجيهها نحو هذا المقصد قول العسقلاني: "إنه قصد ختم كتابه بما دل على وزن الأعمال لأنه آخر آثار التكليف؛ فإنه ليس بعد الوزن إلا الاستقرار في أحد الدارين إلى أن يريد الله إخراج من قضى بتعذيبه من الموحدين فيخرجون من النار بالشَّفاعة"[2] .

ودراسة التَّناسب فيما بين خاتمة الحديث والكتاب الذي وردت فيه تبرز الإيماضات الإعجازية في الأحاديث النَّبوية وما يتأتى فيها من خصوصيات بلاغية تناسبية.

## المطلب السّابع: التَّناسب بين آخر الحديث النّبوي الشّريف وأوله.

تتنوع أواخر الأحاديث النَّبوية الشَّريفة في أحاديث الجامع الصحيح تنوعًا تتحق به المناسبة، وتقوى به الرَّوابط والعلاقات المتفرعة من هذا التَّناسب، وقد كان قصد البخاري– رحمه الله– في هذا الوجه من التَّناسب الاستدلال على لحمة أواخر الأحاديث النَّبوية الشَّريفة

[1]– قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج5، ص 383.

[2]– العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج13، ص 542.

وتعاضدها مع فواتحها؛ فـ " هي مثل الفواتح في الحسن؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماع؛ فبهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعية مع يذان السَّامع بانتهاء الكلام حتى يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد" [1].

وتضم هذه الأحاديث النَّبوية الشَّريفة وشائج بلاغية تربط آواخر الأحاديث النبوية بأولها، ومن ثم تتعاضد هذه الوشائج؛ لإضاءة وجه التَّناسب الذي يروم الحديث النَّبوي الشَّريف توضيحه، وبيان أسراره، ومن أمثلة هذا التَّناسب: جاء دعاء الرسول –ρ – بزيادة التَّفقه في الدين منسجمًا مع العمل الذي قام به ابن عباس عندما وضع الماء للرسول –ρ– عند خروجه من الخلاء ليتوضأ به، فـ: " **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ –ρ– دَخَلَ الْخَلَاءَ فَوَضَعتُ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ: مَن وَضعَ هَذَا؟ فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدّينِ**"[2].

ناسب ذكر الدُّعاء في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف وما أنار فيه من دلالات وجه ذكر التَّناسب بين آخر الحديث النبوي المتمثل بـ : "اللَّهُمَّ فقهه فِي الدّين" وأوله، إذ لما رأى رسول الله –ρ– الفطنة والذَّكاء في تصرف ابن عباس، دعا له بالتفقه في الدِّين الإسلامي؛ وذلك لو وضع الماء في مكان بعيد؛ لتعذر الوصول إليه، واطلع الناس على رسول الله –ρ– وهو يقضي حاجته، فناسب أن يدعو له بالتفقه؛ " ليطلع به على أسرار الفقه في الدين؛ فينتفع وينفع وذلك لأنه وضعه عند الخلاء؛ لأنه كان أيسر له –عليه الصلاة والسلام– لأنه لو وضعه في مكان بعيد منه كان يحتاج إلى طلب الماء وفيه مشقة ما، ولو دخل به إليه كان

[1] – السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ج 3، ص366.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء: باب وضع الماء عند الخلاء، م1، ص 50.

تعرض للاطلاع على حاله وهو يقضي حاجته، فلما رأى ابن عباس هذه الحالة أوفق وأيسر استدل –عليه الصلاة والسلام– على غاية ذكائه مع صغر سنه فدعا له بما دعا به"[1].

ومنه – أيضًا–: قول رسول الله –ρ–: " **اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَإِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** "[2].

اقتضى مناسبة هذا الحديث النَّبوي الشَّريف ختمه باسمين من أسماء الله الحسنى (الحميد والمجيد)؛ فالحميد من صيغ المبالغة ، وهي: " مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ بِمَعْنَى الْمَحْمُودِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَهُوَ مِنَ الأَسماء الْحُسْنَى، وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ مُتَقَارِبَانِ، وَالْحَمْدُ أَعمهما لأَنك تَحْمَدُ الإِنسان عَلَى صِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ وَعَلَى عَطَائِهِ وَلَا تَشْكُرُهُ عَلَى صِفَاتِهِ"[3].

أما لفظة المجيد فجاءت – أيضًا– على وزن "فَعِيلٌ، مِنْهُ لِلْمُبَالَغَةِ؛ والمجيدُ: مِنْ صفاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلّ"[4]، كما أنها تدل على معان أخر كـ: "المُرُوءة والسَّخاء وَ الكَرَم والشَّرَف"[5]، وهذه المعاني التَّناسبية والدِّلالات الإيحائية فتحت مدخلًا في بيان جملة خاتمة الحديث النبوي بهذين الاسمين، تظهر أن رسول الله –ρ– استحق التحميد والتمجيد في أسمائه وصفاته، وكمال شرفه، وعظيم صفاته.

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 274، و القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج1، ص 234، والعسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1، ص 245.

[2]–البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات: باب هل يصلى على غير النبي –ρ– وقول الله تعالى: (**وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ**)، م4، ص 188.

[3]– ابن منظور: لسان العرب، مادة "حمد".

[4]– ابن منظور: لسان العرب، مادة "مجد".

[5]– المصدر نفسه.

فلما أثنى الله – عز وجل– بالصَّلاة على نبيه –ρ– و"عظمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود"[1]، كان الدُّعاء مشتملًا على التَّحميد والتَّمجيد، فتظهر بذلك وجه مناسبة ختم هذا الحديث النَّبوي الشَّريف بهذين الاسمين؛ فـ" المطلوب تكريم الله تعالى لنبيه –ρ– وثناؤه عليه والتَّنويه به وزيادة تقريبه وذلك مما يستلزم طلب الحمد والمجد"[2] .

وبهذا المطلب، يختم الفصل الأول الذي اتضح فيه أن علم المناسبة اهتم في منابع الدِّلالات التَّناسبية في أصول الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، وما تفرع من تراكيبها في توضيح المناسبات، وهذا كله يتطلب الدَّقة والفهم واللطف والعناية في تصنيف أوجه المناسبة، وردها إلى جذر الدِّلالة الذي نمت منه، وتفرعت عنه.

[1]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج6، ص 204.

[2]– المصدر نفسه، ج9، ص206.

# الفصل الثَّاني: التَّناسب اللغوي في أحاديث صحيح البخاري.

**وفيه أربعة مباحث:**

- **المبحث الأول: التَّناسب في المستوى الصَّوتي.**
- المطلب الأول: التَّناسب في صفات الأصوات المتضادة والمفردة.
- المطلب الثَّاني: التَّكرار الصوتي ودلالاته التَّناسبية .
- المطلب الثَّالث: الجناس ودلالاته التَّناسبية.
- **المبحث الثَّاني: التَّناسب في المستوى الصَّرفي.**
- المطلب الأول: بنية الأفعال ودلالاتها التَّناسبية.
- المطلب الثَّاني: بنية الأسماء ودلالاتها التَّناسبية.
- المطلب الثَّالث: أبنية المصادر ودلالاتها التَّناسبية.
- **المبحث الثَّالث: التَّناسب في المستوى النَّحوي.**
- المطلب الأول: التَّقديم والتَّأخير ودلالاته التَّناسبية .
- المطلب الثَّاني: الإظهار في موضع الإضمار ودلالاته التَّناسبية.
- **المبحث الرابع: التَّناسب في المستوى الأسلوبي.**
- المطلب الأول: التَّنكير ودلالاته التَّناسبية.
- المطلب الثَّاني: التَّعريف ودلالاته التَّناسبية.
- المطلب الثَّالث: الحذف ودلالاته التَّناسبية.

## المبحث الأول: التَّناسب في المستوى الصَّوتي.

**وفيه ثلاثة مطالب:**

- المطلب الأول: التَّناسب في صفات الأصوات المتضادة والمفردة.
- المطلب الثَّاني: التَّكرار الصَّوتي ودلالاته التَّناسبية .
- المطلب الثَّالث: الجناس ودلالاته التَّناسبية.

## توطئة:

الصوت من المحاور الأساسية في تكوين الكلام؛ فهو يمثل أصغر وحدة صوتية تشكل بناء الكلمات، وهذه الكلمات تجتمع لتكوين جمل وتراكيب تتميز بتمام المعنى الوظيفي واستقامته. ويُعرف الصوت بأنه "آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظًا ولا كلامًا موزونًا أو منشورًا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلامًا إلا بالتقطيع والتأليف" [1].

ويوظف الصوت داخل بنية اللفظ النبوي ليساهم في خلق دلالات تناسبية تنسجم والسياق الذي ورد فيه؛ إذ تتسم الألفاظ النبوية بتناسب ألفاظها، وتساوق معانيها، ورصف أصواتها؛ أي "أن توضع الألفاظ فى مواضعها، وتمكّن فى أماكنها"[2]، فتأتي الألفاظ متناغمة متآلفة لا تنافر فيها؛ وفي هذا يقول قدامة بن جعفر (ت 337هـ) في اللفظ: " أنْ يكون سمحًا، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة "[3].

ثم إن كلام أبي هلال العسكري (ت 359 هـ ) في هذا المضمار كلام بالغ الشأن، عظيم الأهمية؛ إذ أشار إلى شروط وضوح اللفظ وجمال المعنى الذي يكمن في حسن تأليفه، ورصف أصواته فيقول: "يزيد المعنى وضوحًا وشرحًا، ومع سوء التأليف، ورداءة الرّصف والتركيب شعبة من التّعمية، فإذا كان المعنى سبيًّا، ووصف الكلام رديًّا لم يوجد له قبول،

---

[1]- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب ( ت 255هـ): البيان والتبيين، د.ط، د.ت، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ، ج1، ص12.

[2]- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت 359 هـ): الصناعتين، د.ط، ت. علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت ، 1419، ج1، ص161.

[3]- البغدادي، قدامة بن جعفر ( ت 337هـ): نقد الشعر، ط1، د.ت،: مطبعة الجوائب – قسطنطينية، ج1، ص8.

ولم تظهر عليه طلاوة. وإذا كان المعنى وسطًا، ورصف الكلام جيّدًا كان أحسن موقعًا، وأطيب مستمعًا؛ فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعًا في المرأى، وإن لم يكن مرتفعًا جليلًا، وإن اختلّ نظمه فضمّت الحبّة منه إلى ما لا يليق بها، اقتحمته العين وإن كان فائقًا ثمينًا" [1].

إن للصوت وظيفة إيحائية تشير إلى وجود علاقة تناسبية بين الصوت والمعنى الدلالي المنبثق عنه، وهذا ما عبر عنه ابن جني (ت329هـ ) في (باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني) بقوله: "يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها, فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره"[2]، فتختلف دلالة الألفاظ تبعًا للأصوات الواردة فيها؛ فلكل صوت إيحاءاته وقيمته الأسلوبية الموائمة للسياق.

هذه الميزة والانعكاسات النابعة من تعانق الأصوات هي التي تميز الإيقاع في البيان النبوي؛ فإنَّ " من فضيلة الجرس في البيان النبوي أن نرى لفظًا في الحديث واحدًا يرسم صورة المعنى الكامل، أو يساعد في أكبر حيز من الإطار على تصويره أو تأكيد معالمه في جوانب الصورة"[3].

فدراسة الأصوات والبحث عن ارتباطها بالدلالات والإيحاءات يزيد من الفهم الدقيق للمضمون العام للحديث النبوي، ويبين مدى انسجامه مع الغايات التي يرمي الحديث الشريف إيصالها للمتلقي، وذلك بسبب التعانق والتساند بين أصوات الألفاظ المتناسقة مع الأحداث المراد إيضاحها وتفصيلها.

---

[1]- العسكري: الصناعتين، ج1، ص161.

[2]- ابن الجني، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ) : الخصائص، ط4، (د. ت)، الهيئة المصرية العربية للكتاب، ج2، ص159.

[3]- السيد، عز الدين: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، (د.ط)، (د.ت)، دار الطباعة المحمدية، بالأزهر، القاهرة، ص 280.

ويتناول هذا المبحث نماذج من الأحاديث النَّبوية الشَّريفة التي تؤيد هذا الطرح، ويظهر ما تؤديه السِّمات الصَّوتية في إبراز وجه التَّناسب بين الصَّوت والدَّلالة، ويقع هذا المبحث في ثلاثة مطالب؛ يتناول المطلب الأول: صفات الأصوات المتضادة؛ كالجهر والهمس، والتَّفخيم والتَّرقيق، وصفات الأصوات المفردة؛ كالتَّفشي والقلقلة، في حين يتناول المطلب الثاني: التَّكرار الصوتي ودلالاته التناسبية، وجاء المطلب الثالث بعنوان: الجناس ودلالاته التَّناسبية.

## المطلب الأول: التَّناسب في صفات الأصوات المتضادة.

### التَّناسب في صفات الأصوات المجهورة:

يعتمد تصنيف هذه الأصوات على الوترين الصوتين وذبذبتهما؛ فإذا أحدث مرور الصوت ذبذبة في الوترين الصوتين يعد الصوت الناتج صوتًا مجهورًا[1]، أما إذا لم يحدث الهواء أي ذبذبة؛ فتسمى هذه الأصوات (الأصوات المهموسة)؛ فالجهر هو " تذبذب الحبال الصوتية خلال النطق بصوت معين"[2]، وأما الهمس فهو" عدم تذبذب الحبال الصوتية خلال النطق بصوت آخر"[3].

---

[1] – أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، (د.ت) ، (د.ط)، مطبعة نهضة، مصر، ص 21، وينظر: أيوب، عبد الرحمن: أصوات اللغة، ط2، مطبعة الكيلاني، 1968، ص 177– 178، ينظر: الصيغ، عبد العزيز: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية،ط1 ، دار الفكر، دمشق، 2007، ص89 وما بعدها.

[2] – مالمبرج، برتيل: علم الأصوات، تعريب ودراسة: عبد الصبور شاهين، (د.ط)، مكتبة الشباب، القاهرة، 1984، ص 109.

[3] – المصدر نفسه.

والأصوات العربية المجهورة هي: " الباء، والجيم، والدال، والذال، والراء، والزاي، والضاد، والظاء، والعين، والغين، واللام، والميم، والنون، والواو، والياء" [1].

وقد حفلت الأحاديث النَّبوية الشَّريفة بتوظيف هذه الأصوات[2]، ومنحها السياق النَّبوي دلالات تبرز مدى دقة المكونات الصوتية للفظة في الكشف عن بلاغة النظم، وعمق المعنى، ومن هذا الضرب من التَّناسب: **"عَنْ أَنَسٍ بنِ مَالِكٍ – رَضيَ الله عَنْهُ– قَالَ: قَالَ النبيُّ** –ρ– : **"يَجِيءُ الدَّجَالُ حتَّى يَنْزِلَ فِي ناحِيَةَ المَدِينَةِ، ثُمَّ تَرْجِفُ المَدِينَةُ ثَلاَثَ رجَفَاتٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ كَافِرٍ ومُنَافِق".**[3]

يصف هذا الحديث النَّبوي الشَّريف الرجفة التي تصيب المدينة، فيخرج منها الكفار والمشركون إلى الدَّجال، وتبقى المدينة خالصة للمسلمين الأتقياء، وقد آثر هذا الحديث النَّبوي توظيف اللفظة النّبوية (ترجف) دون غيرها من الألفاظ كـ ( تتحرك، وتهتز)؛ لتؤدي هذه اللفظة معنى دقيقًا يتناسب مع مقام الحديث النَّبوي الشَّريف؛ فالرجفة هي: "الاضْطِرابُ الشديدُ"[4]، وما أسهم في توضيح هذا المعنى، هيمنة صوتي الرَّاء والجيم هيمنةً واضحة على مقام الحديث ونصه الشَّريف؛ فهما من الأصوات المجهورة، هذا بالإضافة إلى صفات أخرى تتسم بها هذه الأصوات؛ فـ (الراء) صوت "مكرر لأن التقاءَ طرف اللسانِ وحافة الحنك، مما

---

[1]– أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص22، و مالمبرج، برتيل: علم الأصوات، ص110.

[2]– للاطلاع على مواطن الأصوات المجهورة ينظر على سبيل المثال:

– البخاري: صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد: باب لا يعضد شجر الحرم، م2، ص19.

– المصدر نفسه، كتاب الآذان: باب جهر الإمام بالتأمين، م1، ص 203.

– المصدر نفسه، كتاب الذبائح والصيد: باب ما جاء في التصيد، م3، ص 535.

– المصدر نفسه، كتاب فضائل القرآن: باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، ج3، ص 416.

[3]– المصدر نفسه، كتاب الفتن: باب ذكر الدجال، م4، ص 379.

[4]– ابن منظور: لسان العرب، مادة "رجف".

يلي الثنايا العليا، يتكرر في النطق بها، كأنما يطرق طرف اللسان حافةَ الحنك طرقًا لينًا يسيرًا مرتين أو ثلاثة؛ لتتكون الراء العربية"[1]، ومن شأن هذه الملامح الصوتية التي تتمتع بها هذه اللفظة أن توافق الاهتزاز الشديد الحاصل من تكرار صوت الرَّاء؛ الذي يفيد تكرار الهزات الناشئة من الرجفة، أما صوت الجيم؛ فإنه صوت يسهم في توضيح صورة هذه الرجفة، ويبين مدى الاضطراب والعنف والقوة وحالة الهلع التي انتابت أهل المدينة بخروج المسيح الدجال.

وتناغمًا مع هذه الدَّلالة وظفت هذه الأصوات محملة بدلالات كاشفة تبين روعة التَّناسب، ودقة التَّلاحم بين التَّشكيل الصَّوتي للفظة والسَّياق الذي أكتنفها.

ويبرز إبداع تناسبي آخر: **عَن عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا –: قَالَ رَسُولُ اللهِ** ρ–: " **إن مَكَّة حرمهَا اللهُ، وَلم يُحَرِّمهَا النَّاسُ، فَلا يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ أنْ يَسْفِكَ بِهَا دَماً، ولا يَعْضِدَ بهَا شَجَرَةً، فإنْ أحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ – ρ – فَقولُوا: إنَّ اللهَ قَدْ أذنَ لِرَسُولِهِ – ρ – وَلَمْ يَأذَنْ لَكُمْ، وإنَّمَا أذنَ لي فيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَد عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بالأمْس، وَلِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ".**[2]

يوضح هذا الحديث النبوي الشريف حرمة مكة المكرمة؛ فهو مكان آمن يأمن فيه الناس، فالله – عز وجل – حرّمه يوم خلق السَّماوات والأرض؛ فلا يسفك فيه دم، ولا يعضد به شجرة، ولا ينفر فيه صيد، وما يعزز هذه الحرمة ما سبق هذا الحديث الشَّريف من أحاديث شريفة تؤكد هذا المعنى: " **قال بن أَبِي قَتَادَة أَنَّ أَبَاه أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ– ρ– خرَجَ حَاجًا**

[1]– أنيس، إبراهيم : الأصوات اللغوية، ص57– 58.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد: باب لا يعضد شجر الحرم، ص 19، م2.

**فخَرَجُوا معَهُ، فصَرَفَ طائِفةً مِنْهُمْ فِيهِمْ أَبُو قتَادَةَ، فَقال: "خُذُوا ساحِلَ البَحْرِ حَتَّى نَلْتَقِيَ" فأخذُوا ساحِلَ الْبَحْرِ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا أَحْرَمُوا كُلُّهُمْ إلاَّ أَبُو قَتَادَةَ لَمْ يُحْرِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رأَوْا حُمُرَ وحْشٍ، فَحَمَلَ أَبُو قَتادَةَ عَلَى الحُمُرِ فَعَقَرَ مِنْها أَتَانًا، فنَزَلُوا فأكلُوا مِنْ لَحْمِهَا، وقالُوا: أنأكُلُ لَحمَ صَيْدٍ ونَحْنُ محْرِمُونَ؟ فحَمَلْنا مَا بَقِي مِنْ لَحمِ الأتانِ، فلَمَّا أتَوْا رسولَ الله –ρ– قالُوا يَا رسولَ الله: إنَّا كُنَّا أَحْرَمْنَا، وقَدْ كانَ أَبُو قَتَادةَ لَمْ يُحْرِمْ، فَرَأَيْنَا حُمُرَ وَحْشٍ فحَمَلَ عَلَيْهَا أَبُو قَتادَةَ فعَقَرَ مِنْهَا أَتَانًا، فنَزَلْنَا فأكلْنا منْ لَحْمِهَا، ثُمَّ قُلْنَا: أنأكُلُ لَحْمَ صَيْدٍ ونَحْنُ مُحْرِمُونَ؟ فحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا، قَالَ: " أمِنْكُمْ أَحَدٌ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْها أَوْ أَشَارَ إِلَيْهَا"؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: "فَكُلُوا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا"[1].**

ولكنَّ الرسول– ρ– أجاز –أيضًا– في الأحاديث النّبوية التي سبقته قتل خمس من الدَّواب حتى لو كان محرمًا في مكة المكرمة، لما تلحقه من أذى وضرر على الإنسان: **فعَن عبدِ اللهِ بنِ عُمرَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– أنَّ رَسُولَ الله –ρ– قَالَ: "خَمْسٌ من الدَّوَابِّ كُلُّهُنَّ فَاسِقٌ يُقتَلْنَ في الْحَرَمِ: الغُرَابُ، والْحِدَاة، والْعَقْرَبُ، والفَارَةُ، والكَلْبُ الْعَقُورُ "[2].**

وقد آثر النَّظم النَّبوي توظيف لفظة (تعضد) في الحديث النَّبوي الأول التي أعطت دلالة توحي بتناسب أصواتها مع دلالتها الإيحائية التي تتمثل في " القطع؛ أي لا يفسد ولا يقطع"[3]، وإذا أنعمنا النظر في النَّسق الصوتي ونغمها الإيقاعي، وجدناه ذا ملمح صوتي عال يجمع بين السِّمات الصوتية المجهورة الشديدة؛ فصوت العين مجهور، كما أن صوت الضاد

---

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد: باب لا يشير المحرم إلى الصيد لكي يصطاده ص 17، م2.

[2] – المصدر نفسه، كتاب جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب، ص 18، م2.

[3] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 9، ص 224

والدال من الأصوات المجهورة "الشَّديدة"[1] التي تتطلب جهدًا عضليًا عند النطق بها؛ فأعطت هذه الأصوات مجتمعة نغمًا موسيقيًا خاصًا بها دل على معنى القوة، وتهويل الأمر وتحريمه؛ فناسب التعبير عن فعل أشياء حرمها الرَّسول –ρ– كـ ( قطع الأشجار) بأصوات مجهورة قوية شديدة، تبرز حرمة مكة المكرمة، وتهول فعل شيء قد حرمه الرَّسول –ρ–.

ويلاحظ مما تقدم إن في هذه اللفظة ما يعكس الصلة الوشيجة بين أصواتها والسَّياق الذي اكتنفته، الأمر الذي يزيد من مضمون الحديث النّبوي قوة، وإثراء في لحمة النسب، لأن من شأن هذه المعاني والدلالات التعبير عنها بالأصوات ذات الإيحاءات المجهورة القوية الشديدة ؛ لتؤدي الغرض التناسبي منها.

ومن الأمثلة الأخرى التي تبين هذا التَّناسب: " **عَنْ أَنَسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: إِنَّ يَهُودِيّاً رَضَّ رَأسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ، قِيلَ: مَن فَعَلَ هَذَا بِكِ؟ أَفُلانٌ أَفُلانٌ حَتَّى سُمِّيَ الْيَهُودِيُّ، فأَوْمَتْ بِرَأسِها، فأُخِذَ الْيَهُودِيُّ فاعْتَرَفَ فأَمَرَ بِهِ النبيُّ ρ، فرُضَّ رَأسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ**"[2].

يكتمل المعنى المراد من الحديث النّبوي الشَّريف، باستجلاء المكونات الصوتية للفظة (رض)، التي تعني التكسر والتحطم، وقد دلت هذه اللفظة بما تحويه من أصوات على معناها، وولدت نغمًا خاصًا مشوبًا بالقوة والعنف والألم أوجدته أصوات هذه اللفظة، بدءًا من صوت الرَّاء التَّكراري المجهور الذي يرسم صورة الاهتزاز والعنف نتيجة رض الرأس، فكأن الضرب مستمر ومتكرر حتى بلغ الألم منتهاه، ناهيك عن الإيقاع الجرسيَ لصوت الضاد

[1] – أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 25.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الخصومات: باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي، م2، ص 168.

القوي الذي يوحي – أيضًا– بهذه الصفات، مما أحدث انسجامًا جرسيًا في سياق الحديث النَّبوي الشَّريف.

نستنتج مما سبق أن ثمة ملاءمة دقيقة وجمالًا خفيًا بين أصوات هذه اللفظة والسَّياق العام الذي وردت فيه؛ لتثري فائدته، وتزيد من عمق معناه، وتسهم في رسم صورة تساوق حالة الرَّض، وما يرافقها من شدة وعنف وصخب، إذ إنَّ السَّياق النَّبوي الشَّريف تناسب في توزيع الأصوات وتأليفها ما يناسب المعاني والمقامات، فيشتد تأثير الأصوات المجهورة في مقامات الشَّدة والعنف والقوة.

**التَّناسب في صفات الأصوات المهموسة:**

تتكون هذه الأصوات عندما "ينفرج الوتران الصوتيان مفسحين مجالًا للهواء أن يمر خلالهما دون أن يواجه أي اعتراض"[1]، والأصوات المهموسة هي: "التاء، والثاء، والحاء، والخاء، والسين، والشين، والصاد، والطاء، والقاف، والكاف، والهاء"[2].

وقد أظهر توظيف هذه الأصوات في أحاديث رسول الله – ρ– مواطن جمالية بلاغية مع ما تمثله من وجوه تناسبية انسجمت وسياق الحديث النَّبوي الذي جاءت فيه.

[1]– الفاخري، صالح سليم عبد القادر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، ص 141، وأنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 22.

[2]– أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص22.

ومما هو ذو صلة بهذا الضرب[1]: " **عَن عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنها– قَالَتْ: لما ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ– ρ– جاءَ بِلاَلٌ يُؤذِنُـهُ بِالصَّلاَةِ، فَقَالَ: " مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، وإِنَّـهُ مَتَى مَا يعمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، فَقَالَ: "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ"، فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ وإِنَّهُ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لاَ يُسْمِعُ الناسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، قالَ: "إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِبَ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ"، فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلاَةِ، وَجَدَ رسولُ الله – ρ– فِي نَفْسِهِ خِفَّةً فقامَ يُهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ – ورِجْلاَهُ يَخُطَّانِ فِي الأَرْضِ– حَتَّى دَخَلَ المَسْجِدَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حِسَّهُ ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَأَخَّرُ، فأَوْمأ إِلَيْهِ رسولُ الله – ρ– فَجَاءَ رسولُ الله – ρ– حَتَّى جَلَسَ عنْ يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي قَائِمًا، وَكَانَ رَسُول الله – ρ– يُصَلِّي قاعِدًا، يَقْتَدِي أَبُو بَكْرٍ بِصَلاَةِ رسولِ الله – ρ– والنَّاسُ مُقْتَدُونَ بِصَلاَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ"**[2].

تكمن جمالية التَّناسب في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف توظيف الأصوات المهموسة؛ لأن اختيارها ضرب من الملاءمة الخفية التي تناسبت مع سياق الحديث النَّبوي ومضمونه؛ إذ إن هذا الحديث الشَّريف يصف مرض رسول الله – ρ– حال كونه ضعيفًا هزيلًا مريضًا لا يستطيع الإمامة بالناس؛ لأن الإمامة تتطلب كمال الصحة والعافية والقوة والجهر بالصوت، وهذا يتنافى مع حاله – ρ–.

---

[1]– ينظر:

– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة: باب الصلاة إلى السرير، م1، ص139.

– المصدر نفسه، كتاب المحصر: باب قول الله تعالى: (أَوْ صَدَقَةٍ) [البقرة: 196] وهي إطعام ستة مساكين، م2، ص14.

– المصدر نفسه، كتاب الصلاة: باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، ج1، ص101.

[2] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب الرّجل يأتم بإلامام ويأتم الناس بالمأموم، م1، 187.

وتتمثل جمالية التَّجلي من خلال لفظتي **(خِفَّةً، وحِسَّهُ)** اللتين تتألفان من الأصوات المهموسة التي تمتاز أصواتهما بالضعف والرخاوة؛ فهي أصواتٌ تتسم بالنغمة الصَّوتية المنخفضة؛ لعدم اهتزاز الأوتار الصوتية عند النطق بها، فـ " الصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النطق به"[1]، وبناءً على هذا؛ فإن الصوت الناشئ عند النطق بهما يتسم بالنغمة الصَّوتية قليلة الوضوح، وهذا ما أومأت إليه المعاني المعجمية لهاتين اللفظتين، إذ إن المراد من لفظة الخفة: " شَيْءٌ يُخَالِفُ الثِّقَلَ وَالرَّزَانَ"[2]، فيما دلت لفظة الحس على: " الصوت الخفي"[3]؛ ومن ثم جسدت هذه الأصوات مجتمعة معنى التعب والمرض الذي آل إليه الرسول –ρ–؛ لأن الإنسان إذا كان مريضًا هزيلًا يكون صوته أقرب إلى الهمس، فضلًا عن حركته الضعيفة من شدة الوهن، فالرسول – ρ– قام بلطف وهدوء وخفاء؛ لكي يراقب إمامة أبي بكر – رضي الله عنه– بالمصلين، وعندما سمع أبو بكر –رضي الله عنه– صوته الضعيف تراجع عن الإمامة؛ ليكمل الرسول – ρ– الصلاة.

ونستشف من ذلك أن ثمة تناسبًا صوتيًا بين أصوات هاتين اللفظتين والمعنى المعجمي، "فالخفة وحسه" بما تمثلانه من معاني الهدوء والسكينة والصوت الخفي تناسبتا مع السياق الذي وردتا فيه.

---

[1]– أنيس، إبراهيم : الأصوات اللغوية، ص22.

[2]– الرازي، ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة "خفَّ".

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري ، ج5، ص 250.

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك: " **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -ρ-: "إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عنْ أُمَّتِي مَا وسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُها، مَا لَمْ تَعْمَلْ أوْ تَكَلَّمْ"**[1].

يدور الملمح البلاغي في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف حول أصوات لفظة (وسوست)، وتبعًا للسياق الذي وردت فيه يمكن بيان الأصوات المؤلفة لها؛ لإظهار جمال الدلالات الصوتية المكتسبة، فهي تتألف من صوت السَّين المكرر، وهو: صوت مهموس يمتاز بأنه من "أصوات الترقيق؛ فلا يحدث عند النَّطق به رنينًا مسموعًا"[2].

ويدل المعنى السَّياقي – أيضًا– لهذه اللفظة على: الصوت المهموس والخفي؛ فأصل الوسوسة: "حديث النفس والأفكار، وقد وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواسًا بالكسر، وهو بالفتح الاسم، ووسوس إذا تكلم بكلام لم يبينه، حاصله أن الوسوسة تردد الشيء في النفس من غير أن تطمئن إليه وتستقر عنده "[3].

ومثلت أصوات هذه اللفظة نكتة بلاغية مفادها: تناغم صوت السَّين في هذه اللفظة مع المعاني الواردة لها؛ لما فيه من صفات الهمس والخفاء وخفض الصَّوت في الوسوسة الصادرة من الشيطان، فالتصقت هذه الصفة بالشيطان؛ لكثرة إلحاحه وإصراره على فعل الشر والرذيلة، وارتباطها بالأفكار الدخيلة التي يحاكيها الإنسان بصوت خافت ضعيف لا يستطيع البوح بها خوفًا من الله عز وجل وعقابه. ومن رحمته تعالى قد تجاوز وسامح من لم

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب العتق: باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه ولا عتاقة إلا لوجه الله، م2، ص 201.

[2]– بشر، كمال: علم الأصوات، (د. ت)، (د.ط) ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 294 .

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج 13، ص89.

يعمل أو يجهر بها، يقول النووي في الأذكار: "الخواطر وحديث النفس إذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفو عنه باتفاق العلماء"[1] .

يتبين مما سبق أنَّ الإيقاع الصوتي لهذه اللفظة أتى مناسبًا للمعنى المراد، وجعلنا نترقب حالة الوسوسة الصّادرة من الشيطان، فجاءت هذه الصورة بألفاظها التي تألفت من أصوات مهموسة مناسبةً بين المعنى وإيقاعها الصوتي.

ومن النَّماذج المعززة – أيضًا– لانسجام الأصوات المهموسة وتناسقها: "**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ النَّبيُ–ρ–: " إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا، وأَبشِرُوا، وَاسْتَعِيْنُوا بِالغُدْوَةِ والرَّوْحَةِ وَشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**"[2].

يدعو هذا الحديث النَّبوي الشَّريف إلى وجوب الاعتدال في أداء العبادات، وعدم التَّشديد في أدائها؛ لقوله تعالى: **(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ)**[3]، وقول الرسول – ρ–: "**أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**"[4]؛ فالدّين الإسلامي يمتاز عن غيره من الأديان؛ " بسهولة أحكامه، وعدم خروجهاعن الطاقة البشرية، وملاءمتها للفطرة الإنسانية، وتجردها وخلوها من التكاليف الشاقة، التي كانت في الشرائع السابقة؛ فقد كان الرَّجل من بني إسرائيل إذا أذنب ذنبًا لا تقبل توبته إلا بقتله، وإذا أصابته النجاسة لا يطهر إلا بقطع ما أصابته من ثوب أو بدن، أما هذا الدَّين فقد تنزه عن كل ذلك"[5] .

---

[1]– النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت:676هـ): الأذكار للنووي، ط1، د.ت، الجفان والجابي – دار ابن حزم للطباعة، 2004، ج1، ص 547.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان: باب الدين يسر، م1، ص 18.

[3] – سورة البقرة، آية 185.

[4] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، م1، ص 18.

[5] – قاسم: حمزة محمد، منار القاري شرح صحيح البخاري، ج1، ص 122.

وقد سبق هذا الحديث النّبوي أحاديث نبوية أخرى تبين خصال الإيمان؛ كـ ( قيام ليلة القدر، والجهاد في سبيل الله، وصوم رمضان)؛ كما أردف – أيضًا– بـ ( باب الصلاة من الإيمان)؛ فجاء هذا الحديث النَّبوي تنبيهًا للمسلم على أن " لا يجهد نفسه بحيث يعجز وينقطع؛ بل يعمل بتلطف وتدريج ليدوم عمله ولا ينقطع"[1].

وشكلت اللفظة النَّبوية ( يسر) مفصل هذا الحديث النَّبوي ووجه دلالته، وقد جاءت على "سبيل المبالغة؛ فكأنه لشدة اليسر وكثرته نفس اليسر"[2]، ولما دل معنى هذه اللفظة على التخفيف والاعتدال، ناسب التعبير عنها بالأصوات المهموسة، خاصة صوت السين المرقق المهموس الدال على السَّهولة والخفة عند النَّطق به.

وعليه فإن تخير هذه الأصوات المهموسة و توظيفها حقق نوعًا من التجانس الصوتي في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، وأضفى دلالات تناسبت مع السياق النبوي العام.

**التَّناسب في صفات الأصوات المفخمة:**

تسهم الأصوات المفخمة بإيقاعاتها القوية في تصوير ضخامة الأحداث، وتهويلها وإضافة جانب العظمة عليها، وتعتمد هذه الأصوات على عاملين أساسين، هما: "ارتفاع مؤخر اللسان تجاه أقصى الحنك أو الحنك اللين فيحدث تغير في التجويف الفموي، محدثًا رنينًا مسموعًا، وثانيهما: رجوع اللسان إلى الخلف بصورة أسرع مما يحدث له في أثناء

[1] – العسقلاني: فتح الباري لشرح صحيح البخاري، ج1، ص 95.

[2] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 1، ص 235.

النطق بالأصوات المرققة"[1]، فالصَّوت المفخم ناتج : "عن تراجع مؤخرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي عند نطق الصوت"[2]، وهذه الأصوات هي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء" [3]. وثمة أصوات مفخمة أخرى لها حالات من التفخيم، "تكتسب تفخيمها من السَّياق الذي تقع فيه، وهذه الأصوات هي: القاف والغين والخاء"[4]، وتنتج هذه الأصوات عندما" يرتفع اللسان بجزئه الخلفي نحو اللهاة ليخرج الصوت غليظًا مفخمًا، ولكن دون مبالغة في تغليظ النطق"[5].

ومن بدائع الرَّبط بين الأصوات المفخمة ومقام الأحاديث النَّبوية الشَّريفة: " **عن سعدِ بنِ أبـي وقاصٍ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللهِρ وعِنْدَهُ نِسوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ ويَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صوَتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ قُمْنَ فَبَادرنَ الحِجَابَ، فَأذِنَ لَهُ رسُولُ اللهِ-ρ-، ورسُولُ اللهِ-ρ- يَضْحَكُ فَقَالَ عُمَرُ: أَضَحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رسُولَ الله، فَقَالَ النبي -ρ -: "عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاءِ اللاَّتِي كُنَّ عِنْدِي، فلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ"، فقَالَ عُمَرُ: فأنْتَ أَحَقَّ أنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولِ الله، ثُمَّ قَالَ عُمُرُ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي ولاَ تَهَبْنَ رسُولَ الله - ρ -؟ فقُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ الله -ρ-، فَقَالَ رسُولُ الله -ρ-: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سالِكًا فَجًا قَطُّ إلاَّ سَلَكَ فَجًا غَيْرَ فَجِّكَ"[6].**

---

[1]- بشر، كمال: علم الأصوات، ص 394.

[2]- الصايغ، عبد العزيز: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ط2، دار الفكر- بيروت، 2007، ص145.

[3]- بشر، كمال: علم الأصوات، ص396.

[4] - المصدر نفسه.

[5] - مالمبرج، برتيل: علم الأصوات، ص 117.

[6]- البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق: باب صفة إبليس وجنوده، م3، ص12.

لم يكن توظيف هاتين الفظتين (أفظ وأغلظ) في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف عبثًا بل تناسبتا وسياقه؛ إذ إن البناء الصَّوتي لهما يتألف من صوت الظَّاء المكرر الذي يعد من الأصوات كاملة التفخيم، و يُثري التفخيم الذي تمثله هذه الأصوات جو الحديث الشَّريف بشحنة من معاني الفخامة والعظمة والشهامة والقوة لصفات امتاز بها عمر بن الخطاب، الذي عرف بغيرته الدائمة وخشونة جانبه وشدة خلقه، فقد كانت النسوة يستكثرن من كلام الرَّسول – ρ– وقد ارتفعت أصواتهن في حضرته الشَّريفة، ولما جاء عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– بادرن بالحجاب وهذا يدل على عظمته وفخامته، وشدة هيبته، وهول رؤيته، فناسب التعبير عن هذه الصفات بالأصوات المفخمة التي تفيد دلالة التَّعظيم والتَّفخيم.

وعليه يتبين رونق النَّظم بين جرس الأصوات المفخمة التي تمثل دلالات إيحائية تمثل العظمة والهيبة والمكانة الرَّفيعة والرَّزانة التي توافقت مع صفات عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– ومقام الحديث النَّبوي الشَّريف.

ومن الأحاديث النَّبوية الأخرى التي تُبرز دقة التَّلاحم بين النَّسيج الصَّوتي والأبعاد الموحية التي تكتسبها اللفظة بجرسها الإيقاعي التَّفخيمي: **عن أَبي سعيدٍ الخُدْريّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ρ– قَالَ: " إِذَا وُضِعَتِ الجَنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرِّجالُ عَلَى أَعْناقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيءٍ إلاَّ الإنْسَانَ، ولَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ"[1].**

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز: باب حمل الرجال الجنازة، البخاري، م1، ص 338.

لعل موطن الشاهد في هذا الحديث النبوي الشريف يكمن في لفظة (صعق) التي أبانت عن مكنونها اللغوي من خلال تآلف أصواتها المفخمة والمجهورة؛ فالصعقة: "أَن يُغشى عَلَى الإنسان مِنْ صَوْتٍ شَدِيدٍ يَسْمَعُهُ وَرُبَّمَا مَاتَ مِنْهُ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي الْمَوْتِ كَثِيرًا"[1]، ويصف هذا الحديث النَّبوي حال الميت في جنازته؛ فإن كان من الفائزين يتمنى الوصول إلى قبره سريعًا؛ لرؤية نعيمه المنتظر، فيقول: قدموني، وإن كان كارهًا الوصول إليه، يقول: يا ويلها أين يذهبون بها، وفي هذا التعبير عدول فني يوضح كنه الصورة وهول الموقف، وسوء المصير الذي ينتظره؛ إذ إن الأصل أن يقول: يا ويلي، " لكنه أضيف إلى الغائب حملًا على المعنى، كأنه لما أبصر نفسه غير صالحة نفر عنها وجعلها كأنها غيره، وكره أن يضيف الويل إلى نفسه "[2]، وما يقوي هذه الدِّلالة: **عَن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيّ – رَضِيَ اللهُ عنه– أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ρ – قالَ: " أَسْرِعُوا بِالجِنَازَةِ، فإنْ تَكُ صالِحَةً، فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عنْ رِقَابِكُمْ"** [3].

وقد فضل الله –عز وجل– حجب هذا الصَّوت عن الإنسان؛ رفقًا بحاله ورحمة له وسترًا لحال الميت ومصيره، فلو سمع الإنسان هذا الصوت لدب في نفسه الرُّعب والخوف والرَّهبة، ومات من شدة الصَّيحة وهولها.

وعند النظر إلى البناء الصَّوتي لهذه اللفظة نجدها أصواتًا تتسم بصفات القوة والتفخيم والصفير؛ فصوت الصَّاد المفخم يصف هول الموقف وضخامته، وقد عُزِزَ هذا الصوت

---

[1]– ابن منظور: لسان العرب ، مادة "صعق".

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج8، ص 112.

[3] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز: باب السُرعة بالجنازة، م1، ص 338.

بصفة أخرى كان لها دورٌ كبيرٌ في توضيح الصُّورة التي يروم الحديث النَّبوي تبليغها، ألا وهي: صفة الصفير؛ إذ "يترتب على ضيق المجرى أن النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعًا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعًا لنسبة ضيق المجرى. فمثلا حين يتصل أول اللسان بأصول الثنايا بحيث يكون بينهما فراغ كاف لمرور الهواء نسمع ذلك الصفير"[1]، وأصوات الصفير هي: "الصاد والسين والزاي"[2]؛ وتؤدي دلالة مفادها "الإعلان الصَّريح عن المراد في تأكيد الحقيقة، وهي بذلك تعبر عن الشَّدة حينًا، وعن العناية بالأمر حينًا آخر، مما يشكل نغمًا صارمًا في الصوت، وأزيزًا مشددًا لدى السَّمع، يخلصان إلى دلالة اللفظ في إرادته الاستعمالية، ومؤداه عند إطلاقه في مظان المعنى"[3]؛ فهذه الصفة زادت من صخب الإيقاع، وأكسبت اللفظة إنذارًا وتنبيهًا لما سيحدث، وهذا ما يتواءم مع المعنى السياقي للحديث النَّبوي؛ لأن الرسول – ρ– أراد أن ينوه إلى خطورة ذلك الموقف وعظمته وشدته، فكان هذا الصوت خير معبر عن هذه الدلالة.

أما صوت القاف فهو صوت مفخم مقلقل يصف جبروت هذا الموقف، ويرسم صورة للإنسان المضطرب حينما يسمع هذه الصيحة فيهتز كيانه وجميع جوارحه، ويتحرك وجدانه خوفًا ورهبة، ويغشى عليه، ومما زاد تفخيم سياق الحديث قوة: إيقاع صوت العين المجهور الذي مثّل الدلالة نفسها؛ فكل هذه الأصوات مجتمعة تجلي العمق الصوتي في توضيح هول الموقف وضخامته وعظمته وشدته، فناسب هذا الموقف تكثيف ألفاظ ذات جرس صوتي عميق توحي بالفخامة والعظمة.

---

[1]– أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، 25.

[2]– المصدر نفسه، ص 26.

[3]– الصغير، محمد حسين علي: الصوت اللغوي في القرآن، ط1، دار المؤرخ العربي– لبنان، ص 179.

**التَّناسب في صفات الأصوات المرققة:**

هي الأصوات التي تخلو من سمة التفخيم، نتيجة " تراجع مؤخرة اللسان حيث لا يضيق فراغ البلعوم الفموي عند النطق بالصوت" [1]، والاصوات المرققة هي الأصوات الأخرى ما عدا الأصوات المفخمة كليا والمفخمة جزئيًا.

ومن الأمثلة التي تبرز التَّلاحم والتَّرابط بين الصَّوت المرقق ودلالته في سياق الحديث النَّبوي: **عن عليٍّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: " كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعَ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النبيُّ –ρ– فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قالَ:"مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا منِ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلاَّ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإلاَّ قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُول الله، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا ونَدَعُ العَمَلَ، فَمَنْ كانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا منْ كانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: "أَمَّا أَهلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ فأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى"[2].**

اتخذ الرسول –ρ– وقت دفن الميت فرصة لنصح الناس وإرشادهم إلى طريق الخير والحق، وتنبيههم على ما كانوا عليه من الضَّلالة والشِّرك، وقد أوصاهم بأخذ العبرة والعظة، مذكرًا إياهم بوجوب الأخذ بالأسباب، وأداء العبادات والاستعداد لهذا اليوم العظيم.

وقد وظف السياق النبوي الشريف لفظة (نكس) التي كشفت عن سمت الحديث النبوي ومقصده، وأشارت إلى إيحاءات صوتية مرققة توحي بمحاكاة دلالة هذه اللفظة، فـ (نكس)

---

[1]– الصايغ، عبد العزيز: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص150.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز: باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله، م1، ص 350.

في أصلها اللغوي تدل على الهم والضعف، ولما كان السَّياق المقامي للحديث النَّبوي يصف حال الرسول – ρ– عندما " خفض رأسه وطأطأ به إلى الأرض على هيئة المهموم المفكر"[1]؛ للتدبر في حال الإنسان يوم القيامة، والمصير الذي سيؤول إليه، ناسب التَّعبير عنه بالأصوات المرققة.

وبناء على ذلك يتبن أن الأصوات المرققة جاءت في سياقات تصف حزن الرسول –ρ– وهدوئه، وخوفه على أمته من العذاب العظيم الذي ينتظرها، وهذا ما جعله – ρ– دائم التذكير بوجوب طاعة الله – عز وجل– والامتثال لأوامره.

ومن السِّياقات المناسبة – أيضًا– لإظهار هذا النوع من التَّناسب: ما رواه أَنسُ بنُ مَالِكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: **"دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –ρ– عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ – وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ–عَلَيْهِ السَّلاَمُ– فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ –ρ– إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ –وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ– فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ –ρ– تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ –رضي الله عنه–: "وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ"؟ فَقَالَ: " يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ"، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ –ρ–: "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ."**[2]

وصف هذا الحديث النَّبوي الشَّريف حزن الرَّسول– ρ – ورقة قلبه، عندما توفي ابنه إبراهيم – عليه السَّلام– من زوجته " مارية القبطية"[3]، وقد آثر هذا النَّظم النَّبوي التَّعبير عن هذا

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج8، ص188.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز: باب قول النبي –ρ– "إنا بك لمحزونون"، م1، ص335.

[3] – قاسم، حمزة محمد، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج2، ص385.

الألم بالأصوات المرققة متمثلة بـ (رحمة)؛ لتجعل لها حضورًا جماليًا في السَّياق النَّبوي تحمل قيمة تعبيرية موحية تناسب السَّياق المقامي لهذا الحديث النَّبوي الشَّريف؛ فالرحمة: " رقة في القلب تجيش في النَّفس عند فراق الأحبة، فتبعث على حزن القلب، وبكاء العين، وهي غريزة لا يلام عليها، وليست من الجزع في شيء"[1]، ولعل المواءمة كانت واضحة في هذا اللفظ النَّبوي بما يحويه من أصوات مرققة تمتعت بجرس صوتي موسيقي رقيق يناسب معناها، ويدعمها بما يحقق من إيحاءات دلالية تسهم في بيان المعاني المتوخاة، وتبين غاية حسنها وجمالها.

[1] – المصدر نفسه.

**التَّناسب في صفات الأصوات المفردة:**

- **التَّناسب في ظاهرة التَّفشي:**

التَّفشي ظاهرة صوتية " تخص صوت الشَّين"[1]، فالتفشي لغة: "فَشا خَبَرُه يَفْشُو فُشُوًّا وفُشِيًّا: انْتَشَرَ وذاعَ، وَفَشَا الشيءُ يَفْشُو فُشوًّا إِذَا ظَهَرَ، وَهُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ"[2]، أما اصطلاحًا فهو: "أن يشغل اللسان أثناء النطق بالصوت مساحة أكبر"[3].

وقد ورد هذا الصوت في النَّظم النَّبوي محققًا قيمًا جمالية وبلاغية تناسبت والسَّياق العام للحديث النَّبوي[4]، فكان هذا الصوت موافقًا لسمت الأحداث التي يراد التَّعبير عنها، من ذلك: **عَنْ الْبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ: " أَمَرَنا رَسُولُ الله –ρ– بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ، نَهَانَا: عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ، وَلُبْسِ الحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالإِسْتَبْرَقِ، وَعَنِ القَسِّيِّ وَالمِيثَرَةِ، وَأَمَرَنَا: أَنْ نَتْبَعَ الجَنائِزَ، ونَعُودَ المَرِيضَ، ونُفْشِيَ السَّلاَمَ"**[5].

انسجم توظيف صوت الشَّين الدَّال على صفة التَّفشي والانتشار في لفظة (نفشي) مع الدلالة المرادة من الحديث النَّبوي الشَّريف؛ خاصة وأن صوت الشين تآلف مع صوت الياء الذي يعد من أصوات المد، فهو ذو إيقاع طويل يسمح بامتداد الصوت واتساع مداه، وهذا ما يتناسق مع الآثار الطيبة لإفشاء السلام التي تمتد وتتسع وتنتشر؛ لتحث على تآلف قلوب المسلمين، واجتماع كلمتهم، وإلقاء روح المحبة والود بينهم.

---

[1]– مالمبرج، برتيل: علم الأصوات، ص120.

[2]– ابن منظور: لسان العرب، مادة "فشا".

[3]– مالمبرج، برتيل: علم الأصوات، ص120.

[4]– ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء: باب غسل الوجه باليدين من غرفة واحدة، م1، ص 49.

– المصدر نفسه، كتاب الأطعمة: باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، م3، ص 509.

– المصدر نفسه، كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، م2، ص 492.

[5]– المصدر نفسه، كتاب المرضى: باب وجوب عيادة المريض، م4، ص 26.

وتقريرًا لما تقدم فإن هذه الصفة جاءت في غاية الإبداع مع السياق الذي وردت فيه، وحققت الدلالة التي أراد الرسول –ρ– إيصالها للمتلقي؛ لما يتمتع به صوت الشين من صفة الانتشار واتساع مداه.

ومن الأمثلة الأخرى على توظيف صوت الشَّين وأبعاده الدلالية: لفظة (انتشارا)، فـ "**عَن جَابِرِ بنِ عَبْد اللهِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمِا– قَالَ: خَمِّرُوا الآنِيَةَ وَأَوْكُوا الأَسْقِيَةَ، وَأَجِيفُوا الأَبْوَابَ، وَاكْفِتُوا صِبْيَانَكُمْ عِنْدَ العِشَاءِ؛ فَإِنَّ لِلْجِنِّ انْتِشَاراً وَخَطْفَةً، وَاطفِئُوا المَصَابِيحَ عِنْدَ الرُّقَادِ؛ فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ رُبَّمَا اجْتَرَّتِ، الفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ**"[1].

يدل هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على جملة من الوصايا أمرنا رسول الله – ρ– التَّحصن بها كـ: (إغلاق الأبواب، وتغطية الآنية، ومنع الصِّبيان اللعب في أول الليل، وإطفاء النار). وتكمن الحكمة في منع الصّبيان في اللعب في هذا الوقت من الليل؛ لأن " النجاسة التي تلوذ بها الشياطين موجودة معهم غالبًا، والذِّكر الذي يحرز منهم مفقود من الصِّبيان غالبًا والشَّياطين عند انتشارهم يتعلقون بما يمكنهم التعلق به؛ فلذلك خيف على الصِّبيان في ذلك الوقت، والحكمة في انتشارهم حينئذ أن حركتهم في الليل أمكن منها لهم في النَّهار؛ لأن الظَّلام أجمع للقوى الشَّيطانية من غيره "[2]، ولعل الملمح التَّناسبي يكمن في اللفظة النَّبوية (انتشار) بما تحويه من صوت الشَّين الدَّال على الانتشار؛ لينسجم مع قيمته الدَّلالية المتمثلة في التَّشعب والانتشار؛ فالشَّيطان غير مرئي إلا إنه ينشر طاقاته السَّلبية التي تؤثر على الصِّبيان؛ فتحدث أضرارًا سلبية تعود عليهم بالأذى، وهذا التكثيف في الانتشار أسهم صوت

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق: باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، م2، ص 421.

[2] – العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، م4، ص341.

الشين في التعبير عنه، إذ حقق للحديث النَّبوي قيمة أسلوبية وجمالية في ترابط واضح، وقد تعاضد في هذا المقام النبوي لحمة فنية أخرى تمثلت في لفظة (خطفة) التي منحت سياق الحديث النَّبوي الإثارة والسرعة والانتشار على وفق صفة الشَّيطان الذي ينتشر بسرعة وبهدوء في كل الأمكنة.

يُفهمُ مما تقدم أن صفة التَّفشي تخص صوت الشين، وتركز على تفشي الحدث وانتشاره، وتؤدي دلالات تناسبية في نظم رائع ونسج بالغ.

**التَّناسب في أصوات القلقلة:**

تتسم هذه الأصوات بأن نطقها يقتضي حبس النّفس في المخرج لحظة ثم إطلاقه، فيندفع الهواء المحصور بشدة محدثًا صوتًا يتبع انفصال أعضاء النُّطق، ولا يتأتى نطق الصوت الشديد نطقًا كاملًا من غير أن يُتَبَع بهذا الصوت، ويكون مع المجهور أوضح منه مع المهموس"[1]، وأصوات هذه الصِّفة هي: " القاف والطاء والباء والجيم والدال"[2].

ويعتبر توظيف الأصوات المقلقلة في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة من المباحث الجليلة التي كشف توظيفها عن وجوه بلاغتها، وجمال أسرارها، وتنظيم مقاصدها، فـ " **عَن أبـي هُريـرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ:** " –ρ– :**"بَيْنَما رجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خسَفَ اللهُ بِهِ، فَهْوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ."**[3]

---

[1]– ينظر بتصرف: بشر، كمال: علم الأصوات، ص 378 وما بعدها، الصايغ، عبد العزيز: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص153.

[2]– السعران، محمود: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، د.ط، د.ت، دار النهضة العربية، بيروت، ص160.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب اللباس: باب من جر ثوبه بالخيلاء، م4، ص 58.

تضمن هذا الحديث النَّبوي الشَّريف التَّحذير من الكبر والاستعلاء الذي يُلزم الإنسان المتكبر على التعالي والغرور، وغضب الله عز وجل، وقد سبق هذا الحديث النَّبوي حديث نبوي آخر يؤكد النهَّي عن التَّكبر وجر الثِّياب؛ لأنها من مظاهر الغرور والاستعلاء؛ فـ " **عَن أبي هُريرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: "لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزارَهُ بطَراً"** [1].

وقد أعد الله – سبحانه وتعالى– للمتكبرين عذابًا عظيمًا في الدّنيا والأخرة؛ فـ "لا ينظر الله إليه نظر رحمة"[2]يوم القيامة، كما يستعرض الحديث النَّبوي الأول – أيضًا– المصير المأساوي الذي ينتظر الإنسان المتكبر، ومثلته لفظة **(يتجلجل)** التي هي قطب هذا الحديث النَّبوي ورحاه؛ لما تتسم به من عموم المعنى وسعته؛ فهي تصور سوء الحال، والمصير الذي ينتظر الإنسان المتكبر.

ويتجلجل في الأصل: "يَتَحَرَّكُ فِيهَا أَي يَغُوصُ فِي الأَرض حِينَ يُخسف بِهِ، والجَلْجَلَة: الْحَرَكَةُ مَعَ الصَّوْتِ أَي يَسُوخ فِيهَا حِينَ يُخْسف بِهِ، والجَلْجَلَة: شِدَّةُ الصَّوْتِ وحِدَّته"[3]، وقد تميز متن هذا الحديث النَّبوي الشَّريف بجرس أخاذ اكتسبه من صوت الجيم المقلق، وهو صوت انفجاري مجهور يوحي بالقوة والشِّدة، ورعاية للتَّناسب الصَّوتي انسجم البناء الصوتي المقلق لهذه اللفظة بما توحيه من اضطراب واهتزاز عند النطق بها مع المعنى الدَّلالي الذي يصف صورة الإنسان المتعجرف الذي يمشي في الأرض متكبرًا، وتبين شدة صوته وقوته

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه بالخيلاء، م4، ص58.

[2] – العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، م4، ص 259.

[3] – ابن منظور: لسان العرب، مادة "جلجل".

حين ترمي به الأرض من جانب لأخر، وما يزيد هذا المعنى قوة ورهبة "أن الأرض لا تأكل جسد هذا الرَّجل فيمكن أن يلغز به فيقال كافر لا يبلى جسده بعد الموت"[1].

وعليه فإن هذه اللفظة النّبوية بصوت الجيم ساهم في تجلية المعنى، وحقق تناسبًا جماليًا جعل من المتلقي أن يتصور الحالة التي يكون فيها هذا الإنسان، عن طريق العلاقة التَّناسبية التي تربط بين الصَّوت ودلالاته.

وخير مثال على تناسق صوت القاف مع السِّياق ليكسب متن الحديث النَّبوي نغمة جرسية **" عَن أبي هُريرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: لَمَا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ – ρ– وَكَانَ أَبُو بَكرٍ– رَضِي الله عَنهُ–، وَكَفَرَ منَ كَفَرَ منَ الْعَرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ – رَضِيَ اللهُ عَنهُ–: كَيفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَد قَالَ رَسُولُ اللهِ – –: " أُمِرتُ أَن أقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَه إِلَّا الله؛ فَمَن قَالَهَا فقد عَصمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفسَهُ إِلَّا بِحقِّهِ وَحِسَابُهُ على اللهِ، فَقَالَ: " وَاللهِ لأُقَاتِلنَّ مَن فَرَّقَ بَينَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَو مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ – ρ – لَقَاتَلتُهُم عَلَى مَنعِهَا. قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَن قَد شَرَحَ اللهُ صَدرَ أَبِي بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، فَعَرَفتُ أَنَّهُ الْحَقُّ"[2].**

تكمن أهمية هذا الحديث النَّبوي في بيان المكانة الرَّفيعة التي تمثلها الزكاة في الدِّين الإسلامي، كونها الرُّكن الثَّالث من أركان الإسلام، وقد قرنها الله – عز وجل– بالصلاة في مواضع عدة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: **(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا**

[1]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج8، ص419.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة ، م1، ص 361.

**لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)**[1]، وقوله: **(فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)**[2]، ومن هنا نستشف المقام الذي يدور حوله هذا الحديث النَّبوي، فهو يبين وجوب مقاتلة المرتدين الذين فرقوا بين وجوب الصَّلاة، وأداء الزَّكاة؛ إذ إنهم "فرقوا بين الصَّلاة والزَّكاة فأقروا بالصَّلاة وأنكروا فرض الزَّكاة ووجوب أدائها إلى الإمام"[3]، وقد توعد أبو بكر – رضي الله عنه– قتال هؤلاء المرتدين.

ولعل البؤرة الصوتية التي حملت معنى الردع والقوة لفظة **(الحق)** التي جاءت في موقف رهيب مروع، بصوت القاف المقلقل المجهور ليناسب وحدته السَّياق الذي ورد فيه، وناسب وصف عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– أداء الزكاة ومقاتلة المرتدين عن أدائها بأنها حق، وقد حرص رسول الله – ρ– على وجوب أداء هذه الفريضة العظيمة التي تعود بالخير والنماء في مال الإنسان، فرأى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– الرأي السديد وصحة الأمر واستقامته في قول أبي بكر– رضي الله عنه– "بما أظهر من الدليل وإقامة الحجة فيه "[4].

ومن خلال استجلاء التَّجانس الصَّوتي لصوت القاف؛ وما يتسم به من صفات الاهتزاز والقلقلة تبين أنه تناغم والمقام الذي ورد فيه، إذ إنه وصف حال المرتدين في حال الشك والاضطراب والعصيان والتكذيب، فكان صوت القاف الطريق الوحيد؛ لإنهاء حالتهم

---

[1]– سورة البقرة، آية: 110.

[2]– سورة التوبة، آية: 11.

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج8، ص244.

[4]– المصدر نفسه، ج8، ص246.

بمقاتلتهم وردهم عما كانوا فيه، أي أن السِّمات الصَّوتية لصوت القاف أوجدت نسقًا جديدًا في دعم هذا التَّصوير وتجلياته، لما ينماز به من صفات جاءت معززة لمعنى الحديث النَّبوي الشَّريف وسياقه.

وخُلاصة ما تقدم إنّ هذه الأصوات تتسم بالنغمة الصَّوتية العالية، ومزايا قوية الوقع في الأذن في سبيل إظهار الدِّلالات الكامنة في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، ودعم المعنى الدَّلالي.

## المطلب الثاني: التَّكرار الصَّوتي ودلالاته التناسبية.

يجسد توظيف ظاهرة التَّكرار في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة لطائف بديعة ونكات بلاغية ودقائق تناسبية تنسبك مع السِّياق العام للحديث النَّبوي؛ فهو من "محاسن الفصاحة"[1]، الذي باستطاعته كشف أغوار الحديث النَّبوي، والتعمق في الأهداف المتوخاة من توظيفه، واستجلاء مختلف أحوال المُخاطَب والمُخاطِب.

والتَّكرار لغة: "الرُّجُوعُ، وكَرَّرَ الشَّيْءَ وكَرْكَره: أَعاده مَرَّةً بَعْدَ أُخرى، وَيُقَالُ: كَرَّرْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وكَرْكَرْتُه إِذا رَدَّدْتُهُ عَلَيْهِ، والكَرُّ: الرُّجُوعُ عَلَى الشَّيْءِ، وَمِنْهُ التَّكْرارُ" [2].

وأما اصطلاحًا فهو: " الإتيان بشيء مرة بعد أخرى"[3]؛ لفائدته العظمى والجليلة المتمثلة في "التقرير، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر"[1]، ناهيك عن فائدة تأكيد المضمون والتركيز على قضية ما وإغناء المعنى؛ لرفع قيمته الدلالية، وزيادة تمكنه في نفس المتلقي؛ فـ "الإعادة

---

[1]– السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 244.

[2]– ابن منظور: لسان العرب، مادة "كرر".

[3]– الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت 816هـ): التعريفات، ط1، ت. ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، 1983، ص65.

والتكرير سنة بيانية من سنن العرب، جاء عليها القرآن الكريم والحديث النَّبوي الشَّريف؛ لأن "من سنن العرب التّكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر" [2].

وتقوم آلية التَّكرار على ذكر مفردة بعينها ثم إعادتها مرة أخرى؛ بغية تأكيد الأمر المنوط تحقيقه، ذلك "أن عادة العرب في خطاباتها إذ أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدُّعاء عليه، كررته توكيدًا وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه أو الاجتهاد في الدُّعاء عليه إذ تقصد الدعاء" [3].

وقد كثر هذا الأسلوب في لغة القرآن الكريم والأحاديث النَّبوية الشَّريفة؛ بغية ترسيخ العقيدة في النفوس وتثبيتها، ومواجهة أكاذيب الكفار، وتهويل مصيرهم، فقد "نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة، وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد؛ لأن الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة وكلها داعية إلى الشهوات ولا يقمع ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع".[4]

---

[1]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص10.

[2]- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت 911هـ): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط1، ت. فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، 1998م، ج1، ص 292.

[3]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص9.

[4]- المصدر نفسه.

ولعل من يطالع الأحاديث النَّبوية الشّريفة يلتمس الكثير من وجوه التَّكرار فيها[1]؛ كتكرار الصوت الواحد، وتكرار اللفظة، ومهما يكن من أمر فإن " التَّكرار بشتى أنواعه يُحدث نوعًا خاصًا من الإيقاع، تستلزمه العبارة، لأغراض نفسية واجتماعية ودينية" [2].

وقد جاء هذا المبحث بنماذج مختارة؛ لبيان وظيفة التَّكرار في الأحاديث النّبوية الشَّريفة، مبينًا مواطن وجوده، وموضحًا القيمة البلاغية من توظيفه؛ من ذلك: توظيف صوت الحاء في قول رسول الله – ρ–:" **اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعدَكَ، اللَّهُمَّ إِن شِئْتَ لَم تُعبَد بَعدَ الْيَوْمِ" فَأَخَذَ أَبُو بَكرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسُبكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَد أَلحَحتَ عَلَى رَبِّك، وَهُوَ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ وهُوَ يَقُولُ: (سَيُهْزَمُ الْجَمعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوعِدُهُم وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمَرُّ)".**[3] **[القمر: 45- 46]** .

حرص الرسول –ρ– في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف إلى الالتجاء إلى – الله عز وجل– والإلحاح في الدعاء من أجل نصرة دينه، وإعلاء كلمته، وقد كان رسول الله– ρ– واثقًا بالله عز وجل بأنه سيسحق دابر الكافرين، ولكن جاء دعاؤه من جهة " الشَّفقة على قلوب أصحابه وتقويتهم؛ إذ كان ذلك أول مشهد شهدوه في لقاء العدو، وكانوا في قلة من العدد

---

[1] – ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، م1، ص 378.
– المصدر نفسه، كتاب الوكالة، باب إذا باع الوكيل شيئا فاسدا فبيعه مردود، م2، ص 141.
– المصدر نفسه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي–ρ– خديجة وفضلها رضي الله عنها، م3، ص 45.

[2]– شرشر، محمد حسن: البناء الصوتي في البنيان القرآني، ط1 ( د.ت)، المطبعة المحمدية، القاهرة،1988، ص 88.

[3]– البخاري: صحيح الإمام البخاري، كتاب الجهاد والسير: باب ما قيل في درع النبي –ρ– والقميص في الحرب، م2، ص 317.

والعدد، فابتهل في الدُّعاء وألح؛ ليسكن ذلك ما في نفوسهم إذا كانوا يعلمون أن وسيلته مقبولة ودعوته مستجابة"[1].

ويشكل تكرار صوت الحاء في لفظة (ألححت) نسقًا تعبيريًا في متن هذا الحديث النَّبوي الشَّريف، فمثل بناؤه لفتةً تناسبية مقصودة مع المعنى اللغوي الذي يدل على المداومة والاستمرار في الدعاء؛ فـ "يُقَال ألح السَّحَاب بالمطر دَامَ، وَيُقَال مَعْنَاهُ بالغت فِي الدُّعَاء وأطلت فِيهِ"[2]، وقد خلق تكرار هذا "الصوت المهموس"[3] بصفته الاحتكاكية نوعًا من التلاحم الداخلي في صميم الحديث النَّبوي، فكان ناطقًا ممثلًا للصورة التي اتسم بها رسول الله – ρ– بتضرعه الدائم ودعائه الذي لم ينقطع وهو في أقصى درجات الخشوع والإلحاح على رب العالمين.

ومن لطيف هذا الباب– أيضًا– الذي يضفي على متن الحديث النَّبوي الشَّريف هالة من الدِّلالات الإيحائية التي تتلاءم وظاهرة التكرار: "**عَن أبي هريرةَ قالَ: قالَ النبيُّ–ρ–: "لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، ويَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ، ويَكْثُرَ الهَرْجُ – وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ–، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المالُ فَيَفِيضَ**"[4].

ركز هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على أمر ذي جلل عظيم، وله وقع ورهبة في النفوس؛ إذ بين الرسول – ρ– فيه علامات قيام السَّاعة التي تظهر في قلة العلم، عندما يكثر الجهلاء الذين يفتون في أمور الدين والعلم، وكثرة الزلازل، فضلًا عن كثرة الفتن؛ فيحتارون بين

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج14، ص193.

[2]– المصدر نفسه.

[3]– أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص76.

[4]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء: باب ما قيل في الزلازل والآيات، م1، ص 265.

الخير والشَّر والصواب والخطأ، كما أن من علامتها: كثرة القتل، فيقتل الناس بعضهم بعضًا إشباعًا لرغباتهم، وتحقيقًا لطموحاتهم في حياتهم الفانية. وما يزيد من روعة بناء هذا النظم الحديثي: سمة التكرار المتمثلة في تكرار صوت الزَّاي في لفظة (الزلازل)، وتكرار لفظة (القتل)؛ فهيمنة صوت الزاي وتكراره صور "حركة الأرض واضطرابها"[1]؛ لما يتسم به من صفات الجهر والقوة والصفير؛ لأن عند النطق به تهتز الأوتار الصوتية محدثة اهتزازًا واضطرابًا؛ فرسم بجرسه الإيقاعي صورة الأرض المضطربة المتحركة، وكثرة هذه الزلازل دلالة على غضبه عز وجل؛ فهي "وعيد من الله تعالى لأهل الأرض عند المجاهرة والإعلان بالمعاصي"[2].

وأما فحوى تكرار لفظة (القتل) فكان لها دور في رفد المعنى الذي يريد رسول الله – ρ– إيصاله للناس، والتحذير من الوقوع في مغبته، إذ أوجد تكرارها شحنة من الإيقاعات ناسبت هذا المعنى وتساوق مع ذكر علامات يوم القيامة.

ونلاحظ – كذلك – جمالية تكرار الصَّوت وتعانقه مع السِّياق العام للحديث النَّبوي في وصف شجرة النخيل التي تركها رسول الله – ρ–، وجلس على المنبر الذي صنعه الغلام، **فعَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ – رَضِي الله تَعَالَى عَنْهُمَا– أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قالَتْ لِرَسولِ الله: " ألاَ أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ، فإنَّ لِي غُلامًا نجَّارًا؟ قَالَ "إنْ شِئْتِ" قَالَ: فَعَمِلَتْ لَهُ المِنْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ قَعَدَ النبيُّ – ρ– عَلَى المِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا، حَتَّى كادتْ تَنْشَقُّ، فَنَزَلَ النبيُّ – ρ– حَتَّى أخذَهَا فَضَمَّهَا إلَيْهِ،**

[1]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج 2، ص 256.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري ، ج7، ص 57.

**فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أنينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قَالَ: بَكَتْ عَلَى مَا كانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ"[1].**

يُعد تكرار صوت النون في لفظتي **(تئن أنين)** مفصل هذا الحديث النَّبوي ومعقد معناه، فجاء وفق نسق بياني؛ لتأدية غاية تناسبية تسهم في سبك متن هذا الحديث النَّبوي، وحبك مقصده وتنغيم إيقاعه؛ فمثل تكراره لفتة تناسبية غايتها توضيح حالة الحزن والألم والبكاء والهم، ولهفة القلب التي اعتصرت قلب النخلة جراء فقدها الرسول – ρ– فلم تعد تستمع إلى ذكر الله، وأحاديثه –ρ–، ولذلك تكرر هذا الصَّوت؛ ليعبر عن أنينها وآهاتها المستمرة، التي استمدتها من تعاضدها بصوت الياء الذي يعد – أيضًا– من أصوات المد؛ لكي يتيح لها متسعًا كبيرًا من الوقت، ونفسًا طويلًا؛ للتعبير عن ألمها؛ فتكرار صوت النون بما فيه من إيماضة جاذبة، ودلالة هامة أوحى بالحزن والألم الكبيرين الذي عانت منه تلك النخلة، فجاء مناسبًا للسياق الذي اكتنفه.

وبناء على ما تقدم أدى التَّناسب في التَّكرار في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة وظيفتين لُغويتين، تكمن الأولى: في الإيقاع الموسيقي الذي أحدثه التَّكرار؛ ليخلق جوًا نغميًا ترتاح له الأذن، فيما تجلت الوظيفة الثَّانية في التَّركيز على مدى أهمية المكرر، ورفع قيمته، وتأكيد الإنذار، والتحذير من مغبة الوقوع في أمر معين، والتعبير عما يختلج النفس من مشاعر وانفعالات.

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع: باب النجار، م2، ص 85.

## المطلب الثَّالث: الجناس ودلالاته التناسبية.

الجناس الصوتي مبحث بديعي من مباحث علوم البلاغة يكسب الكلام حسنًا وطلاوةً، ويعين على وضوح المعاني، كما أنه يؤدي دورًا رئيسًا في زيادة تناسق الألفاظ واتساقها مع البؤرة الأساسية للحديث النَّبوي الشَّريف.

والجناس في اللغة: "الجِنْسُ، بالكَسْرِ: أَعَمُّ من النَّوْعِ، وَمِنْه المُجانَسَةُ والتَّجْنيسُ، وَهُوَ كلُّ ضَرْبٍ من الشيءِ، وَمن النّاس وَمن الطَّيرِ، والمُجانِسُ: المشاكِلُ، يُقال:هَذَا يُجانِسُ هَذَا، أَي يُشاكِلُه"[1].

والجناس في اصطلاح البلاغيين: "هو أن تجيء الكلمة تُجانس أُخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها"[2]،أي أن:" تتفق اللفظتان فى وجه من الوجوه ويختلف معناهما"[3].

---

[1]– الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، مادة "جنس".

[2]– العباسي، عبد الله بن محمد المعتز بالله (ت 296هـ) : البديع في البديع، ط1، دار الجيل، 1990م، ج1، ص 180.

[3]– العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم (ت 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط1، المكتبة العصرية بيروت، 1423 هـ، ج2، ص182، وللإطلاع على تعريفات أخرى، ينظر: العسكري: الصناعتين، ج1، ص190، وينظر: ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني( ت 637هـ ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت. محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، 1420، ج1، ص241، وينظر: الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت1362هـ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ت. يوسف الصميلي المكتبة العصرية، بيروت، ج1، ص 325.

ويقسم الجناس إلى قسمين: (الجناس اللفظي والجناس المعنوي)[1]، وقد جاء الجناس الصوتي في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة في أحسن صوره وأبهاها، دون تكلف أو تعسف، مؤديًا وظيفة جمالية وتعبيرية في أداء المعنى؛ فهو" من ألطف مجارى الكلام ومن محاسن مداخله، وهو من الكلام كالغرة فى وجه الفرس"[2]، وفي هذا يقول الجرجاني (ت 471هـ): "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسًا مقبولًا، ولا سجعًا حسنًا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلًا، ولا تجد عنه حولًا، ومن ها هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهب لطلبه"[3].

ومما تقدم يتبين أن الجناس هو اتفاق المفردتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، وأن الدلالات المنبثقة من هذا التجانس تتعانق مع سياق الحديث النَّبوي ومقامه ، وتضيف عليه هالة من الإيقاعات التي تطرب لها الأذن، وتهتز لها النفس، ويطمئن لها البال.

---

[1]– الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 326 وما بعدها، و ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، ص 262، والعلوي: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ص185 وما بعدها.

[2]– العلوي: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ص 185.

[3]– الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ): أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ص 11.

ومن أمثلة ذلك[1]: **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَنَّ النَّبِيَّ –ρ– قَالَ: "مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ أَللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"[2]** .

يتجه هذا الحديث الشريف إلى تأكيد الإنفاق في سبيل الله والحث عليه؛ لما فيه من فوائد جليلة تعود بالخير والبركة والنَّماء في المتصدق وماله، ومزيد الزَّجر والتَّغليظ للذين يمسكون أيديهم عن إعطاء النَّاس الصدقة الواجبة في أموالهم وهذا ما تبين من نص هذا الحديث النَّبوي الشَّريف، كما أُردف هذا الحديث الشَّريف – أيضًا– بحديث نبوي آخر يصور حال المنفق والبخيل؛ فكل منهما يلبس الدّرع الذي يستتر به في حالة وقوع حرب، فإذا لبسه المنفق في سبيل الله ستر جميع جسمه، وغفر كل ذنبه، أما البخيل؛ فعلى العكس تمامًا، لا يستر شيئًا من جسده، كلما أراد أن يلبسها اجتمعت في عنقه؛ فـ " **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ– ρ– يَقولُ: مَثَلُ البَخِيلِ والمُنْفِقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتانِ مِنْ حَدِيدٍ، مِنْ ثُدْيَيْهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِما، فَأَمَّا المُنْفِقُ؛ فَلاَ يُنْفِقُ شَيْئًا إلاّ سَبَغت عَلَى جِلْدِهِ حتَّى تُخفى بَنَانَهُ، وتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وأَمَّا البَخِيلُ؛ فَلا يُرِيدُ يُنْفِقَ إلاّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسِّعُهَا فَلاَ تَتَّسِعُ**"[3]؛ أي أن المراد من متن هذا الحديث الشَّريف " أن الجواد إذا هم

---

[1]– لمزيد من الاطلاع على هذا المبحث انظر ما يلي:

- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، ص 386، م2.
- المصدر نفسه، كتاب الاستسقاء: باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، ص 257، م1.
- المصدر نفسه، كتاب الجهاد والسير: باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ص301، م2.

[2]– المصدر نفسه، كتاب الزكاة: باب اللهم أعط منفق مال خلفا، ص 372، م1.

[3] – المصدر نفسه، كتاب الزكاة: باب مثل المتصدق والبخيل، ص 373، م1.

بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه فتوسعت في الإنفاق، والبخيل إذا حدَّث نفسه بالصدقة شحت نفسه فضاق صدره وانقبضت يداه" [1].

ونلمس أثر التَّجانس الصَّوتي الذي مثل مقصد الحديث النَّبوي الشَّريف وبؤرته، وأسهم في إظهار المعنى وإبرازه في لفظتي: (الخلف والتلف)، وهذا الضَّرب من الجناس يعرف بالجناس اللاحق؛ الذي يتميز "بأن يختلفا بحرف غير مقارب فيه "[2]؛ أي في المخرج، ذلك أن صوت الخاء من الأصوات الحلقية، أما صوت التَّاء؛ فهو صوت لثوي.

وهذا الاختلاف في هذه الأصوات له مغزاه الدلالي؛ إذ منح سمت الحديث النَّبوي الشَّريف روعة في المعنى، وسحرًا في الجرس حققه الجناس بين هاتين اللفظتين في بيان الفرق بين الإنسان المنفق والإنسان الممسك يده؛ فالخلف لغة تعني العوض: فـ " (خَلَفا) بِفَتْح اللَّام أَي: عوضًا. يُقَال أخلف الله عَلَيْك خلفًا أَي: عوضًا أَي: أبدلك بِمَا ذهب مِنْك"[3]، وأما لفظة التلف فتحمل دلالة أخرى تدل على: " الهَلاكِ والعَطَبِ فِي كُلِّ شَيْءٍ"[4]، ومن خلال هذه المعاني المعجمية للفظتين، يتبين أن صوت الخاء صوت مستمر رخو، يستمر الهواء في مجرى التنفس عند النطق به وهو ما يتناسب مع معناه الدَّال على العطاء المستمر والبركة والخير في مال المنفق، أما صوت التاء فهو صوت انفجاري منقطع يدل على الهلاك في المال، وانتزاع بركته.

---

[1] – العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 3، ص 307.

[2]– السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ( ت911هـ): معترك الأقران في إعجاز القرآن، ط1، ( د.ت)، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، 1988، ص 301، ويوجد نوع أخر من الجناس إن اتحدت الحروف في المخرج ويطلق عليه الجناس المضارع "أن يختلفا بحرف مقارب في المخرج، سواء كان في الأول أو الوسط أو الآخر".

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج 8، ص 307.

[4]– ابن منظور، لسان العرب، مادة "تلف".

ومن هنا يتبين أنَ للجناس دورًا كبيرًا في كشف سبر أغوار اللفظة من خلال التَّناغم والتَّلاحم الموسيقي؛ فقد مثل صورة الإنسان الذي ينفق ماله ويلمس الزيادة والبركة فيه، والإنسان الشحيح الذي يمسك يده؛ فيلقى الهلاك ويزول الخير عنه.

وثمة حديث آخر تحقق فيه هذا اللون من التَّناسب، فـ " **عن أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ – ρ– قَالَ: " يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا "**[1].

سلك هذا الحديث النَّبوي الشَّريف مسلكًا دقيقًا في توضيح الصُّورة التي اتسم بها الدِّين الإسلامي، فهو دين يسر وتبشير، وليس دين عسر وتنفير؛ لقوله تعالى: **(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْر)**[2]، وقد جاءت هذه الآية الكريمة مؤكدةً لمعنى الحديث النَّبوي الشَّريف بضرورة التَّيسير في أمور الحياة والعبادات، والتَّبشير بالخير والثواب المنتظر، كما نهى عن التَّعسير والتَّنفير في أمور الدين؛ لما له من آثار سلبية تثقل كاهل الإنسان فيفر منه، فـ " هذا الحديث من جوامع الكلم؛ لاشتماله على خيري الدُّنيا والآخرة؛ لأن الدُّنيا دار الأعمال، والآخرة دار الجزاء، فأمر رسول الله – ρ– فيما يتعلق بالدُّنيا بالتَّسهيل، وفيما يتعلق بالآخرة بالوعد بالخير والإخبار بالسّرور تحقيقًا لكونه رحمة للعالمين في الدارين"[3]، وتحقيقًا لهذه الدِّلالة سُبق هذا الحديث النَّبوي الشَّريف بحديث نبوي آخر يوضح حرص الرَّسول – ρ – على انتقاء الوقت المناسب؛ ليعظ أصحابه، ولم يكن –ρ –

---

[1]–البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم: باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، م1، ص29.

[2]– سورة البقرة، آية: 185.

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص47.

يستغرق الوقت جميعه؛ خوفًا عليهم من الضجر والملل؛ فـ "**عَنِ ابنِ مَسعُودٍ قَالَ: كَانَ النبيُّ –ρ– يَتَخَوَّلُنا بالمَوْعِظَةِ فِي الأيَّامِ؛ كَرَاهةَ السَّآمَة عَلَيْنا**" [1].

وتحقيقًا لهذا المعنى الجليل التأم الجناس الصوتي المتمثل في لفظتي (يسروا وبشروا) مع مقام الحديث النَّبوي الشَّريف؛ فالجناس بَين هاتين اللفظتين "جناس خطي، والجناس بين اللفظين تشابههما في اللفظ، وهذا من الجناس التَّام المتشابه"[2]؛ ليوضح الصورة التي تكون عليها تيسير الأمور؛ فاليسر ضد العسر وهو السهولة، أما البشارة؛ فـ" هِي الْإِخْبَار بِالْخَيرِ"[3]، وهذه المعاني المعجمية تناغمت مع الأصوات المؤلفة لهاتين اللفظتين؛ فصوت السِّين بما يمتلكه من صفات السُّهولة واللين واليسر عند النُّطق به تناغم مع معنى اليسر، أما صوت الشَّين الدَّال على صفة الانتشار؛ فقد انسجم مع معناها الدال على نشر فضل الله وعظمة عطائه والإخبار بالخير، فجاء الجناس بين هاتين اللفظتين بأسلوب تناسقي مؤثر.

ومن هذا الضَّرب –أيضًا–: "**عَن عبدِ اللهِ بن عُمر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– عن النَّبيّ–ρ– : "الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ**"[4].

يتكلم الحديث الشريف عن الظُّلم الذي هو مصدر الشُّرور، ومنبع الرَّذائل، وقسوة القلوب وعمى الأبصار، وهو أشد مرض يصيب الإنسان؛ فيذهب صفاء نفسه وروحه، ويمحق بركة عمره وماله وأولاده؛ ولهذا حذر الله – عز وجل – من مغبة هذا الحد الخطير، وتوعد الظالمين بعذاب أليم ومرتع وخيم، بما اقترفوه من التعدي على حقوقه وحقوق عباده، وقد

---

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم: باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، م1، ص29.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص47.

[3]– المصدر نفسه.

[4]–البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب: باب الظلم ظلمات يوم القيامة، م2، ص 179.

أُردف هذا الحديث النَّبوي بحديث نبوي آخر يبين النهي عن الظلم؛ ذلك لأن دعوة المظلوم مستجابة؛ فـ " **عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِي عَنْهُما أَنَّ النَّبِيَّ – ρ – بَعَثَ مُعاذًا إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وبيْنَ الله حجَابٌ**"[1].

يشير الظلم في الحديث الشَّريف الأول إلى معصيتين: "أخذ مال الغير بغير حق، ومبارزة الآمر بالعدل بالمخالفة، وهذه أدهى؛ لأنه لا يكاد يقع الظلم إلا للضعيف الذي لا ناصر له غير الله، وإنما ينشأ من ظلمة القلب، لأنه لو استنار بنور الهدي لنظر في العواقب"[2]، ففي يوم القيامة يفقد الظالم نوره بقدر ما ظلم في حياته، بخلاف الإنسان غير الظالم؛ فإن الله تعالى ينير عليه، إذ يجازي الله – عز وجل– المؤمن " بلزوم نور الإيمان لهم، وتلذذهم بالنظر إليه، وقوى به أبصارهم، وعاقب الكفار والمنافقين بأن أظلم عليهم ومنعهم لذة النظر إليه"[3].

ويقوم الجناس القائم بين لفظتي (الظلم والظلمات)على التَّشابه في الجذر، وهذا النوع من الجناس يعرف بـ (جناس الاشتقاق)[4]؛ فالظلم الذي يرتكبه الإنسان بحق ربه ونفسه وبحق الضعفاء من الناس يعاقبهم الله – عز وجل– بزيادة الظلمة في أبصارهم وعيونهم بقدر ما ظلموا، وما يعزز هذا المعنى ويسهم في رسم صورة الظالم وعذابه؛ صوت المد (الألف) الذي يمنح الحدث زمنًا أطول عند النطق به، وهذا ما يتفق وسياق الحديث النَّبوي؛ فالظلمات

---

[1] – البخاري، صحيح البخاري: كتاب المظالم والغضب: باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، م2، ص 179.

[2]– العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج12، ص 293.

[3]– المصدر نفسه.

[4]– وهو أن يجتمعا في الأصل الاشتقاقي، انظر: المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد ت : 1429هـ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ط1، مكتبة وهبة، 1992 م، ص 435.

عذاب من عند الله مستمر إلى ما لا نهاية، جامع لكل أنواع العذاب، مقارنة بوقت الظلم القصير الذي ينتهي بموت الإنسان الظالم، أما عذابه فيكون ممتدًا .

وعليه فإن مجيء التَّجانس الصَّوتي زاد من رونق هذا الحديث النَّبوي، وبين معناه، لإيقاظ السامع ولفت ذهنه؛ ليستحضر صورة الرجز المخيف، والردع الرهيب، والتحذير من الوقوع في الظلم.

ومن الأحاديث النَّبوية الشَّريفة التي تكشف عن نوع آخر من الجناس يتمثل في قول رسول الله – ρ –لجعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه– :"**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي**"[1]، وهذا النوع من الجناس يعرف بـ (الجناس المحرف): "الذي تماثل ركناه وضعًا واختلفا نقطًا، بحيث لو زال إعجام أحدهما لم يتميز عن الآخر"[2].

فهذا الحديث النَّبوي الشَّريف يوحي بتشابه صوتي بين لفظتي (خَلْقِي وَخُلُقِي)، ومع إعادة النظر في هاتين اللفظتين يمكننا أن نلمس الفرق بينهما؛ ومرد ذلك إلى الاختلاف في الحركة التي تميز بعضهما عن بعض مما تبدوان متباينتين دلاليًا، فالأولى تفيد " الصورة" [3]، في حين تفيد اللفظة الثانية " شبهه في الخلق فمخصوص بجعفر، وهذه منقبة عظيمة له"[4]؛ وقد حمل هذا الجناس دلالات معنوية أظهرت صفات جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه– ؛ لأن هذه الصفات تشكل قوام الإنسان، وأساس جوده وتكريمه.

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب جعفر بن أبي طالب الهاشمي –رضي الله تعالى عنه –، م3، ص 21.

[2]– الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ج1، ص 328.

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج17، ص 265.

[4]– المصدر نفسه، ص265.

ومن هنا فإن الجناس بأنماطه المتنوعة قد تحقق في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، وهذا ما يعطي للنسق النَّبوي تناسقًا وتناسبًا في تركيبها الصَّوتي والدَّلالي.

## المبحث الثاني: التَّناسب في المستوى الصرفي.

**وفيه ثلاثة مطالب:**

- **المطلب الأول: بنية الأفعال ودلالاتها التَّناسبية.**

– الدلالات التَّناسبية للأفعال المزيدة.

– العدول الصَّرفي في صيغ الأفعال والدَّلالات التَّناسبية.

- **المطلب الثاني: بنية الأسماء ودلالاتها التَّناسبية.**

- الدلالات التَّناسبية للمشتقات.

– اسم الفاعل ودلالاته التَّناسبية.

– اسم المفعول ودلالاته التَّناسبية.

– صيغة المبالغة ودلالاتها التَّناسبية.

- **المطلب الثالث:أبنية المصادر ودلالاتها التَّناسبية.**

- المصدر الميمي ودلالاته التَّناسبية.

- اسم المرة ودلالاته التَّناسبية.

## توطئة:

علم الصرف ركن أساس من أركان علوم اللغة العربية؛ "فهو أشرف شطري العربية، وأغمضها، فالذي يُبين شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية، من نحوي ولغوي، إليه أيما حاجة، لأنه ميزان العربية، ألا ترى أنه قد يؤخذ جزء كبير من اللغة بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التَّصريف"[1]، فهو "يقف على كنه الكلمة المفردة، وحقيقتها مزيدة ومجردة، ويمده بزاد من المعارف موفور، إذ لا فصاحة في الكلام إلا بسلامة كلماته التي يحاك منها نسيجه، وتزدهر بمحاسنها حلته"[2]، كما أن " من فاته علمه فاته المعظم"[3].

ويعرف علم الصَّرف بأنه علم "أصول وقواعد، تعرف بها أحوال بنية الكلمة: صيغتها الأصلية والعارضة، وما يلابسها من تغيير معنوي في مدلولها، مصدره البناء المحدث، بالتصغير، أو النسبة، أو التثنية، أو الجمع، أو التأنيث في الأسماء، والتحويل إلى الماضي والمضارع والأمر في الأفعال، ومن تغير صوتي في بنيتها، مصدره الظواهر التصريفية، كالتجريد، والزيادة، والحذف، والإبدال، والإعلال، والإدغام، والقلب المكاني، والإمالة، والتحريك، والتسكين للابتداء، والوقف، والتخفيف، والتثقيل" [4].

ويكشف هذا المطلب أوجه التَّناسب الصَّرفي في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، التي تشكل ملمحًا فذًا، ونمطًا تعبيريًا بارزًا يستحق أن يتناول دراسة كاملة؛ لتناول جميع الظواهر

---

[1]- الإشبيلي، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد (ت 696هـ): الممتع الكبير في التصريف، ط1، مكتبة لبنان، 1969، ج1، ص31.

[2]- الطنطاوي، محمد: تصريف الأسماء، ط6، 1408هـ، ص2.

[3]- السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص 206.

[4]- قباوة، فخر الدين: تصريف الأسماء والأفعال، ط2، د.ت، مكتبة المعارف، بيروت، 1988هـ، ص 13.

الصَّرفية في هذه الأحاديث الشَّريفة؛ لما فيها من دلالات تناسبية جليلة تناسب السِّياق الذي جاءت فيه، وقد جاءت هذه الدِّراسة في ثلاثة مطالب، يتناول المطلب الأول: الأفعال ودلالاتها التَّناسبية، وقسم إلى: دلالات الأفعال المزيدة، والعدول الصَّرفي في صيغ الأفعال والدَّلالات التَّناسبية.

فيما اهتم المطلب الثاني: بالأسماء ودلالاتها التَّناسبية التي تناولت الدلالات التَّناسبية للمشتقات متمثلة بـ (اسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة)، فيما اختص المطلب الثالث بالدلالات التَّناسبية لأبنية المصادر.

## المطلب الأول: بنية الأفعال الثلاثية المزيدة ودلالاتها التناسبية.

تمثل الزِّيادة في الأفعال دورًا بارزًا وخصبًا في إثراء متن الحديث النَّبوي الشَّريف بالدَّلالات والمعاني الإضافية التي يكتسبها السِّياق جراء الدَّلالات المستقاة من هذه الزِّيادة؛ لأن كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى، ويحوي هذا المطلب نماذج من الزِّيادة في الأفعال الماضوية المزيدة بحرف أو حرفين أو ثلاثة أحرف.

وأبنية المزيد الثلاثي[1] بحرف هي: (أفعل، و فعّل، وفاعل)، فيما تكمن أبنية المزيد الثلاثي بحرفين في: (انفعل، وتفعّل، افتعل، وافعلّ، وتفاعل)، وأما (استفعل، وافعوعل وافعالّ) فهي من مزيد الأفعال الثلاثية بثلاثة أحرف.

ومن الدِّلالات التَّناسبية لصيغة (أفعل) : الإزالة والسلب[2]؛ مثال هذا: **عنْ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنهُ– قَالَ: مَا عِنْدَنَا شَيءٌ إلاَّ كِتَابُ الله، وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ عَنِ النَّبِيّ ρ: المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَائِرٍ إلَى كَذَا، مَنْ أحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ والمَلائِكَةِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ، وَقَالَ: ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، فَمَنْ أخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ والمَلائِكَةِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ ولاَ عَدْلٌ "[3].**

يوضح هذا الحديث النَّبوي الشَّريف حرمة المدينة المنورة، وقد سبق هذا الحديث الشَّريف حديثان نبويان آخران يؤكدان هذه الحرمة؛ **فعَنْ أنَسٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنهُ– عنِ النبيِّ –ρ– قَالَ :" المَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ كَذَا إلَى كَذَا، لاَ يُقْطَعُ شَجَرُهَا، ولاَ يُحْدَثُ فِيها حَدَثٌ، مَنْ**

---

[1]– السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج3، ص 305 وما بعدها، وينظر: الحملاوي، أحمد بن محمد (ت 1351هـ): شذا العرف في فن الصرف، ت. نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد –الرياض، ص21 وما بعدها.

[2]– ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي ( ت643هـ): شرح المفصل، ط 1، قدم له الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، – 2001 ، ج4، ص439.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، م2، ص 28.

**أَحْدَثَ فِيهَا حَدثا فعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله والمَلاَئِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ"[1]، و " عَن أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– أَنَّ النَّبيَّ –ρ– قَالَ: " حُرِّمَ مَا بَيْنَ لاَبَتَي المَدِينَةِ عَلَى لِسَانِي"[2].**

تبين هذه الأحاديث النَّبوية الشَّريفة أن الله – عز وجل– جعل للمدينة المنورة حرمة؛ فلا يقطع فيها شجرة، ولا يختلي صيدها، " ولا يعمل فيها عمل مخالف للكتاب والسنة"[3]، وأما الحديث الشَّريف المنوط بالتَّحليل فهو يصب في الدِّلالة نفسها التي تؤكد حرمة المدينة المنورة؛ فكل من يُحدث أمرًا مخالفًا لما جاء به الرسول –ρ–، أو آوى محدثًا؛ أي " من نصر جانيًا وآواه وأجاره من خصمه أو حال بينه وبين أن يقتص منه"[4]، أو نقض عهدًا، تقع عليه لعنة الله– عز وجل–، ويبعده عن الجنة، كما لا تقبل منه الفرائض والنوافل التي يتقرب بها إلى الله تعالى، والتعبير بالفعل الثُّلاثي المزيد (أخفر) يشكل موطن التَّناسب، إذ جاء على وزن (أفعل) مؤديًا دلالة تناسبية مفادها الإزالة والسلب؛ فمن أخفر أي "نقض عَهده، يُقَال: خفرت الرجل بِغَيْر ألف إذا آمنته، وأخفرته إذا نقضت عَهده فالهمزة للإزالة[5]؛ فذمة المسلمين واحدة أي أن "عهدهم وأمانهم صحيح، فإذا آمن الكافر واحد من المسلمين حرم على غيره التعرض له، ونقض ذمته" [6].

ويظهر مما تقدم أن ثمة وشيجة قوية بين الصَّيغ الصَّرفية ودلالاتها التَّناسبية؛ فكل صيغة صرفية تشير إلى دلالة معينة مع مراعاة السِّياق المقامي للحديث النَّبوي الشَّريف.

---

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، م2، ص 28.

[2] – المصدر نفسه.

[3] – العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج10، ص288.

[4] – القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج 9، ص 441.

[5]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج10، ص 233.

[6] – المصدر نفسه.

ومن المعاني الإيحائية التي تمثلها هذه الصَّيغة – أيضًا–: "التعدية[1]: وهي تصيير الفاعل بالهمزة مفعولًا، فإذا كان الفعل لازمًا بها متعديًا لواحد، وإذا كان متعديًا لواحد صار بها متعديًا لاثنين، وإذا كان متعديًا لاثنين، صار بها متعديًا لثلاثة"[2]، مثال ذلك: " **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِي الله عَنهُ–، عَن النَّبيِّ –ρ– قَالَ :" مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إلاَّ أَنْزَلَ لهُ شِفاءً**"[3].

والملاحظ على هذا الفعل (نزل) أنه فعل لازم، وبعد إضافة همزة التَّعدية أحدثت تغييرًا في بنية الفعل الأصلية؛ فأصبح فعلًا متعديًا، وقد منحته هذه الزيادة بعدًا دلاليًا أعمق وأبلغ؛ ليتناسق مع سياق الحديث النَّبوي الشَّريف؛ إذ بين هذا الحديث الشَّريف أن الله لم يُنزل أي داء إلا خلق له شفاء منه، وفي هذا إشارة إلى رحمة الله عز وجل بعباده ولطفه بهم؛ إذ امتحنهم بالأمراض وأعانهم عليها، ولو وظف هذا الفعل المجرد لم يؤدِ الدلالة المرادة من معنى الحديث الشَّريف؛ لأن الله – عز وجل– أنزل الداء وقدر له الدَّواء والعلاج.

والدُّخول في شيء زمانًا أو مكانًا[4] من المعاني الإيحائية للأفعال المزيدة، مثال ذلك: **ما رواه ابنُ أَبِي أَوْفى – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ: " كُنَّا مَعَ رسَولِ اللهِ –ρ– فِي سَفَرٍ فَقَالَ لِرَجُلٍ:"انْزَلْ فاجْدَحْ لِي"، قَالَ" يَا رسُولَ اللهِ، الشَّمْسُ قَالَ:"انْزِلْ فاجْدَح لِي"، قَالَ: يَا رسولَ الله، الشَّمسُ قَالَ: "انْزلْ فاجْدَحْ لِي" فنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُ فَشَرِبَ، ثُمَّ رَمَى بِيَدِهِ هَهُنَا، ثُمَّ قَالَ: إذَا رأَيْتُمُ اللَّيْلَ أَقْبَلَ مِنْ هَاهُنَا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ"**[5].

---

[1]– ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأحكام : باب ترجمة الحكام، وهل يجوز ترجمان واحد، م4، ص 398.
– المصدر نفسه، كتاب التعبير: باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك، م4، ص 346.

[2]– الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ج1، ص29.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطب: باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، م4، ص 34.

[4]– الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، ج1، ص 30.

[5]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الصوم في الإسفار والإفطار، م2، ص 47.

يبين هذا الحديث النَّبوي الشَّريف " بيان انتهاء وقت الصوم"[1]، وهو ما يتحقق مع غروب الشمس، وتأكيدًا لهذا المعنى جاء الفعل (أفطر) على وزن (أفعل)؛ ليخدم هذا المعنى ويؤيده؛ فدلالة قوله (أفطر) تدل على أنه " دخل وقت الإفطار"[2]، أي أن المعنى الذي أدته زيادة الهمزة على هذا الفعل تناسب مع السَّياق النَّبوي.

أما الصَّيغة الأخرى من صيغ الثُّلاثي المزيد بحرف؛ فهي صيغة (فعّل) التي تمثل دلالة تناسبية مؤداها التَّكثير[3]، ومن شواهدها[4]: **عنْ سَلَمَةَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ: "خَفَّتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ وأَمْلَقُوا فأتَوُا النبيَّ ρفِي نَحْرِ إِبِلِهِمْ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَلَقِيَهُمْ عُمَرُ فأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: مَا بَقاؤُكُمْ بَعْدَ إِبِلِكُمْ؟ فدَخَلَ عَلَى النبيِّ ρفَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا بَقَاؤُهُمْ بعْدَ إِبِلِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِρ: " نادِ فِي النَّاسِ فَيَأْتُونَ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ"، فَبُسِطَ لِذلِكَ نِطْعٌ وجَعَلُوهُ علَى النِّطْعِ، فَقَامَ رَسُولُ الله ρفَدَعَا وبَرَّكَ عَلَيْهِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ بِأَوْعِيَتِهِمْ فاحْتَثى النَّاسُ حَتَّى فرَغُوا، ثمَّ قَالَ رسولُ الله ρ:" أَشْهَدُ أَنْ لَا إله إلاَّ اللهُ وأَنِّي رسولُ اللهِ"**[5].

قام هذا الحديث النبوي الشريف على وصف البركة التي وضعها رسول الله –ρ– في طعام القوم، فعبر عن هذه البركة بصيغة الفعل الثلاثي (برّك) " بتشديد الرّاء أي دعا بالبركة

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لشرح صحيح، م11، ص 43.

[2]– المصدر نفسه.

[3]– السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج3، ص 303.

[4]– ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي: باب حديث الإفك، م3، ص 132.

– المصدر نفسه، كتاب تفسير القرآن: سورة محمد، باب **{وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}**، م3، ص 353.

– المصدر نفسه، كتاب الآذان: باب وجوب صلاة الجماعة، م1، ص170.

[5]– المصدر نفسه، كتاب الشركة: باب الشركة في الطعام والنهد والعروض وكيف قسمة ما يكال ويوزن مجازفة أو قبضة قبضة لما لم ير المسلمون في النهد بأسا أن يأكل هذا بعضا وهذا بعضا وكذلك مجازفة الذهب، م2، ص 190.

عليه"[1]؛ وقد جاءت هذه الصّيغة الدَّالة على التَّكثير منسجمة مع المقصد العام الحديث النَّبوي الذي دل على البركة والكثرة في الطعام التي وضعها الرَّسول –ρ– في أوعية القوم وبقي مثله، وفي هذا إشارة إلى معجزة من معجزاته ρ.

وقد تأتي صيغة (فاعل) بمعنى فعَل[2]، وقد وردت فيما رواه أبو هُرَيْرَة – رضي الله عنه– **أَنَّ رَسولَ اللَّهِ –ρ– قَالَ: " قاتَلَ اللَّهُ اليَهُودَ اتَّخَذوا وقُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"**[3]، وقد سبق هذا الحديث النَّبوي الشَّريف حديث نبوي آخر يوضح أن من يبني المساجد فوق القبور هم شرار الخلق عند الله – عز وجل– ؛ **فعنْ عائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنها– أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسولِ اللَّهِ –ρ– كَنيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُوَرِ فقالَ– ρ – : " أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا ماتَ فِيهِمُ العَبْدُ الصَّالِحُ أَو الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ".**[4]

يدل هذان الحديثان الشَّريفان على تحريم بناء المساجد فوق قبور الأنبياء، وتصوير صورهم فوقها، وقد فعلوا ذلك؛ " ليتأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة؛ فيجتهدوا كاجتهادهم، ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فعبدوها؛ فحذر النبي – ρ – عن مثل ذلك سدًا للذريعة المؤدية إلى ذلك"[5].

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لشرح صحيح ، ج13، ص43.

[2]– السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج3، ص 304.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب، م1، ص123.

[4] – المصدر نفسه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، م1، ص 122.

[5] – العقسلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 1، ص525.

وقد تحقق التَّناسب الصَّرفي في الحديث الشَّريف الأول بـ (قاتل) التي جاءت على وزن فاعل، وأفادت معنى (فعَل) التي تناسبت مع المقصد العام للحديث النَّبوي الشَّريف؛ إذ تم لعن اليهود وطردهم من رحمة الله عز وجل، والدُّعاء عليهم بالهلاك؛ لأنهم بنوا مساجدهم فوق قبور الأنبياء، أي أن الله عز وجل قتلهم، وقد ذكر اليهود دون غيرهم؛ "لأنهم الذين ابتدؤوا ابتداع هذا الاتخاذ واتبعتهم النصارى فاليهود أظلم"[1].

ومن معانيها – أيضًا –: "التشارك بين اثنين فأكثر، وهو أن يفعل أحدهما صاحبه فعلًا، فيقابله الآخر بمثله"[2]، وقد قال سيبويه: "اعلم أنك إذا قلت: فاعلته، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت فاعلته"[3].

ومن الأمثلة التي جاءت مؤيدة لهذه الدلالة[4]: **عَن أنسِ بنِ مَالك قَالَ: قَالَ عُمَرُ**– رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– : **"وَافَقتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فَقلتُ يَا رَسُولَ اللهِ! لَوِ اتَّخَذنَا مِن مَقَام إِبْرَاهِيمَ مُصَلّىً؛ فَنَزَلَت:(وَاتَّخذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)**[5]**[البقرة: 125].**

اشتمل هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على مقصد تناسبي يتمثل في انسجام صيغة (وافقت) مع الدلالة العامة للحديث النَّبوي الشَّريف، وتفيد هذه الصيغة المشاركة بين اثنين في فعل معين

---

[1]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج1، ص 453.

[2]– الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، ج1، ص 30– 31.

[3]– سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر( ت 180هـ): الكتاب، ت. عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ج 4، ص68.

[4]– ينظر:

–البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة: باب هل يقال مسجد بني فلان، م1، ص118.

– المصدر نفسه، كتاب الصلاة: باب نوم الرجال في المسجد، م1، ص 123.

[5]– المصدر نفسه، كتاب الصلاة: باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة، م1، ص 115.

يُنسب إلى كل واحد منهما، فـ " المعنى في الأصل وافقني ربي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت ولكنه راعى الأدب؛ فأسند الموافقة إلى نفسه لا إلى الرب جلّ وعز".[1]

وما اتصل بزيادة الأفعال الثلاثية بحرفين: صيغة **(تفعّل)** التي تمثل دلالة عميقة تقف وراء توظيفها، ومن أمثلتها: **عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنهُ– عنِ النَّبيّ –ρ–، قَالَ: "مَنْ تَرَدَّى منْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ، خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً، ومَنْ تَحَسَّى سُمّاً فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جهنَّمَ، خَالِدا مُخَلّداً فِيهَا أَبَداً..."** [2].

دلَّ هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على كبيرة من الكبائر التي يُقدم عليها المسلم بحق نفسه؛ إذ يُزهق روحه بسقوطه من جبل عال، أو شربه كمية من السُّم فينهي حياته، وقد حرم الله عز وجل قتل النَّفس الإنسانية، وبين أن مصير من يقدم على قتل نفسه نار جهنم، وأن الجزاء في الآخرة من جنس عمله في الدنيا، فإن قتل نفسه بسقوطه من جبل عال كان كذلك في النار، وإن قتل نفسه بشرب السم كان عذابه كذلك، كما أوصانا الرَّسول – ρ– بالمحافظة عليها؛ لما أُثر في الحديث الشَّريف الذي يليه: " **مَنِ اصْطَبَحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ اليَوْمَ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ**" [3].

وقد أفادت صيغة (تفعّل) المتمثلة بالفعل **(تحسّى)** ترابطًا تناسبيًا مفاده "التدرج"[4]، التي تفيد أخذ السُّم جرعة بعد جرعة، وهذا ما يتناغم مع المعنى المعجمي للفعل (تحسّى) الذي يشير

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج4، ص144.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث، م4، ص 56.

[3]– المصدر نفسه.

[4]– الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، ج1، ص133 .

إلـى "التجـرع وَأَصـلـه مـن حسـوت المـرق حسـوًا"[1]؛ فالرسـول – ρ– يبـين فـي هـذا الحـديث الشّريف عقوبة من يشرب السُّم في حياته الدنيا فيقتل نفسه، بأخذ السُّم في الآخرة جرعة بعد جرعة وعلى مهل؛ ليزيد من عذابه وتألمه.

ومن المعاني التَّناسبية التي تمثلها هذه الصَّيغة: صيغة "التجنب"[2]؛ **فعَنْ أَنسِ بنِ مَالِك إنَّ النَّبِـيَّ–ρ– وَمُعـاذٌ رَدِيفُـهُ عَلَـى الرَّحـلِ، قَـالَ:"يَـا مُعَـاذَ بـنَ جَبَـلٍ"، قَـالَ: لَبَّيْـكَ يَـا رَسُـولَ اللهِ وَسَعْدَيكَ، قَالَ:"يَا مُعَاذُ"، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيَكَ ثَلَاثًا، قَالَ: "مَا مِن أَحَدٍ يَشَـهَدُ أَن لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدقًا مِن قَلبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلا أُخبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَستَبشِرُوا، قَالَ:"إِذًا يَتَّكِلُوا" وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْد مَوتِهِ تَأَثُّمًا".**[3]

يحوي هذا الحديث النَّبوي الشَّريف بشارةَ خير للمسلمين أجمع، وهي: من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، حرَّم الله تعالى جسمه عن النار، وبناء على ذلك: طلب معاذ بن جبل – رضي الله عنه– من الرَّسول –ρ– أن يخبر الناس ليستبشروا ويسعدوا، فرفض رسول الله– ρ– إخبارهم؛ خوفًا من اتكالهم على قول الشَّهادتين، وعدم أداء العبادات المفروضة عليهم؛ فـ "يمتنعوا عن العمل اعتمادًا على مجرد القول بلا إله إلا الله محمد رسول الله "[4]، وقد أخبر بها معاذ بن جبل– رضي الله عنه– عند موته (تأثمًا)؛ خشية وقوعه في

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج21، ص291.

[2]– السيوطي: همع الهوامع في شرح الجوامع، ج3، ص 305.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم: باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، م1، ص 46.

[4]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص206، وينظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (د.ط)، ت. محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة– بيروت 1973، ج1، ص277.

الإثم من كتمان العلم "[1]، وقد شكلت اللفظة النَّبوية (تأثمًا) محور الحديث الشَّريف ومعقد معناه بما تمثله من دلالة تناسبية تتساوق ومتن الحديث النَّبوي الشَّريف؛ مفادها التجنب؛ " ليدل على أن الفاعل جانب أصل الفعل أي جانب الإثم والحرج"[2]، "والإثم الذي الذي يخرج به كتمان ما أمر الله بتبليغه؛ إذ قال الله عز وجل: **(وَإِذْ أَخذ الله مِيثَاق الَّذين أُوتُوا الْكتاب ليبيننه للنَّاس وَلَا يكتمونه)**".[3]

وبدت دلالة (التَّكلف)[4]جلية في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة[5]، ومثله: **عَن ابنِ عُمر كَانَ يَقُولُ: " كَانَ المُسْلِمُونَ حَينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلاةَ، لَيْسَ يُنَادِي لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخَذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ اليَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلاَ تَبْعَثُونَ رَجُلاً مِنْكُمْ يُنَادِي بِالصَّلاَةِ؟ فَقَالَ رسولُ الله ρ:"يَا بِلاَلُ قُمْ فنَادِ بِالصَّلاَةِ"**[6].

---

[1]– العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1، ص 277.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص206.

[3]– المصدر نفسه، ص 207.

[4]– السيوطي: همع الهوامع في شرح الجوامع، ج3، ص 305.

[5]– ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع السلاح في الفتنة وغيرها، م2، ص87.

– البخاري: صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس: باب قول الله تعالى: **(فَإِنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ)**[الأنفال: 41]يعني للرسول قسم ذلك قال رسول الله ρ: إنما أنا قاسم وخازن والله يعطي، م2، ص370.

– المصدر نفسه، كتاب الخلق: باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، م2، ص 405.

– المصدر نفسه،كتاب الأنبياء: باب يزفون النسلان في المشي، م2، ص 435.

– المصدر نفسه، كتاب تفسير القرآن: سورة التحريم، باب **(يَا أَيُّهَا النبيُّ لَمْ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ الله لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ)** م3، ص 379.

–المصدر نفسه، كتاب الأدب: باب لم يكن النبي ρفاحشا ولا متفحشا، م4، ص 108.

– المصدر نفسه، ، كتاب الإيمان: باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، م1، ص18.

– المصدر نفسه، كتاب الوضوء: باب لا يمسك ذكره بيمينه إذا بال، م1، ص 52.

[6]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآذان: باب بدء الآذان، م1، ص162.

اشتمل هذا الحديث النبوي الشريف على صيغة (تفعل) المتمثلة في لفظة (يتحينون) اقتضاها المقام والموقف السِّياقي للحديث النّبوي، فكان المسلمون يجتمعون في مكان معين، ويتجهون إلى المسجد لأداء الصلاة، دون أن يكون هناك أي نداء أو إعلام بقدوم وقت الصلاة، فكانوا يتحرون أوقات الصلاة باجتهادهم؛" ليدركوها في الوقت"[1]، وقد أشار بعض منهم أن يكون الإعلام عن موعدها بالناقوس أو البوق، ولكن النبي–ρ– رفض هذه الوسائل؛ "لأنهما من شعارات اليهود والنصارى"[2]، إلى أن توصلوا إلى وسيلة جديدة للأذان، وهي: إرسال رجل ينادي بالصلاة ويعلمهم بوقتها؛ فقبلها الرَّسول –ρ– وطلب من بلال بن رباح أن يؤذن، وقد أُردف هذا الحديث النَّبوي بحديث آخر يؤكد أن بلالًا أُمر بالأذان، **عن أنسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: " أُمِرَ بِلَالٌ أَنْ يُشْفَعَ الْأَذَانَ، وأَنْ يُوتِرَ الإِقَامَةَ إِلَّا الإِقَامَةَ"**[3] .

وقد كشف التعبير بالفعل (يتحينون) مدى مناسبته للسياق النَّظمي للحديث النَّبوي الشَّريف، فجاء في أحسن موقع وأبلغه؛ لأنه "من التحين من باب التفعل الذي وضع للتكلف غالبًا"[4]، فالمؤمنون كانوا يتكلفون في تحديد موعد الأذان والصلاة.

وتلمح دلالة "المشاركة"[5] من صيغة (افتعل)، ومثال ذلك: **عَن عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا–، أَنَّها قَالَت: "اخْتَصَمَ سَعْدُ بنُ أَبِي وقاصٍ وعَبْدُ بنُ زَمْعَةَ فِي غلامٍ، فقالَ سَعْدٌ: هَذَا يَا رسُولَ اللهِ ابنُأخي عُتْبَةَ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ عَهِدَ إِلَيَّ أَنَّهُ ابْنُهُ، انْظُر إِلَى شبَهِهِ، وَقَالَ عَبدُ**

[1]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري في شرح صحيح البخاري، ج2، ص3 .

[2] – قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج2، ص104.

[3] – البخاري: صحيح البخاري ، كتاب الآذان: باب الأذان مثنى مثنى، م 1، ص162.

[4]–العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج5، ص 105.

[5]– الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، ج1، ص 33.

**بنُ زَمْعَةَ: هَذَا أَخِي يَا رسُولَ اللهِ وُلِدَ علَى فِرَاشِ أَبِي مِنْ وَلِيدَتِهِ، فنَظَرَ رَسُولُ اللهِρإِلى شَبَهِهِ فَرَأى شَبَهًا بَيّنا بِعُتْبَةَ، فَقَالَ: "هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ بن زَمَعةَ، الوَلدُ لِلْفِرَاشِ، ولِلْعَاهِرِ الحَجَرُ، واحْتَجِبِي مِنْهُ يَا سَوْدَةُ بِنْتَ زَمْعَةَ فَلَمْ تَرَهُ سَوْدَةُ قَطُّ"** [1].

يبين هذا الحديث النَّبوي الشَّريف أن الاختصام كان بين سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في الغلام؛ فكان كل منهما يدعي بأنه له؛ وبذلك حملت صيغة (افتعل) الماثلة في (اختصم) شحنة دلالية كبيرة انسجمت ومتن الحديث النَّبوي الشَّريف.

أما صيغة (استفعل) فقد وردت في الأحاديث النبوية الشريفة، مؤدية دلالة مفادها "الطلب حقيقة، كاستغفرت الله: أى طلبت مغفرته"[2]، ومن أضربها[3]: قول رسول الله –ρ– حينما كان يعلم أصحابه صلاة الاستخارة: "**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ، فإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وأَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ .....**" [4].

آثر سياق هذا الحديث النَّبوي الشَّريف التعبير بصيغتي استفعل في قوله: (أستخيرك وأستقدرك) في رسم صورة للإنسان المضطر الذي تصعب عليه أمور الحياة وتشكل أمامه؛ فليجأ إلى ربه خاشعًا طالبًا الخير والهداية والقدرة، فـ "استخيرك: استفعال من الخير ضد

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع: باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، م2، ص113.

[2]– الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، ج1، ص34.

[3]–البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة: باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، م1، ص 239.

– المصدر نفسه، كتاب في اللقطة: باب ضالة الإبل، م2، ص172.

– المصدر نفسه، كتاب تفسير القرآن: سورة المائدة، باب قوله: **(إِنَّما الخَمْرُ وَالمَيْسَرُ وَالأَنْصابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)**[المائدة: 90]، م3، ص 362.

– المصدر نفسه، كتاب المرض: باب تمني المريض الموت، م4، ص 31.

– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب الإنصات للعلماء، م1، ص 43.

[4]– المصدر نفسه، كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى {قل هُوَ الْقَادِر}، م4، ص 448.

الشر أي أطلب منك الخيرة، واستقدرك: أطلب منك أن تجعل لي عليه قدرة"[1]؛ فالإنسان ضعيف في قضاء أموره، ويستعين بأقوى الخلق لتسير أموره، فيطلب الخير مستعينًا بعلم الله عز وجل؛ لأن الله – تبارك وتعالى– علام الغيوب، وقد تناغمت الدِّلالة المنبثقة من صيغة استفعل الدَالة على الطلب مع المقصد العام للحديث النَّبوي الشَّريف، وفي هذا دلالة على عظمة الله عز وجل وقدرته وحكمته في كل شيء.

وخلاصة ما تقدم تزخر الأحاديث النَّبوية الشَّريفة بتنوع الدِّلالات الصَّرفية والإيحائية المنبثقة من الزِّيادة في الأفعال؛ لأن كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى، وقد تناسبت هذه الدِّلالات مع سياق الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، وكشفت عن معان أخر؛ كالمشاركة، والتَّدرج، والتَّكلف، وغيرها.

**العدول الصرفي في صيغ الأفعال والدلالات التَّناسبية.**

يشكل الفعل ركنًا رئيسًا من أركان الجملة؛ لاحتوائه على الحدث وزمن وقوعه، فهو "ما دل على اقتران حدث بزمان" [2]، والأصل في الأفعال أن يكون بناء (فعل) للفعل الماضي، وبناء (يفعل) للفعل المضارع، أما بناء (افعل) فهو لفعل الأمر، وقد ورد هذا الأصل عند سيبويه (ت: 180هـ) قائلا: "وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع. فأما بناء ما مضى فـ (ذهب وسمع

[1]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري في شرح صحيح البخاري، ج10، ص 372.

[2]– الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد( ت 538هـ): المفصل في صنعة الإعراب، ت. علي أبو ملحم، ط1، مكتبة الهلال – بيروت، 1993، ج1، ص 319، ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج4، ص204.

ومكث وحمد). وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرًا: (اذهب واقتل واضرب)، ومخبرًا: ( يقتل ويذهب ويضرب ويقتل ويضرب). وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت" [1].

وقد يحدث أن يعدل في صيغ هذه الأفعال؛ تبعًا لما يهدي إليه السِّياق النَّبوي الباحث عن تناسق هذا العدول مع المعنى العام للنص النَّبوي؛ ذلك لأن " الفعل في الاستعمال تهيأ له أن يجري في طريق آخر؛ فقد يشار ببناء (فَعَلَ) إلى غير الزَّمن الماضي، كما يشار ببناء (يفعُل) و(فاعِل) إلى دقائق زمنية واضحة"[2]، فـ "العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارهما، وفتش عن دفائنهما، ولا تجد ذلك في كل كلام؛ فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقّها فهمًا، وأغمضها طريقًا"[3].

وقد تجلى في هذا المطلب دقة الألفاظ النَّبوية بمضمار العدول الفعلي في زمن الفعل؛ لما يمثله من معان ودلالات جليلة تبين العدول في التَّعبير بصيغ الأفعال؛ لتحقيق فوائد تناسبية تبين سداد هذا العدول، وصواب اصطفاءه؛ لتحقيق الهدف المنشود من متن الحديث النَّبوي الشريف، و قد تلخصت صور هذا العدول في:

- العدول عن الفعل الماضي إلى الفعل المضارع.
- العدول عن الفعل المضارع إلى الفعل الماضي.

---

[1] – سيبويه: الكتاب، ج1، ص12.

[2]– السامرائي، إبراهيم: الفعل زمانه وأبنيته، ط3، د.ت، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، ص 23.

[3]– ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 2، ص12.

إن العدول عن الفعل الماضي إلى الفعل المضارع له علاقات بلاغية وشيجة بين دلالة هذا العدول والمضمون العام لمتن الحديث النَّبوي الشَّريف؛ ذلك: " أن الفعل المستقبل إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي؛ وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي" [1].

وما يجري مجرى هذا المبحث[2]: **عن عِكرمَة، قَالَ لِي ابنُ عَبَّاسٍ وَلابنِهِ عَلِيٍّ: انْطَلَقَا إِلَى أَبِي سَعِيدٍ فاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا هُوَ فِي حَائِطٍ يُصْلِحُهُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فاحْتَبَى ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنا حَتَّى أَتَى ذِكْرُ بِنَاءِ المسْجِدِ، فَقَالَ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ –ρ– فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: " وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ"، قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ"[3].**

جاء هذا الحديث النَّبوي الشَّريف في فضل بناء المساجد وتعميرها، فقد كان الصَّحابة يحملون لبنة لبنة، أما عمار بن ياسر فقد كان يحمل لبنتين لبنتين " اجتهادًا منه، وحرصًا على طاعة الله ورسوله"[4]، وقد كان الرَّسول – ρ– ينفض الغبار عنه "تكريمًا له وتنويهًا

---

[1]– ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 2، ص12.

[2]– ينظر:

– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان: باب قول النبي –ρ– : أنا أعلمكم بالله، وأن المعرفة فعل القلب لقول الله تعالى: **(ولَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ)**، م1، ص13.

– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب كيف يقبض العلم، م1، ص 38.

– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب فضل العلم، م1، ص 25.

– المصدر نفسه، كتاب الوضوء: باب من حمل معه الماء لطهوره، م1، ص 52.

[3]– المصدر نفسه، كتاب الصلاة: باب التعاون في بناء المسجد، م1، ص 125.

[4] – قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج2، ص 24.

بشأنه، وتعبيرًا عن عطفه – ρ– عليه ومحبته له"[1]؛ وقد حصل عدول في هذا الحديث النَّبوي عن الفعل الماضي (فرآه) إلى الفعل المضارع (ينفض)، وكان مقتضى السَّياق يوجب المطابقة الزمنية بين هذين الفعلين، وقد أدى هذا العدول الفعلي مقصدًا بلاغيًا يتناسب مع الصورة التي تمثلت في نفض رسول الله – ρ– الغبار عن عمار بن ياسر؛ ففي التعبير بصيغة المضارع موضع الماضي دلالة حية قادرة على شحذ الأذهان؛ إذ يتمثل في "استحضار ذلك في نفس السَّامع كأنه شاهده"[2]، وتكون هذه الصورة في الفعل المضارع "أوكد وأشد تخيلًا؛ لأنه يستحضر صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منه"[3]، خلاف الفعل الماضي الذي يتخيل السَّامع صورة الحدث دون استحضاره.

وبناء على ما تقدم يتضح سر العدول في هذا الحديث النبوي الذي مثل أجلّ المعاني البلاغية التي تظهر تواضع الرسول – ρ– مع أصحابه، فضلًا عن رحمته التي غمرت قلوبهم، ومدى حبه لهم.

ومن هذا – أيضًا: **عَنْ عَطاء بنِ أَبي مَيمُونةَ– قَالَ: سَمِعْتُ أَنسَ بنَ مَالِكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– يَقُولُ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ–ρ–إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ، تَبِعتُهُ أَنَا وَغُلَامٌ مِنَّا، مَعَنَا إِدَاوَةٌ مِن مَاءٍ"[4].**

يبين هذا الحديث النَّبوي الشَّريف وجوب الاستنجاء بعد قضاء الحاجة من البول والغائط، وقد سبق هذا الحديث النَّبوي الشَّريف أبواب تبين آداب الاستنجاء، كـ : ( باب ما يقول عند

---

[1] – المصدر نفسه.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج4، ص 209، ينظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج1، ص144.

[3]– ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص 14.

[4]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب من حمل معه الماء لطهوره ، م1، ص 52.

الخلاء)؛ فكان رسول الله –ρ– يقول إذا دخل الخلاء: " **اللَّهُمَّ انِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ والْخَبَائِثِ**"[1] ؛ أي يتعوذ من: " ذكور الشياطين وإناثهم؛ لأنهم هم الخبث والخبائث، وسموا بذلك لقذارتهم وشرهم وإضرارهم وإيذائهم للبشر"[2]، وباب (وضع الماء عند الخلاء)، **عَن ابْن عَبَّاس أَن النَّبِيَّ –ρ– دَخَلَ الْخَلَاء، فَوَضَعْتُ لَهُ وضُوءًا، قَالَ: "مَنْ وَضَعَ هَذَا؟"، فَأُخْبِرَ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**"[3]، ومن الأحاديث النَّبوية – أيضًا– في هذا المضمار باب: ( لا تستقبل القبلة بغائط أو بول إلا عند البناء، جدار أو نحوه)، **عَن أبي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –ρ–: " إِذَا أتى أحدُكُمْ الغَائِطَ فلا يَسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ ولا يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ، ولكنْ شَرِّقُوا أو غَرِّبُوا** "[4]؛ أي لا يجوز استقبال القبلة حال قضاء الحاجة.

وأما الأبواب التي جاءت بعده، كـ (باب من حمل معه الماء لطهوره)[5] ، و(باب حمل العنزة مع الماء في الاستنجاء)[6]، فهي – أيضًا– أبواب مكملة وموضحة لأحكام الاستنجاء وشروطه، إذ بينت أن الرَّسول –ρ– كان يفضل الاستنجاء بالماء على غيره؛ كونه " يزيل عين النجاسة وأثرها"[7].

---

[1] – المصدر نفسه، كتاب الوضوء، باب ما يقول عند الخلاء، م1، 50.

[2] – قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج1، ص 242.

[3] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، م1 ، ص 50.

[4] – المصدر نفسه، كتاب الوضوء، باب لا تستقبل القبلة بغائط أو بول إلا عند البناء، جدار أو نحوه، م1، ص 50.

[5] – البخاري: صحيح البخاري، باب من حمل معه الماء لطهوره، م1، ص 52.

[6] – المصدر نفسه، باب حمل العنزة مع الماء في الاستنجاء، م1، ص 52.( تتشابه متن هذه الأحاديث النبوية الشريفة مع متن الحديث النبوي الأول).

[7] – القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، م1، ص239.

ونلحظ في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف الأول عدولًا عن الفعل الماضي (سمعت) إلى الفعل المضارع (يقول)؛ لمقصد تناسبي يتمثل في "إرادة استحضاره صورة القول تحقيقًا وتأكيدًا له كأنه يبصر الحاضرين ذلك "[1]، فيكون العدول إلى الفعل المضارع قد صور المشهد، وبث فيه الحياة كأنه ماثل للعيان.

وقد يكون العدول **من صيغة المضارع إلى صيغة الماضي** لدِّلالات تناسبية أكثر عمقًا وتأثيرًا وأبعد غورًا؛ ذلك "أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها"[2].

وقد ورد هذا العدول في مواضع متفرقة[3] من أحاديث رسول الله– ρ– محققًا دلالات تناسبية تتلاءم مع الحضور العام للحديث النَّبوي الشَّريف، ومثال ذلك: **عَن عُمَرَ– رَضِي الله تَعَالَى عنهُ– قَالَ: "قَامَ فِينَا النَّبِيُّ –ρ– مَقامًا، فَأَخبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ"**[4].

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج4، ص 292.

[2]– ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص 15.

[3]– ينظر:

– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان: باب قيام ليلة القدر من الإيمان، م1، ص17.

– المصدر نفسه، كتاب الإيمان: باب حسن إسلام المرء، م1، ص 19.

– المصدر نفسه، كتاب صلاة التراويح:باب فضل من قام رمضان، م2، ص 62.

– المصدر نفسه، كتاب مناقب الأنصار: باب انشقاق القمر، م3، ص 57.

[4]– المصدر نفسه، كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في قول الله تعالى (وهو الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) ، م2، ص 394.

إن العدول في هذا الحديث النَّبوي عن الفعل المضارع (يدخل) إلى الفعل الماضي (دخل) ذو مغزى دلالي ونكتة بيانية؛ يتجلى في تحقيق دخول أهل الجنة إلى فردوس الله – عز وجل– ونعيمه، ودخول أهل النار إلى عذابهم الدائم ومستقرهم؛ فأفاد الفعل الماضي تحقيق وقوع الحدث، وأنه كائن لا محالة لا شك فيه ولا ارتياب، فـ " قال: دخل، بلفظ الماضي موضع المستقبل مبالغة للتحقق المستفاد من خبر الصّادق وأنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات من ابتدائها إلى انتهائها، وفي إيراد ذلك كله في مجلس واحد أمر عظيم من خوارق العادة "[1].

ويلمح من حديث آخر للرَّسول – ρ– الدِّلالة نفسها التي تتمثل في أن وعد الله آت، وسيجازي المؤمنين بما عملوا ويضاعف لهم حسناتهم، **فـعَنْ أبـي هُرَيـرَةَ – رَضِـيَ اللهُ عَنْـهُ– عَن النَّبـيِّ –ρ– قَـالَ: "انْتَـدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِـي سَبِيلِهِ لَاَ يُخْرِجُـهُ إِلاَّ إِيمَـانٌ بِـي، وَتَصْـدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَـهُ الْجَنَّـةَ، وَلَـوْلاَ أَنْ أَشُـقَّ عَلَـى أُمَّتِـي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ"** [2].

يبين هذا الحديث النَّبوي الشَّريف أن الجهاد من الإيمان بالله تعالى، وقد جاء التَّعبير بالفعل الماضي (نال) موضع الفعل المضارع؛ "لتحقق وعده تعالى"[3]، وأن وعد الله –عز وجل– من الأمور العظيمة التي يكون لها أثر عظيم؛ فقد أعد لهم ثوابًا عظيمًا لمن يخرج مجاهدًا في

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج15، ص110، وينظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج5، ص 250.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان: باب الجهاد من الإيمان، م1، ص18.

[3]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري،ج1، ص122.

سبيله، مؤمنًا به مصدقًا برسله، أن يرجعه سالمًا بما نال من الأجر والغنيمة، وإن كان ميتًا فله الجنة.

ومن ذلك يتبين أن العدول عن صيغة إلى صيغة أخرى له قيمة بلاغية، لا تكتسب إلا من خلال مخالفة مقتضى الظاهر، والخروج عن المألوف، وقد برز عدد من الدِّلالات في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة ذات المتغيرات الجديدة التي تناسبت وسياق الأحاديث النَّبوية؛ فيعدل من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي؛ لاستحضار صورة الحدث، وأما العدول من الماضي إلى المضارع؛ فيطوي دلالة مفادها تحقيق وقوع الفعل دون شك أو ارتياب.

## المطلب الثَّاني: بنية الأسماء ودلالاتها التَّناسبية

### الدِّلالات التَّناسبية للمشتقات

الاشتقاق من أكثر الأسباب التي تؤدي إلى إثراء الألفاظ اللغوية، وزيادتها والاتساع فيها؛ بغية ايجاد الدِّلالة المتسقة مع السِّياق العام؛ أي أن اللفظة يمكن أن يشتق منها ألفاظ أخرى تدل في اشتقاقها على دلالة تختص بها، "وهذا يعني أن هناك مادةً لغوية معينة، مثل: (ك ت ب) يمكن تشكيلها على هيئات مختلفة، كل هيئة منها لها وزن خاص، ولها وظيفة خاصة كأن نقول مثلا: كاتِب، أو مكتُوب، أو مَكتب، وأنت تلاحظ أن مثل هذه العملية إنما تجري داخل المادة اللغوية السَّابقة وتشكلها تشكيلًا جديدًا، وهي العملية التي تعرف بالاشتقاق".[1]

وقد مثلت هذه الظَّاهرة في أحاديث صحيح البخاري إيحاءات بلاغية جمالية بين مواطن وجودها والبناء العام لمتن الحديث الشَّريف؛ إذ إن "الاشتقاقَ من أغْرَب كلام العرب وهو ثابت عن الله تعالى بنقل العدول عن رسول الله ρ؛ لأنه أُوتي جوامع الكَلِم وهي جمعُ المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، فمن ذلك قوله فيما صح عنه: يقولُ الله: (أنا الرحمن خلقتُ الرُّحم وشققت لها من اسمي"[2]؛ فالاشتقاق هو: "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها

[1]– الراجحي، عبده: التطبيق الصرفي، د.ط، د.ت، دار النهضة العربية، بيروت، ص 75.

[2]– السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص 275.

اختلفا حروفًا أو هيئة كضارب من ضرب"[1]، أي أن الاشتقاق يعتمد على نزع لفظ من لفظ آخر بالاعتماد على المعنى والتركيب نفسه، والاختلاف في الصيغة.

ويقف هذا المبحث على دراسة المشتقات ودلالاتها التناسبية المتمثلة بـ (اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة القياسية وغير القياسية).

**اسم الفاعل ودلالاته التَّناسبية.**

هو من المشتقات الصَّرفية الذي يدل على " حدث وصاحبه" [2]، فـ " اشتق من فعل لمن قام به على معنى الحدوث كضارب ومكرم"[3]، دون دلالة الثبوت؛ لأنه "صفة تشتق من مصدر الفعل المتصرف المبني للمعلوم، للدلالة على من وقع منه الفعل حدوثًا لا ثبوتًا"[4]؛ أي أن اسم الفاعل يتسم بصفة ما لفترة من الوقت ثم سرعان ما تزول هذه الصفة، غير أن الجرجاني (ت 471هـ) في كتابه (دلائل الإعجاز) يرى أن دلالة الاسم لا تنحصر بدلالة الحدوث فقط؛ بل تتجاوزها إلى دلالة الثُّبوت؛ لأن "موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئًا بعد شيء. وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء[5]".

---

[1]– السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص 275.

[2]– السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج3، ص68.

[3]– ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف (ت 761هـ): شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ت : عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا، ج1، ص496.

[4]– قباوة، فخر الدين: تصريف الأسماء والأفعال، ص 149، والحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، ج1، ص 61، والجرجاني: التعريفات، ج1، ص 26.

[5]– الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي ( ت 471هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني، ط3، ت. محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني القاهرة – دار المدني جدة، 1992م، ج1، ص 174، وينظر: السامرائي، فضل صالح: معاني الأبنية العربية، ط2، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، 2007، ص41.

ويبدو جليًا دلالة اسم الفاعل على الثبوت في القرآن الكريم، ففي قوله تعالى:(**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**)[1]، جاء اسم الفاعل (مسلمون) في هذه الآية الكريمة بمعنى" منقادون لما ذكر الجواب بالفعل الذي هو نعبد؛ لأن العبادة متجددة دائمًا. ذكر هذه الجملة الاسمية المخبر عن المبتدأ فيها باسم الفاعل الدَّال على الثُّبوت، لأن الانقياد لا ينفكون عنه دائمًا".[2]

وقد شكّل التعبير بدلالة الثبوت وجوهًا من الحسن والجمال تبعًا للسياق النَّظمي للأحاديث النَّبوية الشَّريفة، مثال ذلك[3]: **عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها- أَنَّ رَسولَ اللهِ- ρ- قَالَ: "إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهْوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عنهُ النَّوْمُ؛ فانَّ أَحَدَكُمْ إِذَ صَلَّى وَهْوَ ناعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ"** [4].

ورد هذا المتن النَّبوي الشَّريف في سياق الحديث عن الوضوء، ومتى يجب، فإذا غلب الإنسان النُّعاس وثقل نومه؛ فقد انتقض وضوءه، وعليه أنَّ يرقدَ حتى يذهبَ نومه؛ لأن النُّعاس يكون نتيجة غلبة النَّوم، فلا يستطيع الإنسان التحكم في نفسه فلا يدري ما يقول،

---

[1]- سورة البقرة، آية: 133.

[2]- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت 745هـ): البحر المحيط في التفسير، د. ط، ت. صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت، 1420 هـ، ج1، ص 642.

[3]- ينظر- على سبيل المثال-: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب، م1، ص 109.

- المصدر نفسه، كتاب الآذان: باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، م1، ص 173.
- المصدر نفسه، كتاب التهجد: باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل، م1، ص 292.
- المصدر نفسه، كتاب التهجد: باب فضل من تعار من الليل فصلى، م1، ص295.
- المصدر نفسه، كتاب الحج: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم العقيق واد مبارك، م1، ص 397.
- المصدر نفسه، كتاب الكفالة: باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها، م2، ص 133.
- المصدر نفسه، كتاب الصلح: باب هل يشير الإمام بالصلح، م2، ص 254.

[4]- المصدر نفسه، كتاب الوضوء: باب الوضوء من النوم، م1، ص 66.

فإن أراد أنَّ يستغفر ربه، سبَّ على نفسه ودعا عليها بالضلالة وقلة الرَّزق، وأما إذا لم يغلبه النُّعاس " فإنه معفو عنه ولا وضوء فيه"[1]، وقد مثل التَّعبير باسم الفاعل (ناعس) نكته تناسبية تحمل في طياتها قوة في الدلالة، واتساعًا في المعنى؛ لدلالته على إثبات صفة النُّعاس على الإنسان، فـ " لا يكفي تجدد أدنى نعاس وتقضيه في الحال؛ بل لا بد من ثبوته حيث يفضي إلى عدم درايته بما يقول، وعدم علمه بما يقرأ"[2].

ومن شواهد هذا الضرب– أيضًا–: **عَن ابْن عَبَّاس – رَضِي الله عَنْهُمَا–** : "**أَنَّ رَجُلًا وَقَصَهُ بَعِيرُهُ وَنَحنُ مَعَ النَّبِي – ρ – وَهُوَ مُحرِمٌ، فَقَالَ النَّبِيُ – ρ–: " اغسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُمِسُّوهُ طِيبًا، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأَسَهُ، فَإِنَّ اللهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا" [3]**.

يبينَّ هذا الحديث النّبوي الشّريف أحكام المسلم إذا مات محرمًّا، فـ " يبقى في حقه حكم الإحرام"[4]؛ فيغسل بماء وسدر طيب، ولا يُحنط، ولا يقرب طيبًا، ولا يغطى رأسه، ويكفّن في في ثوبي إحرامه، كما الشّهيد الذي يبعث يوم القيامة يسغب جرحه دمًا، وريحه ريح المسك، فلا يغسّل، ولا يكفّن بكفن جديد، وإنما يكفن في ثيايه، وفي هذا بيان للفضيلة والصُورة العظيمة التي يرتقي إليها الشَّهيد المجاهد في سبيل الله؛ فالله – عز وجل– يبعث الإنسان على ما عاش عليه، فإن عاش على عمل صالح كُتب له الخير، وإن عاش على غضب الله عز وجل؛ فقد خسر رضاه، واستحق نار جهنم، وفي هذا قال ابن بطال: " إن من شرع فى

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج3، ص110، وينظر: القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج1، ص 284.

[2]– المصدر نفسه.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز: باب كيف يكفن المحرم، م1، ص326.

[4] – قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج2، ص 372.

عمل من عمل الطَّاعات وصحت فيه نيته الله، وحال بينه وبين تمامه الموت؛ فإن الرجاء قوي أن الله قد كتبه فى الآخرة من أهل ذلك العمل وتقبله منه"[1].

والخصوصية الدَّلالية التي يتمحور حولها سياق هذا الحديث النَّبوي، هي التعبير باسم الفاعل (ملبيًا) التي توحي بتناسب لغوي له فائدة دلالية مغزاها "الثُّبوت"[2]؛ أي أن المحرم إذا مات في إحرامه يبعث يوم القيامة على ما كان فيه؛ ليكون ذلك علامة لحجه أو لعمرته، "بصفة الملبين بنسكه الذي مات فيه من حج أو عمرة، أو قائلًا: لبيك اللهم لبيك" [3]، "وهذا الأمر لا يتحقق وجوده في غيره فيكون خاصًا بذلك الرَّجل، ولو استمر بقاؤه على إحرامه لأمر بقضاء مناسكه"[4]، وفي هذا تعظيم للنفس الإنسانية وتشريف لها بأن تبعث على هذه الهيئة والصورة.

ومما تقدم يتبين أن النَّظم النَّبوي الشَّريف آثر توظيف اسم الفاعل، فجاء متناسبًا في معانيه ومبانيه وصيغته الصرفية الدَّالة على الثُّبوت التي انسجمت مع سياق الأحاديث النَّبوية الشَّريفة.

---

[1]– ابن عبد الملك ، ابن بطال أبو الحسن، ت : (449هـ)، شرح صحيح البخارى لابن بطال، ط 2، ت. أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، 2003م، ج4، ص522.

[2] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج 8، ص53.

[3]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج2، ص 389.

[4]– العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج4، ص 54.

**اسم المفعول و دلالاته التَّناسبية:**

اسم المفعول: "هو ما اشْتُق من مصدر المبني للمجهول، لمن وقع عليه الفعل"[1]، أو "ما اشتق من فعل لمن وقع عليه كمضروب" [2]، واستنادًا إلى هذه التعريفات، نلمح بأنه وصف مشتق للدلالة على ما وقع عليه فعل الفاعل.

وقد حقق التَّعبير بصيغته معاني تناسبية وحقائق جليلة، تناسبت مع مقام الحديث النَّبوي الشَّريف وسياقه، من ذلك[3]: **عَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ – رَضِي الله تَعَالَى عنهُ–، قَالَ: "دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –ρ– عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ[4] – وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ– عَلَيْهِ السَّلاَمُ– فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ –ρ– إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ –وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ– فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ –ρ– تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ –رضي الله عنه: "وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ"؟ فَقَالَ: " يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ"، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ –ρ–: "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ"[5].**

جاء هذا الحديث النَّبوي الشّريف في سياق وصف حزن الرَّسول – ρ– عندما توفي ابنه إبراهيم– عليه السَّلام–، وقد سبق هذا الحديث النَّبوي الشَّريف أبواب تبين جواز إخفاء الحزن

---

[1]– الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، ج1، ص 63.

[2]– ابن هشام: شرح شذور الذهب، ص 508، ج1، وينظر: الجرجاني: التعريفات، ج1، ص 26، ونهر، هادي: الصرف الوافي دراسة وصفية تطبيقية، ص 130.

[3]– ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم: باب ما يذكر في المناولة، م1، ص27.

– المصدر نفسه، كتاب السلم: باب السلم في النخل، م2، ص121.

– المصدر نفسه، كتاب الصلح: باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، م2، ص 250.

– المصدر نفسه، كتاب الوصايا: باب إذا وقف أرضا أو بئرا واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، م2، ص 282.

– المصدر نفسه، كتاب اللباس: باب الإزار المهدب، م4، ص 59.

[4] – القين: الحداد.

[5]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز: باب قول النبي –ρ– "إنا بك لمحزونون"، م1، ص335.

والبكاء على الفقيد، مع احتساب الأجر عند الله – عز وجل– والتَّسليم بالقضاء والقدر، فـ **عَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ – رَضِي الله تَعَالَى عنهُ–، قَالَ: " اشْتَكَى ابْنٌ لأبي طَلْحَةَ، قَالَ: فَمَاتَ، وأبو طَلْحَةُ خَارِجٌ، فَلمَا رَأتْ امْرَأتهُ أَنَّهُ قدْ مَاتَ، هَيَأت شَيْئاً ونَحَّتْهُ في جَانِبِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا جَاءَ أبو طَلْحَةَ قَالَ: كَيْفَ الْغُلامُ؟ قَالَتْ: هَدَأت نَفْسُهُ، وأرْجُو أن يَكُونَ قَدْ استَرَاحَ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَة، قَالَ: فَباتَ، فلمَّا أصْبَحَ اغْتَسَل، فَلَمَّا أَرَادَ أنْ يَخْرُج أعْلَمَتْهُ أَنَّه قَدْ مَاتَ، فصَلَّى مَعَ النَّبِيّ – ρ– ثُمَّ أَخْبَرَهُ بما كَانَ مِنْهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – ρ–: " لَعَلَّ اللهَ أنْ يُبَارِكَ لَكُمَا في لَيْلَتِكُمَا"، قَالَ سُفيَان: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ، فَرَأَيْتُ لَهُ تِسْعَةَ أولادٍ كُلُّهُمْ قَد قَرأ الْقُرْآنَ"**[1].

يبين هذا الحديث النّبوي الشريف أن امرأة أبي طلحة صبرت على مصابها، واحتسبته عند الله – عز وجل–، وسيطرت على حزنها؛ وهيأت لزوجها ما يريد، وقلبها يعتصر أَلمًا على ولدها، فعوضها الله – عز وجل– بسبعة أولاد ختموا القرآن كله، وقد بين حديث نبوي آخر أن الصَّبر على المصائب يجب أن يكون عند الصَّدمة الأُولى؛ **فـعَنْ أَنَسٍ – رَضِي الله تَعَالَى عنهُ– عنِ النَّبِيِ – ρ– قَالَ: "الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولى"**[2].

أما الحديث النَّبوي الشَّريف المنوط بالتحليل، فقد بين صبر الرَّسول –ρ–على مصابه، ولكن فاضت عيناه بالدُّموع على ابنه من دون حول منه ولا قوة؛ فوصفها بـ (الرَّحمة)؛ لأنها تعبيرٌ عن الحزن الذي اعتصر قلب الرسول – ρ– ومن معه، وقد جاء التعبير بصيغة اسم المفعول (محزنون) في أحسن موضع، مؤديًا دلالات بلاغية متخيرة ومصقولة، وتوسعًا في

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة، م1، ص 334.

[2] – المصدر نفسه، كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى، م1، ص 335.

المعنى؛ لإبراز صورة حزن الرسول – ρ– وكيف عبر عنه، فـ " أضاف الفعل إلى الجارحة تنبيهًا على أن مثل هذا لا يدخل تحت قدرة العبد، ولا يكلف الانكفاف عنه، وكأن الجارحة امتنعت، فصارت هي الفاعلة لا هو"[1]، فاقتضى السَّياق المجيء باسم المفعول؛ ليوضح أن الحزن ليس من فعلهم ولكن الله – عز وجل– أودعه في نفوسهم وقلوبهم، ولا يحاسبوا عليه؛ إلا إذا جزعوا وقنطوا من رحمته جلا وعلا ؛ فـ" ليس الحزن من فعلنا، ولكنه واقع بنا من غيرنا"[2].

ومنه – أيضًا–: **عَنْ أَنَسٍ – رَضِي الله تَعَالَى عنهُ– عنِ النَّبِيِ – ρ– قَالَ: " مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَنْذَرَ قَوْمَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ"**[3].

أراد الرسول –ρ– في هذا الحديث النبوي التَّحذير من الدَّجال؛ فيصفه وصفًا دقيقًا؛ حتى لا يغتر به أحد ويصدقه، وقد ذكر علامتين يُعرف بهما هذا الدَّجال، تتمثل العلامة الأولى في أنه: أعور مشوه الصُّورة، والله – عز وجل– ليس بأعور، وهذا من كمال صفاته، فالله عز وجل منزه عن العيوب والنَّقائص، و" أنه ليس كمن لا يرى ولا يبصر، بل هو منتف عنه جميع النقائص والآفات التى هى أضداد السَّمع والبصر وسائر صفات ذاته التى يستحيل وصفه بأضدادها"[4]؛ وقد "اقتصر في وصف الدَّجال على العور؛ لكون كل أحد يدركه؛

---

[1]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج2، ص415.

[2]– المصدر نفسه.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب، م4، ص 451.

[4] – ابن بطال: شرح صحيح البخاري، ج 10، ص 433.

فدعواه الربوبية مع ذلك كاذبة"[1]، أما العلامة الثَّانية؛ فهي: أن الله – عز وجل– كتب على جبينه بأنه كافر، وهذه الكتابة حقيقة وليست مجازًا، إذ جعلها الله – عز وجل– "علامة قاطعة بكذب الدَّجال فيظهر الله المؤمن عليها، ويخفيها على من أراد شقاوته" [2]، ولعل موضع التَّناسب ظاهر في التعبير بصيغة اسم المفعول (مكتوب) الذي يبين أن الله – عز وجل– هو من قام بالكتابة على جبينه؛ ليظهر رحمته جل وعلا وفضله على المسلمين، بأن من آمن بالله وبرسله، وعرف طريق الحق والهداية لا يقرأ هذه الكلمات، فحقق التعبير باسم المفعول (مكتوب) مقاصد تناسبية في التَّحذير من اتباع الأعور الدَّجال أيمَّا تحذير.

وبهذا فإن لاسم المفعول في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة مقاصد ودلالات أسلوبية في التَّدليل على المعاني المرادة، التي تهدف إلى تثبيت العقيدة في نفوس المسلمين، وبيان مصيرهم.

**صيغ المبالغة ودلالاتها التَّناسبية:**

صيغ المبالغة من الأساليب البلاغية التي وظفت في أحاديث رسول – ρ –؛ فهي تشد نظم الحديث النَّبوي الشَّريف، وتقوي دلالته، وصيغ المبالغة هي: "أسماء تشتق من الأفعال للدلالة على معنى اسم الفاعل مع تأكيد المعنى وتقويته والمبالغة فيه، وهي لا تشتق إلا من الفعل الثلاثي"[3].

[1]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج10، ص 383.

[2]– العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 13، ص100.

[3]– عبده، الراجحي: التطبيق الصرفي، ص77.

وهذه الصِّيغ متولدة من "تحول صيغة فاعل للدلالة على الكثرة والمبالغة فى الحدث، إلى أوزان خمسة مشهورة، تسمى صيغ المبالغة، وهى (فَعّال): بتشديد العين، كأَكَّال، و(مِفعال): كمِنحار. و(فَعُول): كغَفُور، و(فَعِيل): كسميع، و(فَعِل): بفتح الفاء وكسر العين كحَذِر".[1]

وأولى هذه الصيغ: صيغة (فعّال) التي تدل على المبالغة والكثرة في الحدث، وشاهد هذا: **عَن عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْها– زَوجَ النَّبِي – ρ– قَالَت: " لَم أَعقِل أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدّينَ، وَلَم يَمُرَّ عَلَينَا يَوْمٌ إِلَّا يَأتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ – ρ– طَرَفَي النَّهَارِ بُكرَةً وَعَشِيَّةً، ثمَّ بَدَا لأَبِي بَكرٍ فَابتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَقِفُعَلَيْهِ نسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبنَاؤُهُم يَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَكَانَ أَبُو بَكرٍ رَجُلاً بَكَّاءً لَا يَملِكُ عَيْنَيْهِ إِذا قَرَأَ الْقُرْآنَ، فأفزعَ ذَلِك أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"[2].**

يوضح هذا الحديث النَّبوي الشَّريف مناقب أبي بكر – رضي الله عنه– وخصاله الحميدة؛ إذ كان أفضل هذه الأمة بعد النَّبي – ρ–؛ **فعنِ ابنِ عُمَرَ – رَضِي الله تَعَالَى عنهُما– قَالَ: " كُنَّا نُخَيِّر بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ –ρ– فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَر ابنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ"[3]**، وكان له منزلة كبيرة عنده –ρ–؛ فسمح له بالصّلاة في أثناء مرضه[4]، وكان من أوائل الصَّحابة المصدقين برسالته المحمديّة، وعمل على ترسيخ مبادئها وإرساء معالمها، وقد تفرد – رضي الله عنه– بهذه الخصال؛ " لأنه قصد تبليغ كتاب الله وإظهاره مع

---

[1]– الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، ج1، ص 62، والسيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص323، الكتاب: سيبويه، ج1، ص110.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة: باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس، م1، ص 133.

[3] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر بعد النبي –ρ– م3، ص5.

[4] – ينظر: نص الحديث النبوي ص 74.

الخوف على نفسه، وَلم يبلغ شخص آخر هذه المنزلة"[1]، وأما الفضيلة التي تشكل محور هذا الحديث النَّبوي فهي صيغة المبالغة: (بكّاء)؛ " مُبَالغَة باك" [2]، وتدل على تكرار البكاء مرة بعد مرة، "وَبنى مِثَال من كرر الْفِعْل على فَعّال، مثل: قتّال وفتّاك"[3]، وقد ناسبت هذه الصَّيغة الصَّرفية السَّياق النَّبوي الذي وردت فيه؛ فجاءت وصفًا للصحابي الجليل أبي بكر – رضي الله عنه– الذي كان لا يستطيع أن يملك عينيه"[4]، وفي هذا مبالغة في خشوعه ووجل قلبه عند قراءته لآيات الذِّكر الحكيم؛ فكلما قرأ أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – القرآن الكريم بخشوع فاضت دموعه، وهذا الحال يتناسب مع الدَّلالة العامة لصيغة (فعّال)؛ لما فيها من معاني التَّكرار والتكثير التي تناسبت وحال أبي بكر – رضي الله عنه– في خشوعه.

ولصيغة (فعّال) لمسة بيانية أخرى في أحاديثه –ρ–؛ **فعن جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ الأَنصاري قالَ: "كانَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ –ρ – ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَصَلَّى العِشَاءَ فقَرَأَ بِالبَقَرَةِ فانْصَرَفَ الرَّجُلُ، فَكَأَنَّ مُعَاذا تَنَاوَلَ مِنْهُ، فَبَلَغَ النبيَّ –ρ– فَقَالَ:"فَتَّانٌ فَتَّانُ فَتَّانٌ" ثَلاثَ مِرَارٍ أَوْ قالَ:"فَاتِنًا فَاتِنًا فَاتِنًا"، وَأَمَرَهُ بِسُورَتَيْنِ مِنْ أَوْسَطِ المُفَصَّلِ، قَالَ عَمْرٌو:لا أَحْفَظُهُمَا"** [5].

يرشد هذا الحديث النَّبوي الشَّريف إلى مراعاة الإمام أحوال المصلين وظروفهم، وقد ورد بعده حديث نبوي آخر يؤكد هذا المعنى، **فعَنْ أبي مَسْعُودٍ – رَضِي الله عَنهُ–، قَالَ: أَتَى**

---

[1] – العيني : عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج4، ص 257.

[2]– المصدر نفسه، ص 256.

[3]– الحريري، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان (ت516هـ): درة الغواص في أوهام الخواص، ط1، ت. عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، 1998هـ، ج1، ص 106.

[4]– المصدر نفسه.

[5]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآذان: باب إذا طول الإمام وكان للرجل حاجة فخرج فصلى، م1، ص 184.

**رَجُلٌ النَّبِيَ – ρ–، فَقَالَ: " وَاللهِ يَا رَسُولَ الله، إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ؛ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَما رَأَيْتُ رسولَ الله – ρ– فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبا مِنْـهُ يوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وذَا الحَاجَةِ"[1].**

أوصى الرَّسول –ρ– في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف بالتَّخفيف في قراءة السِّور الطِّوال؛ لكي لا يطيل بالصَّلاة، مع إتمام الرُّكوع والسُّجود.

وقد تناغمت صيغة المبالغة (فتّان) في الحديث النَّبوي الأول مع المعنى المراد منها؛ لأنها جاءت في وصف معاذ – رضي الله عنه– عندما أطال بالصلاة، وأثقل على المصلين بقراءة السِّور الطِّوال، فلما بلغ الأمر الرَّسول –ρ– غضب غضبًا شديدًا، وأوصاه بقراءة السُّور القصيرة؛ مراعاة لأوضاع المصلين وحالاتهم، فمنهم الضعيف والكبير وذو الحاجة، فجاءت (فتّان) بمعنى "معذب لأنه عذبهم بالتطويل"[2]، وفي التطويل سبب لترك الصَّلاة والتنفير والصد عنها.

يتضح مما سبق أن لصيغة (فعّال) ملمحًا تناسبيًا: يكمن في المبالغة الدَّالة على تعذيب المصلين وانتظارهم وقتًا طويلًا؛ مما ينفرهم عن الصَّلاة وأدائها.

أما صيغة (فعول)؛ فهي الصَّيغة التي توظف في سياق "لمن كثر منه الفعل"[3]، وقد "بَنى مِثَال من بَالغ في الفعل، وكان قويًا عليه على فعول، مثل صبور وشكور"[4]، ومما جاء على

---

[1] – المصدر نفسه، باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الرُّكوع والسُّجود، م1، ص 185.

[2]– العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 195.

[3]– السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج3، ص 75.

[4]– الحريري: درة الغواص في أوهام الخواص، ج1، ص 106.

هذه الصِّيغة: **عَن المُغِيرَةَ بن شُعْبَةَ قَالَ: " كَانَ النَّبِيُّ – ρ – لَيَقُومُ– أَو لَيُصَلِّي– حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ أَو سَاقَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: فَيَقُولُ:"أَفَلا أَكُونُ عَبدًا شَكُورًا" [1].**

كان الرّسول – ρ– دائم العبادة، والصّلاة، والصّيام، والذِّكر، والدُّعاء وقيام الليل؛ وكان يقوم بالليل حتى تنفطر قدماه، وقد غفّر الله لرسوله – ρ– جميع ذنوبه ما تقدّم منها، وما تأخر؛ لقوله تعالى: **(لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا)**[2]، ولكنَّ رسول الله – ρ– أبى إلا أن يجاهد بنفسه، ويحملها مشقة قيام الليل؛ شكرًا لله تعالى وتقربًا له؛ فالشُّكر لله هو القيام بطاعة الله –عز وجل–، وكلما زادت طاعته ازداد شكرًا لله تعالى؛ أي "أنّ الشكر سبب للمغفرة والتهجد هو الشكر فلا يتركه"[3]، و يدل مضمون الحديث النَّبوي الشريف على الإقرار بالنعم، وزيادة الشكر لله تعالى، وهذا ما يتناغم مع البنية الصرفية لصيغة (فعول)؛ لأن " الشَّكور من أبنية المبالغة يستدعي نعمة خطيرة"[4]، وفي تخصيص العبد بالذكر " مشعر بغاية الإكرام والقرب من الله تعالى"؛ فجاءت صيغة (فعول) بدلالاتها التَّناسبية خير معبر عن الدَّلالة المرادة في سياق هذا النَّظم النَّبوي الدال على الإقرار بالنعم، والزِّيادة في الشُّكر.

وتوظف صيغة (**فِعِّيل** )[5] لـ " لفعل للمولع بالفعل فيديم العمل به أو يكون له عادة"[6]، ومثال ذلك: **عَن عائِشَةَ – رَضِي الله تَعَالَى عَنْهَا–، قالَتْ: " جَاءَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ،**

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب التهجد: باب قيام النبي – ρ– حتى ترم قدماه، م1، ص 289.

[2] – سورة الفتح، آية 2.

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج7، ص180.

[4]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج2، ص 314.

[5]– الراجحي: عبده، التطبيق الصرفي، ص 78، ينظر: قباوة، فخر الدين، تصريف الأسماء والأفعال، ص 154.

[6]– السامرائي: معاني الأبنية العربية، ص103، وينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، ص 330.

**فَقَالَتْ: يَا رسُولَ اللهِ إنَّ أبَا سُفْيانَ رجُلٌ مِسِّيكٌ، فَهَلْ عَلَيَّ حَرَجٌ أنْ أُطْعِمَ منَ الَّذِي لَهُ عِيَالَنا؟ فَقَالَ:"لَا حَرَجَ عَلَيْكِ أنْ تُطْعِمِيهِمْ بالْمَعْرُوفِ" [1].**

يرشد هذا الحديث النَّبوي الشَّريف إلى وجوب النَّفقة على الزَّوجة والأولاد، وقد جاءت صيغة المبالغة (مسيِّك) في أحسن نسق؛ للدلالة على الصّفة التي اتسم بها أبو لهب، إذ كان" بخيلًا شديد المسك بما في يديه" [2]، وقد تناسب هذا الوصف لأبي لهب؛ لأنه مولع بهذه الصِّفة، فداوم عليها وأصبحت سجية عنده يُعرف بها، إذ جاءت هند بنت عتبة– زوج أبي سفيان– تسأل الرسول –ρ – إن كان هناك حرج في إطعام أطفالها من ماله؛ ومرد ذلك يعود إلى بخله، وحرصه الشديد؛ فكان " يمسك ما في يديه ولا يخرجه لأحد" [3]، فبين رسولنا الكريم – ρ– أن لا إثم عليها، وأن يكون إطعامهم من غير إسراف وتبذير، فتناسبت هذه الصِّيغة الصَّرفية وسياق الحديث النَّبوي الشَّريف.

## المطلب الثَّالث: الدِّلالات التَّناسبية لأبنية المصادر:

يمثل توظيف المصادر في أحاديث صحيح البخاري لمحات تناسبية وجمالية تتسق هذه الدلالة والمعنى العام للحديث النَّبوي الشَّريف، فالمصدر يدل على الحدث دون أن يتقيد بالزَّمن خلاف الفعل الذي يقترن بالزَّمن والحدث في الوقت ذاته، وعُرّف المصدر بأنه : "ذلك

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب: باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، م2، ص182.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج13، ص7، ينظر أيضا: المصدر نفسه، ج16، ص 284.

[3]– المصدر نفسه ، ج23، ص173.

الحدث الصافي كالضرب والقتل والأكل والشرب" [1]، فهو "الاسم الذي اشتق منه الفعل وصدر عنه" [2]، وللمصدر أربعة أقسام: " مصدر أصلي ويسمى (الصَّريح)، وميمي، ومصادر بمعنى المرة والهيئة ومصدر صناعي"[3]، وسيتناول هذا المطلب الدِّلالات البلاغية للمصدر الميمي واسم المرة.

**المصدر الميمي ودلالاته التَّناسبية:**

هو مصدر "يصاغ من المصدر الأصلي للفعل الثُّلاثي وغير الثُّلاثي صيغة قياسية، تلازم الإفراد والتَّذكير، وتؤدي ما يؤديه هذا المصدر الأصلي من الدَّلالة على المعنى المجرد ومن العمل لكنها تفوقه في قوة الدَّلالة وتأكيدها" [4]، إذ إنَّ " المصدر الميمي في الغالب يحمل معه عنصر الذات، بخلاف المصدر غير الميمي فإنه حدث مجرد من كل شيء؛ فقوله تعالى: **(وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ)**[5] لا يطابق (إليَّ الصيرورة)؛ فإن المصير يحمل معه عنصرًا ماديًا، فالمصدر غير الميمي حدث غير متلبس بشيء آخر، أما المصدر الميمي فإنه مصدر متلبس بذات في الغالب"[6]، كما أنَّ المصدر الميمي " يصور المعنى المصدري واقعًا قائمًا متحققًا في الوجود، أما المصدر غير الميمي فيصور المعنى مجردًا؛ فإذا كانت كلمة مقال

---

[1]– ابن جني: الخصائص، ج1، ص 123.

[2]– الجرجاني: التعريفات، ج1، ص 216.

[3]– المصدر نفسه.

[4]– حسن، عباس، ( ت 1398هـ): النحو الوافي، ط15، دار المعارف، ج3، ص231، ينظر: السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج2، ص 100، قباوة، فخر الدين: تصريف الأسماء والأفعال، ص 145.

[5] – سورة الحج ، آية 48.

[6] – السامرائي، فضل صالح:معاني الأبنية في العربية، ص31.

بمعنى القول؛ فإن التعبير بالقول يصور معنى مجردًا من غير نظر إلى كونه تحقق وجوده أو لا، أما كلمة مقال فتصور معنى وجد وتحقق، أو في صورة الوجود المتحقق"[1] .

ومثال ذلك[2]: **عَن عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنها–، قَالَتْ: " وَالَّذِي ذَهَبَ بِهِ مَا تَرَكَهُمَا حَتَّى لَقِيَ اللهَ، وَمَا لَقِيَ اللهَ تعالَى حَتَّى ثَقُلَ عنِ الصَّلاَةِ، وَكَانَ يُصَلِّي كَثِيرا مِنْ صَلاَتِهِ قاعِدا – تَعْنِي الرَّكْعَتَيْنِ– بَعْدَ العَصْرِ، وَكَانَ النَّبِيُّ –ρ– يُصَلِّيهِمَا، وَلاَ يُصَلِّيهِمَا فِي المَسْجِدِ مَخَافَةَ أنْ يُثَقِّلَ عَلَى أُمَّتِهِ، وكانَ يُحِبُّ مَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ"** [3].

يشير هذا الحديث النَّبوي الشَّريف إلى أن الرَّسول –ρ– كان يؤدي ركعتين بعد صلاة العصر، وقد وردت أحاديث نبوية شريفة بعده في الباب نفسه تؤكد هذه الميزة عنده – ρ–، وتثبت أنها " كانت من خصائصه"[4]؛ **فعَن عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنها–، قَالَتْ: " مَا تَرَكَ النَّبِيُّ** – ρ– **السَّجْدَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ عِنْدِي قَطُّ"**[5]، كما قالت – أيضًا– عَائِشَةُ – رَضِيَ اللهُ عَنها–: **"رَكْعَتَانِ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ** –ρ – **يَدَعُهُمَا سِرًّا وَلاَ عَلاَنِيَةً: رَكْعَتَانِ قَبْلَ صَلاَةِ**

---

[1] – أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى ( ت1394هـ): زهرة التفاسير، د.ت، د.ط، دار الفكر العربي، ج2، ص 647.

[2]– ينظر على سبيل المثال: البخاري: صحيح البخاري، كتاب ، باب الإدلاج من المحصب، م1، ص 455.

– المصدر نفسه، كتاب الاستقراض: باب من استعاذ من الدين، م2، 163.

– المصدر نفسه، كتاب الأحكام: باب كيف يبايع الإمام الناس، م4، ص440.

– المصدر نفسه، كتاب الجنائز: باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله، م1، ص 350.

– المصدر نفسه، كتاب الهبة: باب قبول الهدية، م2، ص 214.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة: باب ما يصلى بعد العصر من الفوائت وغيرها، م1، ص 158.

[4]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 5، ص 86.

[5] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يصلي بعد العصر من الفوائت وغيرها، م1، ص 158.

**الصُّبْحِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ الْعَصْرِ**"[1]، وقالت: "**مَا كَانَ النَّبِيُّ** –ρ – **يَأْتِينِي فِي يَوْمٍ بَعْدَ الْعَصْرِ إِلاَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ**"[2].

وكان رَسولُ – ρ– يؤدي ركعتين بعد صلاة العصر من باب القضاء؛ لأنه قد شغل عنهما، إذ قالَ كُرَيْبٌ عَنْ أمِّ سَلَمَةَ: "**صَلَّى النَّبِيُّ** – ρ– **بَعْدَ العَصْرِ رَكْعَتَيْنِ، وَقَالَ: شَغَلَنِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ**"[3].

وقد نهى رسول الله – ρ– عن الصَّلاة بعد الصُّبح حتى تطلع الشَّمس، وعن الصَّلاة بعد العصر حتى تغرب الشَّمس، لما أُثر عن رسول الله – ρ– : " **لاَ صَلاَةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ، وَلاَ صَلاَةَ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ**"[4]، ذلك أن العلة في النهي تكمن في " التشبه بعبدة الشمس، والرَّسول – ρ– منزه عن التشبه بهم"[5]، وقد كانت صلاة رسول الله – ρ– " بسبب قضاء فائتة الظهر، وبأنه – ρ– لما قضى فائتة ذلك اليوم، وكان في فواته نوع تقصير واظب عليها مدة عمره جبرًا لما وقع منه"[6].

إنَّ النكتة البيانية في الحديث النَّبوي الشريف المنوط بالتحليل حاصلة في توظيف المصدر الميمي (مخافة) " بمعنى الخوف" [7]؛ ثم إن هذا المعنى المطوي في هذا المصدر تشارب وتشاكل مع المعنى الذي أراد رسول الله –ρ– إيصاله؛ فكان لا يريد أن يفرض عليهم صلاة

---

[1] – المصدر نفسه.

[2] – المصدر نفسه.

[3] – المصدر نفسه، كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يصلى بعد العصر من الفوائت ونحوها م1، ص158

[4] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب لا يتحرى الصلاة قبل غروب الشمس، م1، ص 157.

[5] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 5، ص 86.

[6] – المصدر نفسه.

[7] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 5، ص 84.

هاتين الرَّكعتين؛ "مخافة التثقيل على أمته"[1]؛ وخوفًا من وقوعهم في الإثم لما نهى عنه، فأدى هذا المصدر معنى في غاية الإدراك وقمة التَّحقق والوجود لما يتسم به من صفات دالة على قوة المعنى وتأكيده، وإظهار خوف الرسول– ρ–الكبير على أمته، وعدم التَّثقيل عليهم.

ومنه –أيضًا–: **عَن أَبي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ– قَالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ –ρ–: "الْحَلِفُ مَنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلبَرَكَةِ"**[2].

يوضح هذا الحديث النَّبوي الشَّريف أن اليمين الكاذب والحلف بالله تعالى في تسويق السَّلع وترويجها تزيد المال، ولكنها تذهب البركة وتنقصها في الحياة الدُّنيا، وتنقص من أجره في الحياة الآخرة؛ فـ " الحلف الكاذب وإن زاد في المال؛ فإنه يمحق البركة؛ فكذلك قوله تعالى: **(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا)**[3]؛ أي يمحق البركة من البيع الذي فيه الرِّبا وإن كان العدد زائدًا، لكن محق البركة يفضي إلى اضمحلال العدد في الدُّنيا، واضمحلال الأجر في الآخرة"[4] .

وقد نهى الرُّسول – ρ– عن الحلف في البيع لتَّرويج السِّلع؛ **فعنْ عَبْدِ الله بنِ أَبِي أوفى – رَضِي الله تَعَالَى عنهُ–، "أَنَّ رَجُلاً أقامَ سِلْعَةً وَهْوَ فِي السُّوقِ فَحَلَفَ بِاللَّه لَقَدْ أَعْطَى بِهَا مَا لَمْ يُعْطَ؛ لِيُوقِعَ فِيها رَجُلًا مِنَ المُسْلِمِينَ، فنَزَلَتْ: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله وأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا) [آل عمران: 77]"**[5] .

---

[1]– المصدر نفسه.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع: باب **(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)**،[البقرة: 276]، م2، ص83.

[3] – سورة البقرة، آية 276.

[4] – العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 4، ص316.

[5] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما يكره من الحلف في السِّلع، م2، ص 83.

أما الحديث النَّبوي الشَّريف الأول؛ فقد ناسب التَّعبير عن صورة حلف اليمين الكاذب، وذهاب البركة بالمصدرين ( منفقة وممحقة)، وهما في الأصل: " مصدران مزيدان ميميان بمعنى النفاق والمحق"[1]؛ لأن المقام مقام نهي وتحذير لمن يقدم على حلف هذه الأيمان؛ فجاء هذا المصدر الدَّال على تأكيد حرمة حلف اليمين، وتحقق اضمحلال البركة في الدُّنيا والآخرة، بأحسن نسق للدلالة على هذا المعنى، فرفع من سمت الحديث النَّبوي الشَّريف، وأوج معناه ومراده.

وبناء على هذا شكّل المصدر الميمي أسلوبًا بلاغيًا يسهم في كشف المعاني النَّبوية، وتحديد دلالتها التي تكتمل بها الصُّورة على الوجه الذي يهدف إلى تثبيتها في النفس بما فيه من قوة في الدَّلالة على المعنى وتأكيده، وتحقيق حصوله.

**مصدر المرة ودلالاته التَّناسبية:**

يدل مصدر المرة "على المرة الواحدة من الفعل جئت به أبداً على فعلةٍ على الأصل، لأن الأصل فعل"[2]، وقد ورد هذا المصدر في مواضع متفرقة في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة[3]،

---

[1] – القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج 4، ص 29.

[2]– سيبويه: الكتاب، ج4، ص 45، ينظر: ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف( ت 761هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ت. يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج8، ص207، الراجحي، عبده: التطبيق الصرفي، ص 74، و قباوة، فخر الدين: تصريف الأسماء والأفعال، ص 142، والزمخشري: المفصل في صنعة أعراب، ج1، ص 280.

[3]– ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن: سورة الزمر، ( **وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**)، م3، ص 345.

– المصدر نفسه، كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار، م4، ص 233.

ولهذا المصدر مقاصد تناسبية تتلاءم وسياق الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، مثال ذلك: **عَنْ جابِرِ بنَ عَبْدِ الله –رَضِي الله تَعَالَى عنهُما–، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ–ρ–: "الحَرْبُ خُدْعَةٌ"**[1].

يرشد هذا الحديث النَّبوي الشّريف إلى جواز الإتيان بالخدعة في الحرب، والتحريض على خداع الكافرين؛ لتحقيق النَّصر للمسلمين، وهزيمة الأعداء الكافرين، وقد ورد حديث نبوي شريف بعد هذا الحديث النَّبوي يؤكد هذا المعنى؛ **فعنْ جابِرِ بنِ عبْدِ الله – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–، أنَّ النَّبِيَّ –ρ– قَالَ: " مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا – يَعْنِي النَّبِيَّ–ρ– قَدْ عَنَّانَا وَسَأَلَنَا الصَّدَقَةَ. قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ، قَالَ: فَإِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ فَنَكْرَهُ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُهُ. قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهُ حَتَّى اسْتَمْكَنَ مِنْهُ فَقَتَلَهُ"**[2].

والخدعة: "المرة الواحدة من الخداع، فمعناه: أن من خدع فيها مرة واحدة عطب وهلك ولا عودة له"[3]، وقد حث رسول الله –ρ– في هذا الحديث النبوي الشريف على " أخذ الحذر في الحرب، والندب إلى خداع الكفار، وأن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه" [4].

وكان رسول الله –ρ– بعد اعتماده وتوكله على الله– عز وجل– يضع الخطط والتَّدابير والحيل الحربية؛ لنصر المسلمين، وسحق دابر الكافرين؛ لأن الحرب " تدبير واحتيال"[5]، وعلى هذا تحوي هذه اللفظة النبوية تحذيرًا وتنبيهًا للمسلمين؛ لإن " الخداع إن كان من

---

[1]– المصدر نفسه، كتاب الجهاد والسير: باب الحرب خدعة، م2، ص 345.

[2] – البخاري: صحح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكذب في الحرب، م2، ص 346.

[3] – العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج14، ص 275.

[4]– العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج6، ص 158.

[5] – قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح صحيح البخاري، ج4، ص121.

المسلمين فكأنه حضّهم على ذلك ولو مرة واحدة، وإن كان من الكفار فكأنه حذرهم من مكرهم ولو وقع مرة واحدة فلا ينبغي التهوّن بهم؛ لما ينشأ عنه من المفسدة ولو قلّ"[1].

ومن هذا الوادي – أيضًا–: **عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ الله – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: قَالَ النَّبِيُ –ρ–: "رَأَيْتُنِي دَخَلتُ الْجنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيصَاءِ– امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَة– وَسَمِعتُ خَشَفَةً، فَقُلتُ: مَن هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَة، فَقلتُ: لِمَن هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَن أَدخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرتُ غَيرَتَكَ" فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، أَعَلَيكَ أَغَارُ؟"**[2].

جاء هذا الحديث النَّبوي الشريف في سياق الحديث عن رؤية النبي – ρ– أنه دخل الجنة، وقد عبر عن هذه الرؤية بالفعل الماضي (دخل) الذي يفيد تحقق وقوع الفعل، ومزية هذا الحديث: التَّرابط التَّناسبي بين مصدر المرة (خَشَفة) والمقام الذي وردت فيه، فـ "الخشفة الصَّوْت لِلْوَاحِد"[3]، وهذا ما يوضح أن رسول الله –ρ– قد سمع صوتًا واحدًا في الجنة؛ لبلال بن رباح الذي كان دائم الطهور والصلاة، وهو من المبشرين بالجنة.

وفي ختام هذا المبحث كانت تلك إلمامة قصيرة عن بعض أنواع المشتقات والمصادر وصيغها الصَّرفية، وتبين مواطنها في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، وتوضيح دلالاتها التَّناسبية؛ لاستجلاء محاسنها وربطها بالمضامين النَّبوية.

---

[1] – القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج 5، ص155.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله تعالى عنه، م3، ص11.

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج16، ص193.

## المبحث الثَّالث: التَّناسب في المستوى النَّحوي.

**وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: التَّقديم والتَّأخير ودلالاته التَّناسبية .

المطلب الثَّاني: الإظهار في موضع الإضمار ودلالاته التَّناسبية.

## توطئة:

تـأتلف اللغـة العربيـة مـن أربـع مسـتويات تشـكل بمجموعهـا القواعـد الأساسـية؛ لفهـم اللغـة العربيـة، وتأصـيل قواعدها وأحكامها، والوقوف علـى دلالاتها. وقد مثل علم النَّحو دورًا بارزًا في " الوصول إلى التَّكلم بكلام العرب على الحقيقة صوابًا غير مبدل ولا مغير، وتقويم كتاب الله – عز وجل–، الذي هو أصل الدّين والدُّنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النبـي – ρ–، وإقامـة معانيها على الحقيقة؛ لأنه لا تفهم معانيها علـى صـحة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب" [1]. كما أشار الزمخشري ( ت 538 هـ) – أيضًـا– إلـى هذا العلم وبين أهميتـه، قائلًا: " إنهم لا يجدون علمًا من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها وتفسيرها وأخبارها إلا وافتقاره إلـى العربيـة بيّن لا يدفع، ومكشوف لا يتقنع، ويرون الكلام في معظم أبواب أصـول الفقه ومسائلها مبنيًا على علم الإعراب"[2].

وبنـاء علـى هـذا شـكل المسـتوى النَّحـوي جانبًـا مهمًـا فـي هـذه الدِّراسـة، فـي فهـم أحاديـث الرَّسول – ρ–، وتأصيل دلالتها من خلال الوقوف على دراسة نظم الجملة من حيث تقديمها

[1] – الزجاجي، أبو القاسم ( ت337هـ): الإيضـاح في علل النحو، ط3، تـح. مازن المبارك، مكتبـة النفائس– بيروت، 1979م، ص 95.

[2]– الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، ج 1، ص18.

وتأخيرها، هذا فضلًا عن دلالات الإظهار في موضع الإضمار، واللمحات الجمالية التي تكمن في العدول من الإضمار إلى الإظهار.

## المطلب الأول: التَّقديم والتَّأخير ودلالاته التَّناسبية.

الأصل أن تتبع الجملة النَّمطية القواعد المعروفة لترتيب الكلمات في الجمل؛ للحصول على معنى تام متكامل، ولكن قد لا يتولد هذا المعنى المقصود إلا بإجراء بعض التغيرات في نظام ترتيب هذه الكلمات الذي يخلق نوعًا من الدَّلالات المترامية الخلاقة التي تكسب سياق الجملة الرَّونق والجمال، وتعطي الغاية المقصودة، والهدف المنشود، وهذا يتراءى من خلال تقديم ألفاظ معينة وتأخير غيرها، وبهذا تكمن الدَّلالة الأساسية في إظهار الاهتمام والعناية بشأن المتقدم، وفي هذا يقول سيبويه: "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى"[1]، فهو من الأساليب البلاغية التي تدل على "تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق" [2].

ويعد عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) أول من تحدث في هذا العلم، فقد قسمه إلى أنواع وبين أهميته؛ إذ قال فيه إنه: "باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك

[1]– سيبويه: الكتاب، ج1، ص 34.

[2]– الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 233.

مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"[1] .

أما أنواع التَّقديم فتكمن في: " تقديم يقال إنه على نية التَّأخير؛ وذلك في كل شيء أقررته مع التَّقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه؛ كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل و تقديم لا على نية التَّأخير، ولكن على أن تنقل الشَّيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابًا غير بابه، وإعرابًا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرًا له، فتقدم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا "[2].

وبناء على هذا شكل التَّقديم والتَّأخير بنوعيه – الإسنادي والمعنوي في أحاديث رسول الله – ρ– ظاهرة أسلوبية ومغزى عظيمًا يؤهل الباحث على سبر أغوار الحديث النَّبوي الشَّريف، والوقوف على أبرز الوجوه التناسبية، وكشف مضامينه مراعيًا بذلك السياق الذي ورد فيه.

**التَّناسب في تقديم المسند إليه:**

[1]– الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ج1، ص 106.

[2]– الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ج1، ص107، وينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن ص 238 وما بعدها، والسيوطي: الإتقان في علوم القرآن الكريم ، ج 3، ص 38 وما بعدها.

يمثل تقديم المسند إليه في سياق الأحاديث النَّبوية الشَّريفة أبعادًا بلاغية، وأغراضًا تناسبية، وأول هذه الأغراض: " إفادة التخصيص، وإنما يكون ذلك إذا توافر في المسند إليه شرطان: أن يكون الخبر– أعني المسند– فعلًا، وأن يقع المسند إليه بعد النفي"[1].

ونجد دلالة الاختصاص التي يفيدها تقديم – المسند إليه– جلية في قول رسول الله –ρ– : **"الصِّيامُ جُنَّةٌ، فَلاَ يَرْفُثْ ولاَ يَجْهَلْ، وَإنِ امْرُؤٌ قاتَلَهُ أوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ الله تعَالى مِنْ رِيحِ المِسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ وشَهْوَتَهُ مِنْ أجْلِي، الصَّيامُ لِي وَأَنا أجْزِي بِهِ والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمْثالِهَا"**[2].

يوصي هذا الحديث النَّبوي الشَّريف بأن يحفظ الصائم صومه، وذلك بالتَّحلي بالأخلاق الحميدة؛ لأن الصيام سترٌ من النار؛ فيحفظ صاحبه من الوقوع في الآثام التي سبب عذابه وهلاكه؛ فعلى الصائم أن لا يصدر منه كلام فاحش، ولا يفعل من أعمال الجاهلية شيئًا؛ كالسخرية، كما يجب أن لا يتعدى على غيره، فلا يقاتله ولا يشاتمه ولا يخاصمه، وليقل له: إني صائم؛ " ليسمعه الشاتم والمقاتل فينزجر غالبًا"[3]، وتحقيقًا لهذا المعنى، ناسب تقديم اللفظة النبوية ( امرؤ)؛ لأن الخطاب النبوي في هذا الحديث النبوي الشريف موجه له، فيكون هو محط العناية؛ للاهتمام بشأنه وبيان ثوابه عند الله – سبحانه وتعالى–، وقد أضاف الله –عز وجل– الصيام له؛ لأن " الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره؛ لأنه لا يظهر من ابن آدم بفعله، وإنما هو شيء في القلب"[4].

---

[1]– عباس، حسن: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، 2004 م، ص 21.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم: باب فضل الصوم، م2، ص 35.

[3] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 10، ص 258

[4] – المصدر نفسه، ص 259.

وقد أفاد تقديم المسند إليه في قوله ( أنا) على المسند ( أجزي) دلالة التَّخصيص؛ أي أن الله –عز وجل– هو المختص بالصِّيام، وبإعطاء الصَّائم الأجر والثواب، ما لا يجزي عليه غيره من العبادات، فـ "جزاءها قد يفوض إلى الملائكة"[1]، أما الصِّيام فيتولى عطاءه بنفسه، وذلك إشارة إلى "تعظيم ذلك العطاء وتفخيمه، ففيه مضاعفة الجزاء من غير عدد ولا حساب"[2] .

ومن دلالات التَّقديم – أيضًا–: "التَّشويق: وذلك بأن يكون في المسند إليه غرابة من شأنها أن تشوق المخاطب إلى معرفة المسند، وذلك لأن المسند والمسند إليه متلازمان"[3]، مثال ذلك: **عَنْ نَافِعٍ عنِ ابنِ عُمَرَ أنَّ رسولَ– ρ– قال: "الَّذِي تَفُوتُهُ صَلاَةُ العَصْرِ كأنَّمَا وُتِرَ أهْلَهُ ومالَهُ"** [4].

أمر الله تعالى عباده الصالحين بالمحافظة على الصوات الخمس، وأدائها في أوقاتها مع الالتزام بطهارتها، ولكنه – تبارك وتعالى– خص صلاة العَّصر بمزيد من الاهتمام والذِّكر؛ لقوله: **(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ )**[5]، وأما السبب في تخصيص ذكرها؛ فمرده إلى "التأكيد والحض على المثابرة عليها؛ لأنها تأتي في وقت اشتغال الناس، وقيل: يحتمل أنها خصت بذلك على الصحيح أنها الصلاة الوسطى، وبها تختم الصلوات"[6].

---

[1]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج3، ص 347.

[2] – العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج4، ص108.

[3]– عباس، حسن: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، ص 218.

[4]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة: باب إثم من فاته العصر، م1، ص149.

[5] – سورة البقرة، آية 238.

[6] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 5، ص 38.

وقد حذر الرسول–ρ– من مغبة ترك هذه الصلاة، أو فوات وقتها، وبين عقوبة تاركها في هذا الحديث النّبوي والحديث الذي يليه؛ **فعنْ أبي المَلِيحِ قَالَ: كُنَّا مَعَ بُرَيْدَةَ فِي غَزْوَةٍ فِي يَوْمٍ ذِي غَيْمٍ، فَقَالَ: بَكِّرُوا بِصَلاَةِ العَصْرِ؛ فَإِنَّ النَّبِي –ρ– قَالَ: "مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ"**[1]. يتضح من هذين الحديثين الشَّريفين عقوبة تارك هذه الصلاة، بأن الله سيحبط عمله، ويسقط ثوابه عن تلك الصلاة، وأنه كمن خسر أهله وماله، "فكأنما (وُتِرَ) وهو الذي فاتتهُ صلاة العصر نقص أو سلب أهله ومالهُ، وترك فردًا منهما، فبقي بلا أهل ولا مال؛ فليحذر من تفويتها كحذره من ذهاب أهله وماله"[2].

وفي السَّياق نفسه، أردف البخاري – بعد بيان عقوبة تارك هذه الصلاة– أحاديث نبوية أخرى توضح أجر هذه الصلاة، وعظيم فضلها؛ فعنْ جَرِيرٍ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النبيّ –ρ– فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً – يَعْنِي البَدْرَ– فَقَالَ: " **إِنكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَما تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوْا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فافْعَلُوا، ثمَّ قَرَأَ: (وَسَبِّح بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ)**" [3].

**وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ–، أَنَّ رَسُولَ اللهِ –ρ– قَالَ: "يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ ومَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ باتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ – وهْوَ أَعْلَمُ بِهِمْ– كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وهُمْ يُصَلُّونَ"**[4].

---

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة: باب من ترك العصر، م1، ص 149.

[2] – القسطلاي: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج 1، ص 494.

[3] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة: باب فضل صلاة العصر، م2، ص 150 .

[4] – المصدر نفسه .

يتبين من هذين الحديثين الشَّريفين فضل صلاة الفجر والعصر، وفيهما إشارة – أيضًا– إلى: " شرف هذين الوقتين، وقد ورد أن الرَّزق يقسم بعد صلاة الصُّبح، وأن الأعمال ترفع آخر النهار، فمن كان حينئذ في طاعة بورك في رزقه وفي عمله"[1] .

وقد شكّل تقديم المسند إليه (الذي تفوته صلاة العصر) على المسند (كأنما وتر أهله وماله) لطيفة بيانية انسجمت وسياق الحديث النَّبوي الشَّريف، مفادها: تشويق النُّفوس، وجذب انتباه السَّامعين، واستشراف نفوسهم؛ لمعرفة ما يحصل بالإنسان الذي يضيع صلاة العصر، فيأتي الخبر– أي المسند– كاشفًا عن العقاب المنتظر من فقدان الأهل والمال، موضحًا وجه التَّناسب بين التَّقديم والدِّلالة المنبثقة عنه.

ومن دلالاته –أيضًا–: التَّعظيم والتَّنويه بمكانة المسند إليه؛ وشاهد هذا: **ما روى أبو هُرَيْرَةَ– رَضِي الله تَعَالَى عنهُ–، أَنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيّ –ρ – فِي دَعْوَةٍ، فَرُفِعت إِلَيْهِ الذِّرَاعُ –وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ. فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً وَقَالَ: " أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..."**[2] .

أفاد تقديم المسند إليه ( أنا) على المسند ( سيد) دلالة مفادها؛ تعظيم شأن الرسول – ρ– والتنويه بمكانته، فهو " الذي يفوق قومه ويفزع إليه في الشدائد، وخص يوم القيامة لارتفاع سؤدده وتسليم جميعهم له، ولكون آدم وجميع ولده تحت لوائه"[3] .

---

[1] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 5، ص 46.

[2] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء: باب (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ)، م2، ص 428.

[3] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 15، ص221.

ويفيد تقديم المسند إليه – أيضًا– دلالة التَّحقير؛ فـ: **عنْ أبي هُرَيْرَةَ أنَّ رسولَ اللهِ – ρ– قَالَ: "بَيْنَما رجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خسَفَ اللهُ بِهِ، فَهْوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ."**[1]

يصف هذا الحديث النَّبوي الرَّجل الذي يمشي متكبرًا متعاليًا، وقد أعد له الله – عز وجل– عذابًا عظيمًا، وقد أفاد تقديم لفظة (رجل) والإتيان بها (نكرة)؛ لتحقيره، والحط من شأنه.

**التَّناسب في تقديم المسند:**

شكل التَّناسب في تقديم المسند في أحاديث صحيح البخاري لطائف بيانية تلاءمت مع المعنى السياقي للحديث النَّبوي الشّريف، ومن هذه اللطائف: "تخصيصه بالمسند إليه"[2]، وقد كثرت شواهد هذه الدِّلالة في الأحاديث النَّبوية[3]، ومن الأمثلة الموضحة له: **عنْ عَبدِ الله بنِ عُمَرَ رَضِي الله عَنْهُمَا، أنَّ رَسُول الله –ρ– كانَ إذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أوْ حَجٍّ أوْ عُمْرَةٍ يُكَبّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأرْضِ ثلاثَ تَكْبِيراتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: " لَا إلـهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَـهُ، لَـهُ**

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب اللباس: باب من جر ثوبه بالخيلاء، م4، ص 58.( تم تحليل هذا الحديث النبوي ص 89)

[2]– عباس، حسن : البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص 236، وينظر: الصعيدي، عبد المتعال (ت 1391ه): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط17، د.ت، مكتبة الآداب، 2005، ج1، ص192.

[3]–البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب ( لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ)، م3، ص 479.

– المصدر نفسه، كتاب العيدين : باب كلام الإمام والناس في خطبة العيد وإذا سئل الإمام عن شيء وهو يخطب، م1، ص 252.

– المصدر نفسه، كتاب الصوم: باب الريان للصائمين، م1، ص 35.

– المصدر نفسه، كتاب الجهاد والسير: باب قتل النائم المشرك، م2، ص 344.

**المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وهُوَ علَى كُلَّ شيْءٍ قَدِيرُ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبّنَا حامِدُونَ صدق الله وعْدَهُ، ونَصَرَ عَبْدَهُ، وهَزَمَ الأحْزَابَ وحْدَهُ" [1].**

يدل هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على فضل هذا الدعاء واستحبابه، فقد كان رسول الله– ρ– عند رجوعه من حج أو عمرة أو غزو يدعو به، لما فيه من شكر لله، والعزم على التوبة والرجوع له، ويظهر جليًا تقديم شبه الجملة المسند(لربنا) على (حامدون) المسند إليه؛ ليؤدي معنى دلاليًا مفاده: "ليس حمدنا وشكرنا إلا إلى لله"[2]؛ فأفاد هذا التقديم مزية تناسبية تناسبت ودلالة التخصيص؛ لأن الله عز وجل هو المتفرد والمختص بهذه الصفات، وفي تعقيب التَّكبير بالتَّهليل " إشارة إلى التفرد بإيجاد جميع الموجودات، وأنه المعبود في جميع الأماكن"[3].

كما يحمل تقديم المسند دلالة جمالية تتمثل في عنصر التَّشويق، وشاهد ذلك: **عَنْ أَنَسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنهُ–، قَالَ: قَالَ رسولُ الله– ρ–: " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرَءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ وَأَنْ يَكَرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكَرَهَ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ"[4].**

يعد هذا الحديث النبوي الشريف حديثًا عظيمًا؛ لأنه " أصل من أصول الإسلام، وفيه محبة الله ورسوله التي هي أصل الإيمان بل عينه، ولا تصح محبة الله ورسوله حقيقة، ولا حب

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب العمرة: باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو، م2، ص9.

[2]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج3، ص 277.

[3] – القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج3، ص 277.

[4]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان: باب حلاوة الإيمان، م1، ص12.

لغير الله ولا كراهة الرجوع في الكفر إلا لمن قوي الإيمان في نفسه وانشرح له صدره وخالطه دمه ولحمه، وهذا هو الذي وجد حلاوته، والحب في الله من ثمرات الحب لله"[1].

وقد سبق هذا الحديث النّبوي أحاديث نبوية أخرى يشتمل كل منهما على شعبة من شعب الإيمان، ووجوب محبة كائنة من الإيمان؛ فـ: **عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ –ρ–، قالَ: "لاَ يُؤْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ."**[2] **و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِي الله عَنهُ–، أَنَّ رَسُول اللهِ – ρ– قَالَ: " فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتَّى أكُونَ أَحَبَّ إليهِ مِنْ والِدِهِ وَوَلَدِهِ"** [3]**، و عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ –ρ–، قالَ: " لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ"**[4] .

إنَّ الحديث النّبوي الأول حديث شامل ومفصل لما قبله من الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، وقد تقدم المسند (ثلاث)؛ لقصد تشويق السَّامع ولفت اهتمامه وعنايته؛ فالسَّامع يكون أشد ترقبًا وانتظارًا ماذا يكون بشأن هؤلاء الثلاثة، فيأتي المسند إليه موضحًا هذه الصورة، فمن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن تكون محبة الإنسان لغيره خالصة لوجهه تعالى دون النظر للمصالح البشرية، وأن يكره أن يعود في الكفر؛ لكرهه النار، وجد لذة الطاعة والإيمان بالله وحده عز وجل، وبذلك جاء التناسب في هذا الموضع بأحسن صورة، وأبلغها في إظهار المعنى المراد.

---

[1] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج1، ص148.

[2] – البخاري، صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، م1، ص 12

[3] – المصدر نفسه: كتاب الإيمان، باب حب الرسول – ρ– من الإيمان، م1، ص12.

[4] – المصدر نفسه.

ومنه – أيضًا–: **عنْ سَهْلٍ – رَضِـي الله تَعَالَى عَنـهُ–، عنِ النبـيّ – ρ–، قَـالَ: " إنَّ فِـي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْـهُ الصَّـائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْـهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْـهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فإذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ منـهُ أَحَدٌ"**[1] .

يدل هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على اختصاص الصَّائمين بباب الرَّيان، وهو أحد أبواب الجنة، وقد خصص للصائمين الذين اتبعوا صيامهم الفرض بالنوافل؛ لأن " الواجبات لا بد منها لجميع المسلمين، ومن ترك شيئًا من الواجبات إنما يخاف عليه أن ينادى من أبواب جهنم"[2] .

ولما كان هذا الحديث النَّبوي الشَّريف مشتملًا على وصف باب الصَّائمين، أردفه البخاري – رحمه الله– بحديث نبوي آخر يفصل أبواب الجنة؛ **فـعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ – رَضِـيَ اللهُ عَنـهُ–، أَنَّ رَسُول اللهِ – ρ– قَالَ: " منْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ الله نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّـةِ يَا عَبْدَ الله، هَذَا خَيرٌ، فَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاةِ، ومَنُ كانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بابِ الجِهَادِ، ومنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيامِ دُعِيَ مِن بابِ الرَّيَّانِ، ومنْ كـانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بابِ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ – رَضِي الله تَعَالَى عنـهُ: بِأَبِي أَنْـتَ وأُمِّـي يَا رسولَ الله، مَا عَلَى منْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ فَقَالَ نَعَمْ وأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ"**[3].

---

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، م2، ص 35.

[2] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج10، ص264.

[3] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، م2، ص 35.

يبين هذا الحديث النبوي أن للجنة ثمانية أبواب، يختص كل باب بعبادة معينة وأصحابها المتوفقين، كما يدل – أيضًا– على فضل أبي بكر – رضي الله عنه–؛ لأنه من أهل هذه الأعمال والأبواب جميعها التي تقوده إلى الجنة.

ولعل موطن التَّناسب ظاهر في الحديث النَّبوي الأول يكمن في تقديم المسند ( إن في الجنة) على المسند إليه ( بابًا) ؛ لنكتة بلاغية مفادها: التشويق والترغيب: لمعرفة ماذا يوجد في الجنة؟ وقد " قال في الجنة، ولم يقل الجنة؛ ليشعر أنَّ في الباب المذكور من النِّعم والرَّاحة ما في الجنة؛ فيكون أبلغ في التَّشويق إليه، وقيل: إن من دخل شرب ومن شرب لا يظمأ أبدًا"[1] .

وقد يتقدم المسند؛ ليؤدي دلالة مفادها: التَّعظيم والتَّنويه بشأن ذكر المسند، من ذلك: **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنهُ–، قَالَ: قَالَ أبو القاسِمِ – ρ–: " فِي الجُمُعَةِ ساعَة لَا يُوَافِقُها مُسْلِمٌ قائِمٌ يُصَلِّي فَسأل الله خَيْراً إلاّ أُعطاهُ إِيَّاهُ" [2].**

يدل هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على فضل يوم الجمعة والدُّعاء فيه، واستحباب الإكثار منه؛ لوجود ساعة يستجاب فيها الدُّعاء، وتكمن الحكمة دون تحديد هذه السَّاعة؛ لـ" بعث الدَّاعي على الإكثار من الصَّلاة والدُّعاء، ولو بيَّن لاتكل الناس على ذلك وتركوا ما عداها"[3]، وقد بين تقديم المسند (في الجمعة) على المسند إليه (ساعة) عظمة هذا اليوم وشرفه.

---

[1] – القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج 3، ص 348.

[2] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، م1، ص 293.

[3] – العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 2، ص 422، و القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج 8، ص167.

وخلاصة ما سبق إنَّ التَّغير في الشَّكل البنائي للجملة النَّبوية يدل على معان دلالية مقصودة لا تتأتى بالنَّظم الأصلي، ومن هذه المعاني: التَّخصيص، والتَّشويق، والتَّعظيم، وقد تناسبت هذه الدِّلالات مع سياق الأحاديث النَّبوية الشَّريفة.

**التَّناسب في تقديم متعلقات الفعل:**

يكثر في أحاديث صحيح البخاري ظاهرة تقديم متعلقات الفعل، وتحوي: "الزَّمان والمكان الذي يقع فيهما الفعل، والجار والمجرور، والحال، والمفعول"[1]، وكل هذه المتعلقات لا يكون تقديمها إلا لفائدة لغوية، ونكتة تناسبية تلائم السِّياق الذي وردت فيه، وتتجلى أغلب الدلالات الأسلوبية في دلالة " الاختصاص"[2] إذا تقدم المتعلق على العامل.

ومن الأمثلة التي تنسجم مع هذه الدِّلالة: **عَنْ عَبْدِ الله بنِ عَمْروٍ قَالَ: " قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ –ρ– أُجَاهِدُ؟ قَالَ: " لَكَ أَبَوَانِ"؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: " فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ"** [3].

يؤكد هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على بر الوالدين، وتعظيم حقهما، والقيام على طاعتهما وخدمتهما، والإحسان لهما؛ فيكون بر الوالدين إذا كان كذلك بمثابة الجهاد في سبيل الله، وقتال المشركين، أي أن" كان لك أبوان فابلغ جهدك في برهما والإحسان إليهما؛ فإن ذلك يقوم لك مقام قتال العدو"[4] .

---

[1]– عباس، حسن: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، ص 241.

[2]– أبو موسى، محمد: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط7، مكتبة وهبة– القاهرة، ص364 ، و عباس، حسن: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، ص 242.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد: باب الجهاد بإذن الأبوين، م2، ص 339.

[4] – العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 10، ص 403.

وقد قصد من تقديم شبه الجملة (ففيهما) على فعل الأمر (جاهد)، تأكيد هذه الدِّلالة وتخصيصها؛ أي "اخصصهما بالجهاد "[1].

وشبيه بذلك؛ تقديم صلات الأفعال؛ للإشعار بهذه المزية؛ مثال هذا: **عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنهُما، كَانَ النَّبيُّ – ρ– إذا قَامَ مِنَ اللَّيلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: "اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّماواتِ والأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّماوات وَالأَرضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، ولَكَ الحَمْدُأَنْتَ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، ومحمَّدٌ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم حَقٌّ والسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وبِكَ خاصَمْتُ وإِلَيْكَ حاكَمْتُ، فاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَوْ لاَ إِلهَ غَيْرَكَ"**[2].

جاء التَّناسب في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف بتقديم الجار والمجرور (لك، وبك، وعليك، وإليك) على (أسلمت، وآمنت، وتوكلت، وأنبت، وخاصمت، وحاكمت)، وقد أدى لطيفة بيانية مغزاها التخصيص؛ لأن الله تعالى هو مالك السماوات والأرض وما فيهن، وهو المختص بالإسلام والإيمان، والتوكل عليه؛ أي أنه " قدم مجموع صلات هذه الأفعال عليها؛ إشعارًا بالتخصيص وإفادة للحصر "[3].

---

[1]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج5، ص139.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب التهجد: باب التهجد بالليل، م1، ص 287.

[3]– العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج5، ص5، وينظر: العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج7، ص 167.

كما تظهر دلالة التَّخصيص في تقديم المفعول به على الفاعل، ومنه: **عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: " خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ –رَضِيَ اللهُ عَنهُ– إِلَى السُّوقِ فَلَحِقَت عُمَرَ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ، فَقَالَت: يَا أَمِيرَ الْمُؤمنِينَ هَلَكَ زَوجي وَترك صِبيَةً صِغَارًا، وَاللهِ مَا يُنضِجُونَ كُرَاعًا وَلَا لَهُم زَرعٌ وَلَا ضَرعٌ، وَخَشيتُ أَن تَأكُلَهُمُ الضَّبُعُ ... "**[1].

ناسب تقديم المفعول به (عمر) على الفاعل (امرأة) دلالة التخصيص؛ لأن المرأة لحقت بعمر بن الخطاب– رضي الله عنه– دون الرجل الذي كان معه، وفي هذا تخصيصه بالأمر الذي كانت تود أن تتحدث فيه، فوجدت مطلبها وحاجتها عنده رضي الله عنه.

أما المعنى الدِّلالي الآخر لتقدم المفعول به على الفاعل، ويتناسب مع السِّياق الذي ورد فيه؛ فهو: "الاهتمام بشأن المتقدم"[2]، ويظهر هذا المعنى في أحاديث عدة[3]، مثال ذلك: **عنْ أَنَسٍ –رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ–، قَالَ: " أَصَابَ أَهْلَ المَدِينَةِ قَحْطٌ علَى عَهْدِ رسُولِ الله ρ، فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ، إِذْ قامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الكُرَاعُ، هَلَكَتِ الشَّاءُ فادْعُ اللهَ يَسْقِينَا فَمَدَّ يَدَيْهِ ودَعَا، قَالَ أَنَسٌ: وإِنَّ السَّمَاءَ كَمِثْلُ الزُّجَاجَةِ فَهَاجَتْ رِيحٌ أَنْشأَتْ سَحابَاً، ثُمَّ اجْتَمَعَ، ثُمَّ أَرْسَلَتِ السَّمَاءُ عَزَالِيَهَا فَخَرَجْنَا نَخُوضُ المَاءَ حَتَّى أَتَيْنَا مَنَازِلَنَا، فَلَمْ تَزَلْ تُمْطرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الأُخْرَى، فَقَامَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ، فَقَالَ: يَا رسُولَ اللهِ تَهَدَّمَتِ**

---

[1]–البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي: باب غزوة الحديبية، م3، ص 140.

[2]– القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر ( ت 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، ط3، ت. محمد عبد المنعم خفاجي، : دار الجيل – بيروت ، م2، ص 165.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الهبة: باب هدية ما يكره لبسها، ص 224، م2 .

– المصدر نفسه، كتاب الجنائز: باب حمل الرجال الجنازة دون النساء، م1، ص 338.

**البُيُوتُ فادْعُ اللهَ يَحْبِسْهُ فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ: "حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا" فنَظَرْتُ إِلَى السَّحَابِ تَصَدَّعَ حَوْلَ المَدِينَةِ كأَنَّهُ إِكْلِيلٌ"[1].**

يدور هذا الحديث النَّبوي حول علامات النَّبوة التي وهبها الله تعالى لرسوله – ρ–، إذ أصاب أهل المدينة جدب وقحط، وقلة في الماء؛ مما أدى إلى تلف في الزَّرع، وهلك في الشاء، فأنزل الله – عز وجل– من السماء مطرًا هدم البيوت، وأغرق الزَّرع. وقد قدم المفعول به (أهل المدينة) على الفاعل (قحط)؛ لدلالة تناسبية مفادها: الاهتمام بشأنهم، ورعاية أحوالهم، لأنهم محط عناية هذا الحديث النّبوي، وهذا ما لا يتحصل إلا بتقديم ما حقه التَّأخير.

ومن التَّقديم – أيضًا– التَّقديم بالمعنى، ومراده: "ما قدم والمعنى عليه، ومقتضياته كثيرة" [2]، وأبرزت هذه المقتضيات وجوه الحسن والتَّناسق بين هذا التَّقديم والسَّياق الذي ورد فيه، ومن هذه المقتضيات: "الشَّرف بالأفضلية" [3]، ومنه: **عن مسروقٍ قالَ: ذُكِرَ عبدُ اللهِ عندَ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو، فقالَ: " ذاكَ رجلٌ لا أزال أحِبّهُ بعدَما سمعتُ رسولَ اللهِ–ρ – يقولُ: " اسْتَقْرِئوا القُرْآنَ مِنْ أرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ فبَدَأ بِهِ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وأُبَيّ بنِ كَعْبٍ، وَمُعاذِ بنِ جَبَلٍ"[4].**

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، م2، ص 496.

[2]– الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 238– 274.

[3]– المصدر نفسه.

[4]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة رضي الله تعالى عنه، م3، ص 31.

تكمن اللفتة الأسلوبية في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف تقديم عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه–، وفي هذا التَّقديم إشارة إلى "الاهتمام بالمقدم وتفضيله على غيره"[1]، وقد خصص رسول الله –ρ– هؤلاء بقراءة القرآن وحفظه؛ لأنهم " كانوا أكثر ضبطًا له وأتقن لأدائه، أو لأنهم تفرغوا لأخذه منه مشافهة وتصدوا لأدائه من بعده، فلذلك ندب إلى الأخذ عنهم".[2]

وشبيه بهذا التقديم؛ **عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنهُما–، قَالَ رَسُولُ اللهِ– ρ–: " أَنْتَ قَيِّمُ السَّماواتِ والأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ نُورُ السَّماوات وَالأَرضِ"**[3].

خلق الله سبحانه وتعالى السَّماء قبل الأرض، وفيها من المعجزات والدلائل على قدرته ما لا يعد ولا يحصى؛ مقارنة بالأرض، فاقتضى سياق الحديث النَّبوي تقديم السَّماوات على الأرض؛ ليتناسب مع المسوغ الذي مثله التَّقديم في تعظيم الله عز وجل وإظهار قدرته؛ لأن "السَّماوات والأرض تذكر غالبًا في سياق آيات الرَّب الدَّالة على وحدانيته وربوبيته، ومعلوم أن الآيات في السَّماوات أعظم منها في الأرض؛ لسعتها وعظمها وما فيها من كواكبها وشمسها وقمرها وبروجها وعلوها واستغنائها عن عمد تقلها، أو علاقة ترفعها إلى غير ذلك من عجائبها وما فيها كقطرة في سعتها " [4].

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، م16، ص 264.

[2]– العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج7، ص102.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب التهجد: باب التهجد بالليل، م1، ص 287.

[4]– ابن قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ( ت 751هـ) : بدائع الفوائد، د.ط، د.ت، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص 74،و الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، ج3، ص 285.

ومن التَّناسب في التَّقديم المعنوي– أيضًا–: **عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنهُما، عَن النَّبيِّ – ρ–، قَالَ: "المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، والمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ"**[1] .

يبين هذا الحديث النَّبوي الشَّريف صفات المسلم الملتزم الذي يسلم المسلمون من إيذائه وضرره وعدوانه عليهم؛ فيكف لسانه عنهم، فلا يضايقهم، ولا يعيب منهم أحدًا، ولا يشتمهم، ولا يلعنهم، كذلك يجب أن يكف يده عنهم؛ فلا يعتدي على ممتلاكاتهم، ولا يضربهم، كما أن من صفاته: أن يهجر ما نهى الله عنه من فعل المحرمات والرَّذائل؛ ويكف نفسه عن فعلها؛ فيكون له بذلك ثواب المهاجر وأجره؛ " لأنه لما انقطعت الهجرة وفضلها، حزن على فواتها من لم يدركها، فأعلمهم النَّبي ρ، أن المهاجر على الحقيقة من هجر ما نهى الله عنه" [2].

وقد سبق هذا الحديث النَّبوي حديث نبوي آخر يوضح شعب الإيمان، ومنه: الحياء الذي يلزم المسلم على القيام بأفعال الخير، ويمنعه من ارتكاب المعاصي؛ خوفًا من غضب الله عز وجل، وفظاعة مصيره يوم القيامة؛ فـ: **عَنْ أبي هُرَيْرَةَ – رَضِي الله عَنهُ– عَن النَّبِيِّ – ρ–، قَال: " الإِيمَانُ بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً، والحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ"**[3]، وأُردف – أيضًا– بحديث نبوي آخر يؤكد صفات هذا المسلم؛ فـ: **عَنْ أَبِي مُوسَى – رَضِي الله عَنهُ–، قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"** [4].

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من سلم المسلمون من لسانه ويده، م1، ص11.

[2] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج1، ص131.

[3] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، م1، ص 11.

[4] – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أي الأسلام أفضل، م1، ص11.

نلاحظ على الحديث النَّبوي الشَّريف الأول، تقديم اللسان على اليد؛ للمحة بلاغية مفادها "التحذير منه والتنفير عنه" [1]، وذلك لأن إيذاء اللسان "أكثر وقوعًا وأسهل، ولأنه أشد نكاية، وإيذاء اللسان عام؛ لأنه يكون في الماضين والموجودين والحادثين بعد خلاف اليد؛ لأن إيذاءها مخصوص بالموجودين"[2]، فأكسب هذا التَّقديم سياق الحديث النَّبوي تحذيرًا من الوقوع في مثل هذه الأفعال التي تذهب رونق النفس وصفاءه، وتكدر خاطره، وهذه الصِّفات لا ينبغي أن تتواجد في الإنسان المسلم.

لعله يظهر مما سبق عرضه أن أسلوب التَّقديم والتَّأخير حقق فوائد بلاغية رفيعة في سياق الأحاديث النّبوية التي ورد فيها، مكسبًا إياها معاني إضافية تحث الباحث على سبر أغواره، وكشف مضامينه؛ لمعرفة الدِّلالات المتناغمة مع السِّياقات اللغوية.

## المطلب الثاني: الإظهار في موضع الإضمار ودلالاته التناسبية

شكل الإظهار في موضع الإضمار غرضًا تناسبيًا، وملمحًا بيانيًا في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، وقد كان له أثر واضح وبارز في إثراء نظم الحديث النَّبوي بالمعاني الجليلة والدِّلالات الإيحائية التي تستنتج بتدبر السِّياق، والوقوف على مواطن الإظهار في موضع الإضمار.

[1]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 272.

[2]- العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري ، ج1، ص 132.

وقد خص هذا الفن بباب المسند إليه؛ " لأنها من أحواله فألحقوها به، كما لحظوا أن أساليبها مما لا تجري على مقتضى المقررات المتعارفة، وإنما هي ضروب من المخالفة، فترجموا لها بخروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر" [1].

والأصل في المسند إليه أن يكون ظاهرًا، وإنه إذا ذُكر الاسم مرة ثانية فيجب أن يُذكر مضمرًا؛ لوجود ما يدل عليه، فالأسماء يجب أن تكون "ظاهرة وأصل المحدث عنه كذلك والأصل أنه إذا ذكر ثانيًا أن يذكر مضمرًا للاستغناء عنه بالظاهر السابق "[2] ، غير أن هذا الأصل قد يستوجب العدول عنه فيعاد الاسم مرة ثانية، وكان حقه أن يضمر؛ لفائدة تتحقق بذكر ذلك الاسم تتمثل في " تعظيم شأن الأمر الذي أظهر عنده الاسم المضمر أولًا"[3]، و" لزيادة التقرير"[4]، و" ليتمكن في ذهن السّامع ما يعقبه؛ وذلك أن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظرًا لعقبى الكلام كيف تكون فيتمكن المسموع بعده فضل تمكن في ذهنه " [5].

وقد خرج أسلوب الإظهار في موضع الإضمار في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة إلى دلالات أبين للمعنى وأخصب للفظ[6]، ومن هذه الدِّلالات: التَّعظيم، **فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو العاصِي قَالَ: سمِعْتُ رَسُولُ الله-ρ- يَقولُ: "إنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبادِ، ولَكِنْ**

---

[1] – أبو موسى: خصائص التراكيب، ص 241.

[2] – الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 484، ج2، وينظر: أبو موسى: خصائص التراكيب، ص 241

[3] – ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص 157.

[4] – الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 482.

[5] – السكاكي ، يوسف بن أبي بكر ( ت 626هـ): مفتاح العلوم، ط2، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، – 1987 م، ج1، ص 198.

[6] – ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ρ وأصحابه إلى المدينة، م3، ص67.

– المصدر نفسه، كتاب تفسير القرآن، باب (**رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**)، م3، ص 249.

**يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلماءِ، حَتَّى إذا لَمْ يُبْقِ عالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فافْتَوْا بغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأضَلُّوا"** [1].

ينوه هذا الحديث النّبوي الشَّريف إلى أهمية العلم، والحرص على طلبه وتحصيله من أفواه العلماء؛ كي لا يتخذ الناس الجهلاء الذي يحكمون بجهلهم وضلالهم، فيضلون ويضلوا، وقد سبق هذا الحديث الشّريف حديث نبوي آخرَ يعضد هذه الدَّلالة؛ **فعنْ أَبَي هُرَيْرَةَ – رَضِي الله عَنهُ، أَنّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولُ اللهِ– ρ–: مَن أَسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ – ρ–: " لَقَدْ ظَنَنْتُ يا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيتُ مِنْ حِرْصِكِ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاس بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أو نَفسِهِ"**[2].

نبه هذا الحديث النَّبوي الشّريف على طلب الحديث، وتحصيل العلوم؛ " لأنها مما تقبض وترفع؛ فتستدرك غنائمها قبل فواتها"[3]، وقد عدل نظم الحديث النّبوي الأول من الإضمار إلى الإظهار في قوله –ρ–: (ولكن يقبض العلم)، وكان الأصل أن يقال: ( يقبضه)[4]؛ ولهذا العدول إشارات مستحسنة " لزيادة تعظيم المضمر" [5]؛ أي أن ذكر العلم بالاسم الصريح له وقع كبير في النُّفوس، والمراد بيان أهميته ونشره وإذاعته بين النَّاس؛ لأن الله – عز وجل– "لا يهب العلم لخلقه، ثم ينتزعه بعد أن تفضَّل به عليهم، والله يتعالى أن يسترجع ما وهب

---

[1] – المصدر نفسه: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، م1، ص38.

[2] – المصدر نفسه، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، م1، ص 38.

[3] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج1، ص 128.

[4] – القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ج1، ص 196.

[5] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج1، ص 131.

لعباده من علمه الذى يؤدى إلى معرفته والإيمان به وبرسله، وإنما يكون قبض العلم بتضييع التعلُّم فلا يوجد فيمن يبقى من يخلف من مضى، وقد أنذر –ρ– بقبض الخير كله."[1]

وعلى نحو ذلك، **عنْ عَائِشةَ – رَضِي الله تَعَالَى عَنْهَا–، قالَتْ: " خَرَجْنا مَعَ رسولِ الله – ρ– فِي أشْهُرِ الحَجِّ ولَيَالي الحَجِّ وَحُرِم الْحَج، فنزَلْنا بِسَرِفَ، قالَتْ: فخَرَجَ إلَى أصْحَابِهِ، فَقَالَ: مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَعَهُ هَدْيٌ فأحَبَّ أنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً فَلْيَفْعَلَ، ..."** [2].

كان القياس أن يقال: " أشهر الحج ولياليه وحرمه "[3]، ولكنه عدل في التَّعبير من المضمر إلى المظهر؛ للطيفة بلاغية مفادها " التعظيم له والتفخيم"[4].

وقد يكون مع التَّعظيم معنى آخر يتمثل في " قصد تقوية داعية المأمور بالتوكل بالتصريح باسم المتوكل عليه"[5]؛ مثال ذلك: **عنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ الله – رَضِي الله تَعَالَى عنهُما–، قَالَ: " تُوُفِّيَ أبي وعَلَيْهِ دَيْنٌ فَعَرَضْتُ عَلى غُرَمَائِهِ أنْ يَأْخُذُوا التَّمْرَ بِمَا عَلَيْهِ، فأبَوْا ولَمْ يَرَوْا أنَّ فِيهِ وَفَاءً، فأتَيْتُ النبيّ –ρ– فَذَكَرْتُ ذلِكَ لَهُ، فقالَ" إذَا جَدَدْتَهُ فَوَضَعْتَهُ فِي المِرْبَدِ آذَنْتُ رسولَ الله – ρ – فَجاءَ ومعَهُ أبُو بَكْرٍ وعُمَرُ فجَلَسَ عَلَيْهِ ودَعَا بالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قالَ: ادْعُ غُرَمَاءَكَ فَأَوفِهِم."** [6].

يحث هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على قضاء الدَّين في حياة الإنسان، فإن مات يجب على أهله قضاؤه، وقد مثل الرَّسول –ρ– في فعل هذا الأمر قدوة للمسلمين؛ إذ كان يقضي

---

[1] – ابن بطال: شرح صحيح البخارى ، ج1، ص 177.

[2] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحج ، باب قول الله تعالى { **الحَجُّ أشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ**}، م1، ص404.

[3] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج9، ص 193.

[4] – المصدر نفسه.

[5] – الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص491.

[6] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب الصلح بين الغرماء وأصحاب الميراث والمجازفة في ذلك، م2، ص 255.

دين الفقراء من مال بيت المسلمين؛ **فـعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، – رَضِيَ الله عنهُ–، أَنَّ رَسُولَ اللهِ– ρ – كَانَ يُؤْتَي بِالرَّجُلِ المُتَوَفَّى عَلَيْـهِ الدَّيْنُ، فَيَسْأل: "هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِـهِ فَضْـلًا"؟ فـإِنْ حُدِّثَ أَنَّـهُ تَرَكَ لِدِينِهِ وَفَاءً صلَّى، وَإِلاَّ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: "صلُّوا على صَاحِبِكُمْ" فلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الفُتُوحَ، قَالَ: " أَنا أَوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِم، فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنَ الْمؤْمِنِينَ فَتُرِكَ دَيْنًا فعَلَـيَّ قَضاؤُهُ، ومنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ"** [1].

أبرز الحديث النَّبوي الشَّريف الأول تعظيم الرَّسول – ρ– في قوله: ( آذنت رسول الله)، والأصل أن يقول ( آذنته)؛ إذ إنه آثر وضع المظهر موضع المضمر؛ لمزية بلاغية تجد لها موقعًا جليلًا تناسب سياق هذا النَّبوي تتمثل في تقوية داعية المأمور؛ أي أنه عمد إلى التصريح باسم رسول الله –ρ–؛ " لتقوية الدَّاعي، وللإشعار بطلب البركة منه" [2].

ومثله: **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ– رَضِيَ اللهُ عَنه–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ρ–: " كَيفَ أَنْتُم إذا نـزل ابْن مَرْيَم فِيكُم وإمامكم مِنْكُم"** [3].

يُثبت هذا الحديث النَّبوي الشَّريف نزول سيدنا عيسى – عليه السَّلام– في آخر الزمان؛ لأنه " دعا الله تعالى لما رأى صفة محمد –ρ– وأمته أن يجعله منهم؛ فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حيًا؛ حتى ينزل في آخر الزَّمان ويجدد أمر الإسلام، فيوافق خروج الدجال فيقتله"[4].

وقد سبق هذا الحديث النّبوي الشَّريف حديث نبوي آخر يبين أن نزول سيدنا عيسى – عليه السَّلام– من علامات السّاعة: **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ– رَضِيَ اللهُ عَنه–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ– ρ–**

---

[1] – المصدر نفسه، كتاب الكفالة، م2، ص 136.

[2] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ص 288، ج 13، وينظر: القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج4، ص 430.

[3] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام، م2، ص 465.

[4] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج16، ص 39.

: " **والَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، ويَقْتُلَ الخَنْزِيرَ ويَضَعَ الجِزْيَةَ، ويَفِيضُ المَالُ حتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**".[1]

ويُظهر الحديث النَّبوي الأول العدول من الإضمار إلى الإظهار في قوله (إمامكم)؛ أي "الإمام من هذه الأمة"[2]، وكان العدول في هذا الموضع أليق بحسن نظم الحديث النَّبوي؛ لتمثيله لطيفة بلاغية تناسب سياقه؛ أي أنه "وضع المظهر موضع المضمر تعظيمًا له وتربية للمهابة، يعني هو منكم والغرض أنه خليفتكم وهو على دينكم" [3]، فجاء العدول بأحسن تعبير وأروع رونق؛ لمناسبة اقتضاها سياق نظم الحديث النّبوي.

ومن الدِّلالات – أيضًا–: التَّضرع إلى الله واستجلاب شفقته، مثال ذلك: **عَن سَهلِ بنِ سَعْدٍ، قَالَ: " كَانَ النَّاس يؤمرون أَن يضع الرجل الْيَد الْيُمْنَى على ذراعه الْيُسْرَى فِي الصَّلَاة "** [4].

يبين هذا الحديث النَّبوي كيفية وضع اليدين في الصَّلاة، إذ أمرهم رسول الله – ρ– أن يضعوا اليد اليُمنى على الذِّراع الأيسر في الصَّلاة؛ أي أنه – ρ– " كان يأمرهم بالقبض أثناء القيام في الصلاة، وذلك بأن يضع الرجل باطن يده اليمنى على ظهر ذراعه اليسرى، ويقبض رسغها وبعض ساعدها باليمنى"[5]، ويكمن العدول التَّناسبي في: (يضع)، والأصل أن

---

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام، م2، ص 465 .

[2] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج16، ص40.

[3] – المصدر نفسه.

[4] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة، م1، ص 193.

[5] – قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج2، ص155.

يقول " يضعون"[1]، ولكنه أظهر في مقام الإضمار؛ لتربية المهابة وإظهار التودد لله عز وجل؛ لأن هذه الهيئة هي" صفة السَّائل الذَّليل وهو أمنع من العبث وأقرب إلى الخشوع"[2]، وتأكيدًا لهذا المعنى أُردف هذا الحديث بـ ( باب الخشوع في الصلاة)؛ **عَن أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ρ– قَالَ: " هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَاهُنا، وَاللهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ رُكُوعَكُمْ ولاَ خُشُوعَكُمْ، وإِنِّي لأَرَّكُمْ وَرَاءَ ظَهْرِي"**[3].

وقد ذكر هذا الحديث النَّبوي الشَّريف " حثًا وتحريضًا للمصلي على ملازمة الخشوع؛ ليدخل في زمرة الذين مدحهم الله تعالى في كتابه بقوله:( **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)**"[4].

**الإضمار في موضع الإظهار ودلالاته التَّناسبية:**

يمثل هذا العدول في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة لمحات جمالية، وأبعادًا دلالية مترامية الغايات اتسمت ومقام الأحاديث النَّبوية الشَّريفة[5]، إذ إن المقصد من وراء هذا العدول " الإشارة إلى معاني الفخامة والشهرة حتى ليغني عن التَّصريح" [6]، وفي هذا يقول العلوي (ت 745هـ): " إن ضمير الشأن والقصة على اختلاف أحواله، إنما يرد على جهة المبالغة فى تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها وتحصيل البلاغة فيه من جهة إضماره أولًا، وتفسيره ثانيًا؛

---

[1] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج5، ص 278.

[2] – العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 224، وينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج2، ص 359.

[3] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب الخشوع في الصلاة، م1، ص 193.

[4] – سورة المؤمنون، آية 1.

[5] – ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، م1، ص 287.

– المصدر نفسه، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، م1، ص 35.

[6] – الصاوي، مصطفى: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، د.ت، ط2، دار المعارف، مصر، ص 223.

لأن الشيء إذا كان مبهمًا فالنفوس متطلعة إلى فهمه ولها تشوق إليه؛ ولأجل هذا حصلت فيه البلاغة، ولأجل ما فيه من الاختصاص بالإبهام لا يكاد يرد إلا فى المواضع البليغة المختصة بالفخامة" [1]، والأصل أن يؤتى في هذا التَّركيب بضمير؛ لينوب عن الاسم، وقد يكون ضمير شأن أو قصة، تعود هذه الضمائر على ما تقدم قبلها؛ لفهم مضمون الجملة.

ومن أمثلته: **عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ – ρ–: أَلاَ تَزَوَّجُ ابْنَةَ حَمْزَةَ؟ قَالَ: "إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ"**[2].

يوضح متن هذا الحديث الشَّريف أن الرِّضاعة تحرم ما تحرم الولادة؛ إذ إن حمزة أخو الرَّسول – ρ– من الرِّضاعة، وبنات حمزة بمثابة بنات الأخ بالنسبة للنّبي ρ ؛ فلا يجوز الزَّواج بهن. وقد سبق هذا الحديث النَّبوي الشَّريف حديث نبوي آخر يعضد هذه الدِّلالة، يبين – أيضًا– أن الأم المرضعة هي بمنزلة الأم الحقيقية، وينطبق عليها نفس الأحكام الشَّرعية؛ فعن **عَائِشَةَ –رضي الله عنها– زَوْجَ النَّبِيِّ – ρ– أَخْبَرَتْهَا أَنَّ النَّبِيِّ – ρ– كَانَ عِنْدَهَا، وَأَنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ رَجُلٍ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُرَاهُ فُلاَنًا، لِعَمِّ حَفْصَةَ مِنَ الرَّضَاعَةِ –فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِكَ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ρ –: أُرَاهُ فُلاَنًا، لِعَمِّ حَفْصَةَ مِنَ الرَّضَاعَةِ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَوْ كَانَ فُلاَنٌ حَيًّا –لِعَمِّهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ– دَخَلَ عَلَىَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ρ –: نَعَمْ، إِنَّ الرَّضَاعَةَ يَحْرُمُ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلاَدَةِ"** [3].

---

[1] – العلوي: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج2، ص 76.

[2] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ( وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، م3، ص 436.

[3] – المصدر نفسه.

ولعل موطن التَّناسب يكمن في الحديث النّبوي الأول في قوله: ( أنها ابنة أخي)؛ أي أن الأصل في هذا التَّركيب أن يؤتى بـ (المسند إليه) اسمًا ظاهرًا، ولكنه عدل في التَّركيب، ووضع المضمر موضع المظهر؛ لإبهامه ومن ثم تفسيره؛ تعظيمًا وتفخيمًا لشأن ابنة حمزة التي لا يمكن للرسول – ρ – الزواج بها.

ومن هذا – أيضًا–: **عنْ زَيْدِ بنِ ثابِتٍ – رَضِي الله تَعَالَى عنهُ– قَالَ: " لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ρ إِلَى أُحُدٍ، رجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، وكانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ρ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ وفِرْقَةً تَقُولُ: لاَ نُقَاتِلُهُمْ، فنَزَلَتْ: ( فَما لَكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَالله أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا)** (النِّسَاء: 88) **. وَقَالَ: "إِنَّهَا طَيْبَةُ تَنْفِي الذُّنُوبَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبثَ الفِضّةِ"**[1] .

يذكر هذا الحديث النَّبوي الشَّريف فصيلة من فضائل المدينة؛ إذ إنها تمحص المنافق من المؤمن، وتكفر الذُّنوب وتزيلها كما تزيل النّار خبث الفضة وشوائبها، ولعل السّياق النَّظمي لهذا الحديث النَّبوي يتطلب أن تكون الهاء– ضمير قصة– في قوله: ( إنها طيبة)، وقد ورد في هذا الموضع؛ تعظيمًا وتفخيمًا لشأن المدينة المنورة.

يبين مما سبق أن ثمة مناسبة خفية وعلاقة وطيدة بين دلالات العدول في الإظهار في موضع الإضمار، ودلالات الإضمار في موضع الإظهار وسياق الحديث النَّبوي ومقامه، و تمثلت هذه الدِّلالات في: التَّعظيم، وتربية المهابة، وإدخال الروعة في ضمير السَّامع، وتقوية داعية المأمور.

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، م3، ص 109.

## المبحث الرَّابع: التَّناسب الأسلوبي.

**وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: التَّنكير ودلالاته التَّناسبية.**

**المطلب الثَّاني: التَّعريف ودلالاته التَّناسبية.**

- **التَّعريف بالإضافة.**
- **التَّعريف باسم الإشارة.**
- **التَّعريف بـ ( أل).**

**المطلب الثَّالث : الحذف ودلالاته التَّناسبية .**

## توطئة:

يتعاضد البناء اللغوي للأحاديث النَّبوية الشَّريفة من خلال شبكة العلاقات التَّرابطية التي تربط بين المستويات الصَّرفية والصَّوتية والنَّحوية، إذ تغدو هذه الأحاديث كلًا متكاملًا، ووحدة نصية متماسكة، تعكس بذلك وحدة موضوعات الأحاديث الشَّريفة؛ فكل مستوى من هذه المستويات يأتي متكاتفًا مع غيره؛ لأجل إيجاد قيم تعبيرية، ووظائف دلالية ذات تناسب مع المضمون العام للحديث النَّبوي الشَّريف.

يبحث المستوى الصَّوتي في اجتماع الأصوات ودلالاتها، فيما يبحث المستوى الصَّرفي في تأليف البنية الصَّرفية للألفاظ وبيان الزَّوائد فيها، ويهتم المستوى النَّحوي بدراسة أصول تكوين الجملة وتشكيلها، وقواعد إعرابها، أما محور هذا المبحث فهو المستوى الأسلوبي الذي يُعنى بجمالية النّظم والتّركيب الحاصل من تكوين الجمل والتَّراكيب اللغوية. ولقد أكد الجرجاني مفهومه لنظرية النَّظم؛ فهي عنده: " تعليق بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، لا أن ينطق بعضها في أثر بعض، من غير أن يكون فيما بينها تعلق، ويعلم كذلك ضرورة إذا فكر، أن التعلق يكون فيما بين معانيها، لا فيها بينها أنفسها" [1].

[1]– الجرجاني: دلائل الإعجاز، ج1، ص 466.

فالنظم إذن ليس رصف الألفاظ المتشابهة؛ بل هو توخي نظم المعاني الدَّلالية بطريقة تجعل هذه الألفاظ مترابطة تربطها علاقات تناسبية؛ إذ لا يؤدي أي لفظة أخرى معناها أو يقوم مقامها، فـ "أنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتب المعاني في النَّفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو "النظم" الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق. ولذلك كان عندهم نظيرًا للنسخ والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كل حيث وضع، علة تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح" [1].

وسيتناول هذا المبحث دراسة جمالية التَّراكيب الأسلوبية، واللمحات التَّناسبية التي تتمثل في أسلوبي التِّنكير والتَّعريف وقيمتهما الجمالية، والحذف ودلالاته التِّناسبية؛ لأن الحديث النَّبوي الشَّريف ما هو إلا مجموعة من الجمل المتماسكة المركبة تركيبًا دلاليًا ذات معنى محدد، ومغزى واضح، فكانت هذه التَّراكيب مشحونة بدلالات خصبة، وإيحاءات تناسبية عميقة، وهذا ما يدل على أن ثمة علاقة تناسبية في اختيار هذه التَّراكيب والسِّياق العام للحديث النَّبوي الشَّريف.

[1]– الجرجاني: دلائل الإعجاز، ج1، ص 49.

## المطلب الأول: التَّنكير ودلالاته التَّناسبية:

يعد أسلوب التَّنكير من اللطائف التَّناسبية التي تكشف الوشيجة الجامعة بين دلالتها البلاغية والسَّياق المقامي الذي وردت فيه؛ إذ إن النَّكرة تدل: " على شيء لا بعينه"[1]، وعند سيبويه: "أن النَّكرة أخف عليهم من المعرفة، وهي أشد تمكنًا؛ لأن النَّكرة أول، ثم يدخل عليها ما تعرف به، فمن ثم أكثر الكلام ينصرف في النكرة"[2]؛ فـ "هي أصل للمعرفة؛ لاندراج كل معرفة تحتها من غير عكس"[3]؛ ذلك لأن " الاسم نكرة في أول أمره مبهم في جنسه، ثم يدخل عليه ما يفرد بالتَّعريف، حتى يكون اللفظ لواحد دون سائر جنسه، كقولك: "رجل"، فيكون هذا الاسم لكل واحد من الجنس، ثم يحدث عهد المخاطب لواحد بعينه، فتقول: "الرَّجل"، فيكون مقصورًا على واحد بعينه، فالنَّكرة سابقة؛ لأنها اسم الجنس الذي لكل واحد منه مثل اسم سائر أمته، وضعه الواضع للفصل بين الأجناس، فلا تجد معرفة إلا وأصلها النكرة؛ إلا اسم الله تعالى؛ لأنه لا شريك له سبحانه وتعالى"[4].

---

[1]- العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ص8.

[2]- سيبويه: الكتاب، ج1، ص22.

[3]- الفاكهي، عبد الله بن أحمد: شرح كتاب الحدود في النحو، ت. د. متولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1993، ص 133.

[4]- ابن يعيش: شرح المفصل ، ج3، ص 347.

وقد أفاد توظيف أسلوب التَّنكير ملامح دلالية وأغراضًا عالية يمكن استشفافها من الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، ومن أبرز هذه المعاني: التعظيم[1]؛ فـ " أكثر ما يرد للتَّفخيم والتَّعظيم في النَّكرات، وكأن التنكير حينئذ علم عليه" [2]، مثال ذلك: **عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْه–، أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ – وَهْيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ– أَتَتِ النَّبِيَّ –ρ– فَقَالَتْ: " يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ– وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ– فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ؟ قَالَ: "يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى"**[3].

يدل هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على أعظم مصير، وأسمى مقصد، وأجل مقام يسعى إليه المجاهد في سبيل الله؛ لنيل الجنة. وقد سبق هذا الحديث النَّبوي حديث نبوي آخر يبين فضل من عمل عملًا صالحًا؛ كالجهاد في سبيل الله؛ **عَنْ البراءِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: " أَتَى النَّبِيّ –ρ – رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالْحَدِيدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ. فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ρ–: عَمِلَ قَلِيلاً وَأُجِرَ كَثِيرًا"**[4]، كما جاء – أيضًا– بعده أحاديث نبويّة تبين وتوضح جزاء الشَّهيد في سبيل الله بأن له الجنة؛ **فعنْ أَبِي مُوسَى – رَضِي اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–، قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ –ρ– فَقَالَ: " الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"؟ قَالَ: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ**

---

[1]– للمزيد حول هذه الدلالة ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب الدعاء قبل السلام، م1، ص216.
– المصدر نفسه، كتاب الحج: باب فضل الحج المبرور، م1، ص 394.
– المصدر نفسه، كتاب الصوم: باب فضل الصوم، م1، ص 35.

[2]– الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 155.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد: باب من أتاه سهم غرب فقتله، م2، ص291.

[4] – المصدر نفسه، كتاب الجهاد والسير: باب عمل صالح قبل القتال، م2، ص 290.

**هِيَ الْعُلْيَا؛ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[1]، و عَنْ عَبْدِ الرَّحْمنِ بن جَبْرٍ أَنَّ رَسُولَ الله –ρ– قَالَ: " مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ"[2].**

وقد جعل الله – عز وجل– للجنة درجات، أعلاها وأعظمها الفردوس الأعلى، وهو: "البستان الذي يجمع ما في البساتين من شجر وزهر ونبات"[3]؛ لهذا أمرنا رسول الله –ρ– أن نسأل الله – عز وجل– هذه الدَّرجة من الجنة؛ **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، عَنْ النَّبيّ –ρ– قَالَ: " إِنَّ فِي الجَنَّـةِ مِائَـةَ دَرَجَـةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، فإِذَا سألْتُمُ الله فاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فإِنَّهُ أَوْسَط الجَنَّةِ وأَعْلى الجَنَّةِ"[4].**

وقد ناسب تنكير اللفظة النَّبوية (جنان) الدَّالة على معنى "التَّعظيم و التَّفخيم "[5] سياق الحديث النَّبوي الشَّريف؛ فأضفى تنكيرها معنى بلاغيًا يناسب تشريف ابنها دخوله الجنة، وتعظيم المنزلة العالية التي ارتقى إليها، وقد بشر الرسول – ρ– أم حارثة بأن ابنها قد أصاب الفردوس الأعلى من الجنة، وفي هذا مزيد تعظيم له.

ويتحقق معنى التَّعظيم – أيضًا– في حديث آخر؛ **فَعن عَبْد اللهِ – رَضِيَ اللهُ عَنهُ –؛ عَنِ النَّبيّ–ρ– أَنه قَالَ: "إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ**

---

[1] – المصدر نفسه، كتاب الجهاد والسير: باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، م2، ص291.

[2] – المصدر نفسه، كتاب الجهاد والسير، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله، م2، ص291.

[3] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج107، ص 14.

[4] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، م2، ص 286.

[5]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج5، ص 48.

**حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا"** [1].

يحث هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على الالتزام بالصِّدق في كل نوايا الإنسان وأفعاله وأقواله، وقد قرن الله – تبارك وتعالى– الصدق بالتَّقوى، في قوله: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)** [2]، وفيه – أيضًا– تحذير من الكذب والتَّساهل فيه، لأنه خصيلة ذميمة يُعرف بها الإنسان، ويتصف بها، وتقوده إلى النّار وسوء المصير.

وقد بين هذا الحديث النَّبوي الشَّريف أن الإنسان الملتزم بالصِّدق في كل ظروفه وحالاته سيقوده صدقه إلى البر والجنة، و (البر) لفظة نبوية شريفة جامعة تدل على: "العمل الصالح الخالص من كل مذموم، وهو اسم جامع للخيرات كلها"[3]، وإذا ما اتسم الإنسان بهذه الصِّفة، وظل يتحرى الصَّدق في كل أقواله وأفعاله، كُتب عند الله صديقًا، واستحق هذا الوصف، وثوابه؛ أي " لا يزال يتكرر الصَّدق منه حتى يستحق اسم المبالغة فى الصدق"[4]، والمراد منها " فرط صدقه؛ حتى يصدق قوله"[5].

وأما تنكير (صديقًا) فقد مثّل نكتة تناسبية انسجمت وسياق الحديث النَّبوي، مفادها "التعظيم والتفخيم؛ أي بلغ في الصَّدق إلى غايته ونهايته حتى دخل زمرتهم واستحق ثوابهم"[6].

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب: باب قول الله تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}** ، م4، ص 123.

[2] – سورة التوبة، آية 119.

[3] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج22، ص 153.

[4] – ابن بطال: شرح صحيح البخاري، ج 9، ص281.

[5] – القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج9، ص 62.

[6]– المصدر نفسه.

كما أفاد تنكير (كذابًا) –أيضًا– دلالة التحقير؛ لأن الكذب من علامات النِّفاق الذي يقود إلى إلى الفجور، والخروج عن طاعة الله – عز وجل– والكفر به، وقد بين الله – تبارك وتعالى – أن أعظم الفجور الكفر؛ فإن الكفرة فجرة، لقوله: **(أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ )**[1].

وقد جاءت هذه اللفظة على وزن ( فعّال)، وهي: " من أبنية المبالغة لمن يكثر الكذب منه ويتكرر حتى يعرف به"[2]، وتصبح سجية عنده، فـ " ينكت في قلبه نكتة سوداء؛ حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكذابين، ويظهره للمخلوقين من الملأ الأعلى ويلقي ذلك في قلوب أهل الأرض وألسنتهم؛ فيستحق بذلك صفة الكذابين وعقابهم"[3]، وقد أردف البخاري – رحمه الله– هذا الحديث النَّبوي بحديثين شريفين آخرين يوضحان علامات المنافق، وعقوبة الكاذب، **وفي هذا روى أبو هُرَيْرَةَ عَن النَّبيّ –ρ–، أَنه قَالَ: " آيةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا وعَدَ أَخْلَفَ، وإذَا اؤْتُمِنَ خانَ"**[4]. يوضح هذا الحديث النَّبوي أن الكذب يكون في القول والفعل، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة. أما الحديث النَّبوي الثَّاني؛ فهو يصف عقوبة الكاذب، **فعَن سَمُرَةَ بن جُنْدبٍ – رَضِيَ اللهُ عَنهُ–، قَالَ النَّبيُّ –ρ–: " رأيْتُ اللَّيْلَةَ رَجلَين أتَياني قَالَا: الَّذِي رأيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ بالْكَذْبَةِ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إلَى يَوْمِ القِيامَةِ"**[5].

كما يؤثر نظم الحديث النَّبوي الشَّريف تنكير اللفظة النبوية في السِّياق النَّبوي لدلالتي: العموم والتعظيم، ومن شواهده: **عَنْ حُمَيْد بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: سَمِعْتُ مُعاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ:**

---

[1] – سورة عبس، آية 42.

[2] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج22، ص 153.

[3] – القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج9، ص 62.

[4] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب: باب قول الله تعالى **( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)** ، م4، ص 124.

[5] – المصدر نفسه، باب قول الله تعالى **( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)** ، م4، ص 124.

**سَمِعْتُ النَّبي– ρ –، يَقُولُ : "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِى اللَّهُ، وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللَّهِ"[1].**

ينوه هذا الحديث النّبوي الشّريف إلى فضيلة العلم والحث عليه، ووجوب التَّفقه في الدِّين الإسلامي؛ " لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلوم "[2]؛ فمن شأن المؤمن أن يتفقه في كتاب الله – عز وجل–، وسنة نبيه – ρ –؛ ليعرف الأحكام الشَّرعية، ويقبل على ما أمرنا به الله، ويتجنب ما نهانا عنه، ويستشعر رقابته في السّر والعلن، فمن رزق هذا الفقه والعلم العظيم؛ فقد أراد الله – تبارك وتعالى– به خيرًا، ومن أعرض عن أوامر الله، وغفل عنها، وارتكب محارمه؛ فالله – عز وجل– لا يريد به خيرًا.

وقد نكرت اللفظة النَّبوية (خيرًا)؛ لفائدة تناسبية مفادها " التعميم؛ لأن النَّكرة في سياق الشَّرط كالنَّكرة في سياق النفي، فالمعنى: من يرد الله به جميع الخيرات"[3]، وإذا كان هذا الخير دالًا على محبة الله تعالى له؛ فتكون دلالة التنكير" للتعظيم؛ أي خيرًا عظيمًا" [4].

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول النبي –ρ–: ( لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم)، م4، ص 429.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص50.

[3]– المصدر نفسه، وينظر: القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري ، ج10، ص 324.

[4]– المصدر نفسه.

ويظهر – أيضًا– هذا التَّناسب[1] فيما رواه **أَنسُ بنُ مَالِك– رَضَيَ اللهُ عَنْهُ– عَنْ الرَّسُولِ** – ρ– أنه قَالَ: " **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**"[2].

يبين هذا الحديث النَّبوي الشَّريف فضل الزَّرع والغرس، والحث على إعمار الأرض، وأجرهما في الدُّنيا والآخرة، ويكمن أجرهما في الحياة الدُّنيا أن "الناس محتاجون إلى الأقوات أكثر، كانت الزراعة أفضل؛ للتوسعة على الناس"[3]؛ وذلك باعتمادهم على زراعة المقومات الأساسية للحياة؛ فيكون في هذا نمو للمجتمع وعمارته وكثرة خيراته، أما أجره في الآخرة فهو أجر عظيم وكبير؛ لأن " أجر ذلك يستمر ما دام الغرس أو الزرع مأكولًا منه ولو مات زارعه أو غارسه، ولو انتقل ملكه إلى غيره، وظاهر الحديث أن الأجر يحصل لمتعاطي الزّرع أو الغرس ولو كان ملكه لغيره" [4].

ويبرز في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف دلالتان من دلالات التَّنكير، تتمثل الأولى في لفظة (مسلم) وقد أفاد التَّنكير في هذا الموضع دلالة العموم؛ لأن "أي مسلم كان حرًا أو عبدًا مطيعًا أو عاصيًا يعمل أي عمل من المباح ينتفع بما عمله أي حيوان، كان يرجع نفعه إليه ويثاب

---

[1]– وكذلك: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، م1، ص347.

– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب حفظ العلم، م1، ص42.

– المصدر نفسه، كتاب العلم: باب إثم من كذب على النبي ρ، م1، ص40.

– المصدر نفسه، كتاب العيدين: باب فضل العمل أيام التشريق، م1، ص 248.

[2]– المصدر نفسه، كتاب الحرث والمزارعة: باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، وقوله الله **(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا)** [الواقعة: 63– 65]،م2، ص 144.

[3] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج12، ص155.

[4] – العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 5، ص4.

عليه"[1]، وتدخل المرأة في سياق هذا الخطاب؛ لأن الغرس لا يختص بالرجل فقط، فـ "هذا اللفظ من الجنس الذي إذا كان الخطاب به يدخل فيه المرأة، لأنه – ρ– لم يرد بهذا اللفظ أن المسلمة إذا فعلت هذا الفعل لم يكن لها هذا الثواب؛ بل المسلمة في هذا الفعل في استحقاق الثواب مثل المسلم سواء"[2]، كما أن هناك ملمحًا آخر في وجه التعبير بهذه اللفظة يتمثل في "التعبير بالمسلم يخرج الكافر فيختص الثواب في الآخرة بالمسلم دون الكافر؛ لأن القرب إنما تصح من المسلم؛ فإن تصدق الكافر أو فعل شيئًا من وجوه البر لم يكن له أجر في الآخرة" [3].

أما دلالة التنكير الثانية، فتتمثل في تنكير لفظتي(الغرس، و الزرع)؛ لإرادة "التنويع، لأن الزَّرع غير الغرس"[4]، فالزّرع " طَرْحُ البَذْر"[5]، أما الغرس؛ فهو " الشَّجَرُ الَّذِي يُغْرَس"[6]، وإذا كان الزَّرع والغرس دالاً على النوع؛ فلا شك أنّ تنكيره يدل على الأجر والثَّواب العظيم الذي يناله الزارع إذا أكل منه طير أو إنسان أو بهيمة.

كما أن ثمة دلالة أخرى تتصل بدلالة العموم، وهي: دلالة الاستغراق، ومن شواهدها: **عَن أَبي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –ρ–: " قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ"**[7].

جاء هذا الحديث النّبوي الشريف جوابًا لما "سأل موسى –عليه السلام– ربه من أعظم أهل الجنة منزلة؟ فقال: غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا

---

[1] – العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 5، ص4.

[2]– العيني:عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ج12، ص155.

[3]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج4، ص17.

[4]– المصدر نفسه، و ينظر: العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج5، ص 3.

[5] – ابن منظور: لسان العرب، مادة " زرع".

[6] – المصدر نفسه، مادة " غرس".

[7]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في الجنة وأنها مخلوقة، م2، ص 407.

خطر على قلب بشر"[1] ، فبين هذا الحديث النّبوي نعيم الجنة وكمالها، وما أعد الله – عز وجل– لعباده الصّالحين من نعيم الجنة، التي لم تر عين مثله، ولم يسمع أُذن بوصفه، ولم يخطر على قلب أحد تخيله، وقد أُردف هذا الحديث النّبوي بحديث نبوي آخر يصف أهل الجنة، وإنهم يتمتعون بأسمى آيات الجمال، ويتفاتون في ذلك حسب درجاتهم؛ فأول جماعة تدخل الجنة تكون كالقمر لحظة استدارته، فيكون أكمل نورًا وضياءً، أما الطائفة الثانية؛ فهم كأشد الكواكب إضاءة في السماء، وفي ذلك **روى أبو هُرَيرَةُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– عَنْ الرَّسُولِ – ρ– أنه قَالَ: " أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، والَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كأَشَدِّ كَوْكبٍ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ ولاَ تَباغُضَ، لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَة منْهُمَا يُرَى مُخُّ ساقِها منْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ الله بُكْرَةً وعَشِيًّا، لاَ يَسْقَمُونَ ولاَ يَمْتَخِطُونَ ولاَ يَبْصُقُونَ، آنِيَتُهُمْ الذَّهَبُ والفِضَّةُ، وأَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ، وَقُودَ مَجَامِرِهِمْ الأُلْوَةُ"**[2] .

وقد أدى تنكير لفظة (عين) المسبوقة بأداة النفي (ما) دلالة "الاستغراق، والمعنى ما رأت العيون كلهن ولا عين واحدة منهن؛ فيحمل على نفي الرُّؤية والعين معًا، أو نفي الرُّؤية فحسب أي لا رؤية ولا عين، أو لا رؤية؛ وعلى الأول الغرض منه نفي العين، وإنما ضمت إليه الرؤية؛ ليؤذن بأن انتفاء الموصوف أمر محقق لا نزاع فيه وبلغ في تحققه إلى أن صار كالشاهد على نفي الصفة وعكسه"[3].

---

[1] – العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 8، ص516.

[2] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في الجنة وأنها مخلوقة، م2، ص 407.

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، ص153، ج15، وينظر: القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشرح صحيح البخاري، ج7، ص290– 291.

ومن دلالات التنكير البلاغي: التَّقليل[1]، ومن شواهده: **عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنهُمَا– عنِ** النَّبيِّ – ρ– قَالَ: **"حَرَّمَ الله عَزَّ وَجَلَّ مَكَّةَ فلَمْ تَحِلُّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلاَ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، لاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا وَلاَ يُعْضَدُ شَجَرُهَا وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا وَلاَ تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إلاَّ لِمُعَرِّفٍ"، فَقَالَ العَبَّاسُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنهُ: إلاَّ الإِذْخِرَ لِصَاغَتِنَا وَقُبُورِنَا؟ فَقَالَ إلاَّ الإِذْخِرَ"[2].**

يدل هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على حرمة مكة المكرمة، وذلك " أن مكة حرام يحرم فيها أشياء ما يحل في غيرها من بلاد الله تعالى" [3]، فلا يختلي خلاها ولا تقطع فيها شجرة، ولا ينفر صيدها، وقد ناسب التَّعبير في هذا الحديث الشَّريف تنكير (ساعة) التي منحت سياق الحديث النَّبوي معنى بلاغيًا جديدًا قوامه؛ التقليل التي " لم يرد بها السَّاعة من الإثني عشر ساعة، والمراد بها: القليل من الوقت والزَّمان، وإنه كان بعض النهار ولم يكن يومًا تامًا"[4]، وفي ذلك بيان حرمة مكة المكرمة، وزيادة الشَّرف والتَّعظيم لها.

والمستصفى مما سبق مثل أسلوب التنكير في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة لمسات ونكات أسلوبية، جاءت استجابة لدواع بلاغية ناسبت السَّياق النَّبوي، وجسدت جوانب بلاغة النَّظم النَّبوي، ومن أبرز هذه الدِّلالات: التَّعظيم والتَّحقير والتَّقليل والتَّنويع.

---

[1]– ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب المرض: باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول، م4، ص 25.
– المصدر نفسه، كتاب الفتن: باب ظهور الفتن، م4، ص366.
– المصدر نفسه، كتاب مناقب الأنصار: باب حديث الإسراء، م3، ص 61.
– المصدر نفسه، كتاب الإيمان: باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، م1، ص 14.

[2]– المصدر نفسه، كتاب الجنائز: باب الإذخر والحشيش في القبر، م1، ص345.

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري ، ج8، ص 162.

[4]– المصدر نفسه.

## المطلب الثَّاني: التَّعريف ودلالاته التَّناسبية:

شكل أسلوب التَّعريف – بالأنواع المنوي دراستها– ظاهرة بلاغية في أحاديث رسول الله– ρ–، وقد حقق في مقاماته المختلفة مقاصد تناسبية من خلال استنباط القرائن التي وردت فيها هذه المعارف؛ إذ إن لكل من هذه المعارف مقامًا وسياقًا خاصًا لا يصلح للأخر في نماذج الأحاديث النَّبوية المتناولة، "اعلم أن لكل واحد منهما مقامًا لا يليق بالآخر"[1]، وإن لكل نوع من هذه المعارف – أيضًا– دلالات بلاغية ونكات تناسبية يستشف معناها تبعًا للسياق الذي وردت فيه؛ أي أن "لكل أداة من أدوات التعريف طعمًا ومذاقًا يختلف عن الآخر، والذي يحدد الاختلاف ثقل الكلمة، ومكانها، وقيمتها، وشحناتها المختلفة عند المخاطب، فالضمير، غير اسم الموصول، غير التعريف بـ (أل)"[2].

والمعرفة اصطلاحا: "ما دلت على شيء بعينه "[3]، وأما أقسامها: " فخمسة، وأعرفها المضمر ثم العلم، ثم اسم الإشارة، والموصول، ثم المعرف بالألف واللام، ثم المضاف إلى واحد منه إضافة معنوية لا تحقيقية "[4]، وقد مثل توظيفها في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة المنوطة بالدِّراسة والتَّحليل معاني جليلة أظهرت وجه الإعجاز اللغوي والتَّناسب الدِّلالي بين مواطن وجود أدوات التَّعريف والسِّياق المقامي الذي وردت فيه.

---

[1]– الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج4، ص 87.

[2]– سلطان، منير: بلاغة الكلمة والجملة والجمل، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص37.

[3]– العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج2، ص8.

[4]– الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم (ت 651هـ): البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، ط1، ت. خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، 1974م، ص 133، ينظر أيضا: ابن يعيش، شرح المفصل، ج2، ص247.

**التَّناسب في التَّعريف بالإضافة:**

يضفي التَّعريف بالإضافة على نظم الحديث النَّبوي الشَّريف رونقًا وجمالًا، ويحقق أغراضًا تناسبية ودلالات بلاغية تبعًا للسياق النَّظمي الذي ورد فيه، ومن أجلّ هذه المعاني: التَّعظيم والتَّشريف[1]؛ وشاهد هذا: **عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنهُ-، قَالَ: " كُنَّا مَعَ النَّبِيّ -ρ- فِي دَعْوَةٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، وَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَنْ يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَى مَا بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ. أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ. نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ؛ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا. أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا؟ أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ**

---

[1]- ومثل هذه الدلالة ، ينظر:البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، م1، ص 368.

- المصدر نفسه، كتاب الحج: باب ركوب البدن، م1، ص 435.
- المصدر نفسه، كتاب الصلاة: باب رفع الصوت في المسجد، م1، ص 131.
- المصدر نفسه، كتاب الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ج2، ص 235.
- المصدر نفسه، كتاب اللباس: باب ما يذكر فى المسك، م1، ص 87.

**يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. نَفْسِي نَفْسِي، ائْتُوا النَّبِيَّ** – ρ– **فَيَأْتُونِي، فَأَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهُ"**[1].

يظهر هذا الحديث النَّبوي الشَّريف الفضيلة التي امتاز بها رسول الله، وهي: شفاعته لأمته، بعد أن تطلب من سيدنا آدم ونوح –عليهما السَّلام–، فترد إلى رسول الله – ρ–، ويسأل الله – عز وجل– أن يشفع لأمته، ولا تصح هذه الشّفاعة إلا بإذنه تعالى؛ لقوله في محكم كتابه العزيز: **(وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى)**[2]؛ فمن يريد الله – عز وجل– به خيرًا، شفع له الرَّسول – ρ–، وإن أراد به شرًا فلا تقبل شفاعته.

وقد سبق هذا الحديث النَّبوي حديث نبوي آخر يبين فضيلة أخرى لرسول الله – ρ– ميزه الله بها، وهي: شهادة أمته على الخلق؛ لأن الأقوام السَّابقة تكذب رسلها يوم القيامة، وتنكر ما جاءت به، كما كانت في الحياة الدُّنيا؛ فتقوم أمة محمد –ρ – وتشهد لهؤلاء الرُّسل، بأنهم قد بلغوا رسالتهم؛ **فعنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ρ –: "يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ. فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ. فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ – ρ – وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: 143]"** [3].

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء: باب (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ)، م2، ص 428.

[2] – سورة النجم، آية 26.

[3] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء: باب **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ)**، م2، ص 428.

وتكمن اللفتة التَّناسبية في الحديث النَّبوي الأول التَّعريف بالإضافة في قوله: ( ونفخ فيه من روحه)؛ إذ أفادت الإضافة إلى الله تعالى " تعظيمًا للمضاف وتشريفًا له". [1]

وفي مقابل التَّعظيم والتَّشريف نجد دلالة التَّحقير، ومن شواهدها: **عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنهُ–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ρ–: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ والدِّرْهَمِ، والقَطِيفَةِ والخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطَى رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ"[2].**

حذر رسول الله – ρ– في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف من اتباع زينة الدُّنيا والإيغال فيها، وأن يكون جمع المال والزينة هي أكبر هم الإنسان، وقد وصف الرَّسول– ρ– ذلك الإنسان بـ (عبد الدِّينار)؛ أي "طالبه وخادمه والحريص على جمعه، والقائم على حفظه؛ فكأنه لذلك عبده"[3]؛ فينغمس في شهوات الدُّنيا وملذاتها، فإذا أعطاه الله رضي، وإن لم يعطه سخط.

كما جاء – أيضًا– في سياق هذا الحديث النَّبوي الشَّريف الدُّعاء على من يحرص على ماله، وقد اختير الفعل (تعس) في هذا الحديث النَّبوي الدال على معنى الخسارة والهلاك والعثرة؛ ليكون أنسب بهذا الموقع في التَّعبير عن الانحطاط والذُّل الذي يلاقيه الإنسان الحريص على هذا المال، وقد أردف هذا الحديث النَّبوي بحديث نبوي آخر رواه أبو هريرة – رضي الله عنه– أنَّ الرَّسولَ –ρ– قَالَ: " **تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي**

---

[1]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج5، ص329.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد: باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، م2، ص 309.

[3] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 23، ص 45.

**سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَث رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ"[1].**

يؤكد هذا الحديث النَّبوي الشَّريف دعاء الرَّسول –ρ–على هذا الإنسان بأن يهلك، ولا يصيب من الدُّنيا شيئًا، ولا يتمكن من إزالة ما يؤذيه، كما يبين – أيضًا– صفات المسلم الذي لا يهتم إلا بالحياة الآخرة، ويشغل نفسه بالجهاد في سبيل الله.

وقد مثل التناسب في إضافة (العبد) إلى (الدنيار) أبشع المعاني البلاغية وأحقرها؛ ذلك لأن قوله (عبد الدينار) "مجاز عن حرصه عليه، وتحمل الذلة لأجله، أي: طلب ذلك قد استعبده وصار عمله كله في طلبهما، كالعبادة لهما" [2]، فالإضافة في هذا الموضع تفيد التَّحقير.

ومنح السَّياق النَّظمي للإضافة بعدًا آخرَ يتمثل في دلالة العموم، و قد بانت هذه الدِّلالة في حديث نبوي شريف رواه **جابرُ بنُ عَبْدِ الله السَّلَمِيُّ، قَالَ: كَانَ رسولُ الله يُعَلِّمُ أَصْحابَهُ الاسْتِخارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّها كَمَا يُعَلِّمُ السُّورَةَ مِنَ القُرآنِ، يَقُولُ: إِذا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ، فإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِر..."[3].**

يرشد هذا الحديث النَّبوي الشَّريف إلى أهمية صلاة الاستخارة في حياة المسلم؛ فالاستخارة تكون مع الله – عز وجل– ؛ لطلب الخير له، وصرف الشَّر عنه، والتوكل عليه، وتفويض الأمر إليه، والرضا بقضائه. ولقد أوصى الرَّسول – ρ– الاستخارة في الأمور كلها، إذ شكلت

---

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد: باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، م2، ص 309.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج14، ص 171.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات: باب الدعاء عند الاستخارة، م4، ص 193.

هذه الجملة النَّبوية ( الأمور كلها) موطن التَّناسب بالإضافة في هذا الحديث النَّبوي، إذ أفادت لمحة بلاغية مفادها: " العموم، العظيم والحقير"[1]؛ لأن "المرء لا يحتقر أمرًا لصغره وعدم الاهتمام به فيترك الاستخارة فيه، فرب أمر يستخف بأمره فيكون في الإقدام عليه ضرر عظيم، أو في تركه"[2]؛ فالمسلم حريص كل الحرص على التَّقرب من الله – عز وجل– ؛ لتسير أموره ودفع ما يضره.

ومن العموم[3]– أيضًا–: ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه–، أن النَّبيَّ –ρ– قَالَ: " **كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتِجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيها جَدْعَاءَ؟** "[4].

خلق الله – تبارك وتعالى– الناس على فطرة الإسلام التي ارتضاها لهم؛ فالأصل في كل مولود أن يولد على ملة الإسلام، ولكن التَّهود أو التَّنصر أو التَّمجس أمر طارئ على طبيعة هذه الفطرة وأصلها؛ لأن " الكفر ليس من ذات المولود ومقتضى طبعه؛ بل إنما حصل بسبب خارجي فإن سلم من ذلك السبب استمر على الحق"[5]، وهذا ما يؤكد التَّناسب في الإضافة في

---

[1] – القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج2، ص 470.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج7، ص223.

[3]– ومثل هذا: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب: وجوب الصلاة في الثياب، م1، ص 102.

– المصدر نفسه، كتاب الجمعة : باب فضل الغسل يوم الجمعة وهل على الصبي شهود يوم الجمعة أو على النساء، م1، ص 226.

[4]– المصدر نفسه، كتاب الجنائز: باب ما قيل في أولاد المشركين، م1، ص355.

[5] – العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج3، ص 248.

قوله: (كل مولود) التي تؤدي دلالة مفادها " العموم؛ أي "ظاهره العموم في جميع المولودين"[1]؛ فيشمل "جميع أولاد المسلمين وغيرهم".[2]

وقد سبق هذا الحديث النَّبوي الشَّريف حديث نبوي آخر رواه أبو هريرة – رضي الله عنه– عندما " **سُئِلَ رَسُولُ اللهِ عنْ ذَرارِيِّ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ: (الله أعْلَمُ بِما كانُوا عامِلِينَ)** [3].

يوضح هذا الحديث النَّبوي الشَّريف أن الله – عز وجل– " أعلم بما يعمل به، لأنه سبحانه علم أن هؤلاء لا يتأخرون عن آجلهم ولا يعملون شيئًا، قد أخبر أنهم ولدوا على الفطرة، أي: الإسلام، وأن أباءهم يهودونهم وينصرونهم، كما أن البهيمة تولد سليمة من الجدع والخصا وغير ذلك مما يعمل الناس بها حتى يصنع ذلك بها، وكذلك الولدان"[4].

وخلاصة القول حقق التَّعريف بالإضافة مقاصد تناسبية ودلالات بلاغية أسهمت في بيان المعاني المتوخاة من الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، ومن هذه المقاصد: التَّعظيم، والتَّحقير، والعموم.

**التَّناسب في التَّعريف باسم الإشارة.**

اسم الإشارة هو: "ما دلّ على مسمّى وإشارة إليه، تقول مشيرًا إلى زيد مثلًا: "هذا"؛ فتدل لفظة "ذا" على ذات زيد، وعلى الإشارة لتلك الذَّات، والهاء: هي حرف جيء به لتنبيه

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج8، ص214.

[2]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج2، ص 470.

[3] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز: باب ما قيل في أولاد المشركين، م1، ص355.

[4] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 470.

المخاطب على المشار إليه[1]، "والأصل في الإشارة أن تكون لمحسوس، وقد ينزل غير المحسوس منزلة المحسوس"[2]، "ومراتب الإشارة هي القرب والوسط والبعد"[3].

ومن جل الأغراض والأهداف التَّناسبية التي يفيدها التَّعريف باسم الإشارة غرض: التَّعظيم والتَّشريف بذكر المشار إليه، شاهد هذا: **عنْ أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النبيّ إذْ جاءَهُ رسولُ إحْدَى بَناتِهِ يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِها فِي المَوْتِ، فَقَالَ النَّبيُّ –ρ–: "ارْجِعْ فأخْبِرْها أنَّ لله مَا أخَذَ، ولهُ مَا أعْطَى وكلُّ شَيْءٍ عِنْدهُ بأجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْها فَلْتَصْبِرْ ولْتَحْتَسِبْ"، فأعادَتِ الرَّسول أَنَّهَا أقْسَمَتْ لَيَأْتِيَنَّها، فقامَ النبيُّ وقامَ مَعَهُ سَعْدُ بنُ عُبادَةَ ومُعاذُ بنُ جَبَلٍ، فَدُفِعَ الصَّبِيُّ إِلَيْهِ ونَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍ، فَفاضَتْ عَيْناهُ، فَقَالَ لهُ سَعْدٌ: يَا رسُولَ الله مَا هذَا؟ قَالَ: "هذِهِ رَحْمَةٌ جعَلَها اللهُ فِي قُلُوبِ عِبادِهِ، وإنّما يَرْحَمُ الله مِنْ عِبادِهِ الرُّحَماء"**[4].

يحث هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على وجوب الصَّبر والتَّسليم لقضاء الله عز وجل، ولم يبكي رسول الله – ρ– جزعًا، وإنما بكر رحمة بالصّبي؛ فإن الله – تبارك وتعالى– إذا جعل في قلب إنسان رحمة، كان من الرُّحماء الذين يرحمهم يوم القيامة.

وقد وظفت أسماء الإشارة (هذا و هذه) في هذا الحديث النّبوي الشّريف؛ للدلالة على القريب المحسوس، وأدت غرضًا بيانيًا مفاده " أن يقصد تمييزه أكمل تمييز، وذلك لإحضاره في ذهن السَّامع، فيكون أكثر تصورًا له، بحيث لا يغيب عنه شيء من أوصافه"[5]؛ بهدف

---

[1]– ابن هشام: شرح شذور الذهب، ج1، ص 182.

[2]– عباس ، فضل حسن: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، ص 315.

[3]– السكاكي : مفتاح العلوم، ج1، ص 183، وينظر: ابن يعيش، شرح المفصل ، ج3، ص 348.

[4]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب قول الله تعالى **(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ)** ، م4، ص 444.

[5]– عباس، فضل حسن: البلاغة فنونها وأفنانهاعلم المعاني ، ص 315.

تثبيته في النفوس؛ فيأتي اسم الإشارة (هذا) للسؤال عن هذا الحدث الذي لم يُعهد من الرَّسول – ρ– "فقال سعد: ما هذا؟ "إنما قال ذلك لأنه استغرب ذلك منه لأنه مخالف ما عهده منه من مقاومة المصيبة بالصبر"[1]، ويتكرر الإخبار عن هذا الحدث باسم الإشارة (هذه)؛ ليوضح أنها " دمعة تراها من حزن القلب بغير تعمد ولا استدعاء لا مؤاخذة عليها رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده"[2]، وفي ذلك مزيد من عمق التَّناسب بين توظيف هذه الأسماء والدِّلالات المنبثقة عنها التي تمنح صورة الحدث مزيدًا من الوضوح والقوة والتَّقرير.

وقد يوظف اسم الإشارة الدَّال على البعد إلى معنى يحمل في طياته تحقير الفعل، ومن ذلك: تحقير الشَّيطان وأفعاله، ومن ذلك: **عَن أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ– قَالَ: "وكَّلَنِي رَسُولُ الله – ρ – بِحِفْظِ زَكاةِ رَمَضانَ، فأتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعامِ فأَخَذْتُهُ، وقُلْتُ: وَالله لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رسُولِ الله –ρ–، قَالَ: إِنِّي مُحْتاجٌ وعَلَيَّ عِيالٌ ولِي حاجَةٌ شَدِيدةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْت عَنْهُ فأصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبيُّ –ρ– : "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فعَلَ أَسِيرُكَ البارحَةَ"؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله شَكا حاجَةً شَدِيدَةً وَعِيالاً فَرَحِمْتَهُ فخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: " أما إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وسَيَعُودُ" فعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ؛ لِقَوْلِ رَسُول الله–ρ– أَنَّهُ سَيَعُودُ، فرَصَدْتُهُ...، فَقَالَ النبيُّ –ρ– : أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وهْوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ:"ذَاكَ شَيْطَانٌ"[3].**

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج21، ص 218.

[2]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج10، 402.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوكالة: باب إذا وكل رجل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز، م2، ص140.

جاء اسم الإشارة (ذاك) في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف بعد مراوغة الشيطان لأبي هريرة – رضي الله عنه– بأن يأخذ من الطعام لإطعام عياله، وقد جاء في غاية التَّناسب مع مقامه لأفادته دلالة التحقير؛ فـ "كان من الظاهر أن يقال شيطانًا بالنصب؛ لأن السؤال في قوله من تخاطب عن المفعول، فعدل إلى الجملة الاسمية، وشخصه باسم الإشارة لمزيد التعيين ودوام الاحتراز عن كيده ومكره" [1]، وهذه الصفات تبرز صفة تحقير الشيطان وأفعاله.

وجاء في سياق التَّحقير – أيضًا–: **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِي الله تَعَالَى عنهُ– أَنَّ رسولَ الله** –ρ– قَالَ: "**هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – بِسَارَةَ، فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ – أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ: دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: أُخْتِي. ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: لاَ تُكَذِّبِي حَدِيثِي، فَإِنِّي أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكِ أُخْتِي، وَاللَّهِ إِنْ عَلَى الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلاَّ عَلَى زَوْجِي فَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ –قَالَ الأَعْرَجُ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ– قَالَتِ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ يُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ. فَأُرْسِلَ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَقَامَتْ تَوَضَّأُ تُصَلِّي وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي، إِلاَّ عَلَى زَوْجِي فَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا الْكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ – فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلاَّ شَيْطَانًا، ارْجِعُوهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَعْطُوهَا آجَرَ، فَرَجَعَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ –، فَقَالَتْ: أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ كَبَتَ الْكَافِرَ"[2].

---

[1]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج4، ص165.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع: باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، م2، ص 112.

وظف اسم الإشارة (هذا) في متن هذا الحديث النَّبوي الشَّريف، وفيه قدر كبير من قوة الحكم والصدق التام بأن هذا الملك الجبار الظالم يتعرض لزوجة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– ، ويتبين من إبراز اسم الإشارة دلالة مقتضاها تحقير فعل هذا الكافر المتعال بجبروته على سارة زوجة سيدنا إبراهيم؛ فاسم الإشارة (هذا) مع تمييزه إلا إنه مثل دلالة أسلوبية أخرى، وهي التحقير.

وثمة غرض تناسبي يظهر دقة التَّناسب بين توظيف اسم الإشارة والسِّياق المقامي للحديث النَّبوي يتجلى في دلالة التعظيم[1]؛ ومثال ذلك: **عَن أبي هُرَيْرَة – رَضِي الله عَنهُ– أَن النَّبِيَّ – ρ– قَالَ: " صَلَاةٌ في مَسْجِدِي هَذَا خَيرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فيما سِوَاهُ إِلَّا المَسْجِدَ الْحَرَامَ"** [2].

ورد هذا الحديث النَّبوي الشَّريف في سياق فضل الصَّلاة في مسجد الرَّسول –ρ–، وزيادة أجرها ومضاعفة ثوابها، وقد سبق هذا الحديث الشَّريف حديث نبوي آخر يوضح أن الرَّسول –ρ– فضل أن تشد الرِّحال إلى ثلاثة مساجد، لما رواه أبو هريرةُ – رَضِيَ اللهُ عنه– أنَّ النَّبيَّ–ρ– قَالَ: " **لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ – ρ– وَمَسْجِدِ الأَقْصَى**"[3]، إذ بين هذا الحديث النّبوي " فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها؛ لكونها مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسّلام؛ لأن المسجد الحرام قبلة الناس وإليه حجهم، ومسجد الرَّسول أسس على التقوى، والمسجد الأقصى كان قبلة الأمم السالفة"[4].

---

[1]– ومن شواهده: المصدر نفسه، كتاب الآذان: باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، م1، ص 200.

[2] – المصدر نفسه، كتاب الصلاة: باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، م1، ص 304.

[3] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة: باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، م1، ص 304

[4] – العسقلاني: فتح الباري لشرح صحيح البخاري، ج 3، ص 65.

وأما الحديث النّبوي الأول فقد جاء مبينًا فضل مسجد الرَّسول- ρ-، وقد وظف اسم الإشارة (هذا)؛ ليدل على أن " تضعيف الصَّلاة في مسجد المدينة يختص بمسجده عليه الصلاة والسلام الذي كان في زمانه مسجدًا دون ما أحدث فيه بعده من الزِّيادة في زمن الخلفاء الرَّاشدين وبعدهم"[1]؛ فـ " الصَّلاة في المسجد النَّبوي، وفي أي بقعة منه على مر العصور، مهما كبر واتسع أفضل وأكثر ثوابًا من الصلاة في غيره ألف مرة"[2].

وقد مثل توظيف اسم الإشارة (هذا) لمحة تناسبية انسجمت وسياق الحديث النّبوي الشَّريف؛ للدِّلالة على معنى التعظيم والتبجيل الذي يرقى بمكانة هذا المسجد.

خلاصة ما تقدم حقق توظيف أسماء الإشارة في النَّماذج المتناولة مقاصد تناسبية ودواعي بلاغية في الإشارة إلى المعاني المنوطة من الأحاديث الشَّريفة التي من شأنها أن تعظم كتاب الله وتحقر فعل الشيطان، وتميز المشار إليه وتبرزه؛ بهدف تثبيته في النفوس.

[1] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 7، ص 256.

[2] – قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج 2، ص 346.

**التَّناسب في التَّعريف بـ (أل):**

يبرز هذا الأسلوب في أحاديث صحيح البخاري حاملًا في طياته نكتات بلاغية تناسبية، تشف عن دلالات دقيقة ومعان جليلة ترد تبعًا للسِّياق النَّظمي للحديث النَّبوي الشَّريف، ويقسم هذا النوع من التعريف إلى قسمين: "إما للعهد، وإما للجنس" [1]، والمقصود بلام العهد: " اللام الدّاخلة على أمر يشعر بمعرفة السامع له؛ لتقدمه في الذكر صراحة، أو كناية" [2]، فالعهد الصريح يقصد به: "أن يتقدم ذكر المعرف صراحة"[3]؛ كما يقصد بالعهد الكنائي: " أن لا يتقدم للمعروف بـ ( أل) ذكر صريح، وإنما يتقدم ما يدل عليه كناية" [4]، وقد يكون التعريف بـ (أل) تعريفًا حضوريًا أي: " قد لا يسبق للمعرف بـ ( أل) ذكر ألبتة؛ لا صراحة ولا كناية، ولكنك تدرك المقصود من نطق المتكلم". [5]

ومن شواهد ( أل) الداخلة على العهد[6]: **عَن سالِمِ بنِ عبدِ اللَّهِ عَنْ أبِيهِ، أنّ رسولَ اللَّهِ –ρ– مَرَّ عَلى رَجُلٍ مِنَ الأنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أخاهُ فِي الْحيَاء فقالَ رَسُولُ اللَّهِ –ρ–: "دَعْهُ فَإن الْحَياءَ مِنَ الْإيمَان"**[7].

---

[1]– عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، ص 324، وينظر:ابن هشام ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ( ت 761هـ)، معني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط6، ت. د. مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، 1985، ج1، ص72.

[2]– المصدر نفسه.

[3]– المصدر نفسه.

[4]– المصدر نفسه.

[5]– المصدر نفسه، ص 326.

[6]– ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان: باب الدين يسر، م1، ص 18.

– المصدر نفسه، كتاب الإيمان: باب كفران العشير وكفر دون كفر، م1، ص 16.

– المصدر نفسه، كتاب مواقيت الصلاة: باب الإبراد بالظهر في شدة الحر، م1، ص 146.

[7] – المصدر نفسه، كتاب الإيمان: باب الحياء من الإيمان، م1، ص14.

يُوصي هذا الحديث النَّبوي الشَّريف بخلق الحياء الذي يجب على المسلم أن يتخلق به، فيحمله على فعل ما يُجمل نفسه ويزينها، ويترك ما يشينه، ولعل موطن التَّناسب ظاهر في لفظة (الأنصار) المعرفة بلام العهد؛ فهم الذين آمنوا بالله وبرسوله، ونصروه دينه، وقدموا للمهاجرين ما يحتاجونه من مسكن ومشرب وملبس، فضرب فيهم المثل في التَّضحية ونصرة الدِّين الإسلامي، فناسب تعريف لفظة (الأنصار) بلام العهد التي تدل على معرفة السَّامع بالأنصار وصفاتهم.

ومن جماليات التَّناسب في هذا التعريف– أيضًا–: عَن أنسِ بنِ مالكٍ، قَالَ: " **بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبيِّ –ρ– فِي المَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ على جَمَلٍ، فأَنَاخَهُ فِي المَسْجِدِ ثمَّ عَقَلَهُ، ثمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ والنبيُّ –ρ – متكئٌ بَيْنَ ظَهْرانَيْهِمْ، فقُلْنا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ المتكئُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: ابنَ عبدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ –ρ– : (قَدْ أَجَبْتُك)، فَقَالَ الرَّجُلُ للنَّبيِّ –ρ–: إنّي سائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي المَسْأَلَةِ، فَلاَ تَجِدُ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ: (سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ)، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَن قَبْلَكَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى الناسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ نَعَمْ)، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِالله، آللَّهُ أَمَرَكَ أَن نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ فِي اليَوْمِ واللَّيْلَةِ؟ قَالَ: (اللَّهُمَّ نَعَم)، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِالله، آللَّهُ أَمَرَكَ أَن نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: (اللَّهُمَّ نَعَمْ)....**" [1].

أفاد التَّعريف في لفظتي (المسجد والشَّهر) العهد الحضوري؛ أي " المسجد الذي هو فيه"[2]؛ فكان الرَّسول –ρ–يجتمع مع أصحابه للتشاور في أمور الدِّين الإسلامي. وقد قصد بالشهر

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضل العلم: باب القراءة والعرض على المحدث، م1، ص 27.

[2] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 3، ص 53.

شهر رمضان المبارك، وعلى هذا؛ فإن اللام الداخلة عليه هي لام العهد الحضوري؛ أي " شهر رمضان من السنة، أي: من كل سنة؛ إذ اللام للعهد" [1].

وأما (أل) الجنسية فقد وردت في أحاديث رسول الله –ρ–، ومن مقاصدها الأسلوبية: استغراق الجنس؛ أي " استغراق الأفراد وهي التي تخلفها كل حقيقة"[2]، مثال ذلك: **عَن المُغِيرَةَ بن شُعبَةَ، إنَّ النبيَّ –ρ– كانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ: " لَا إلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وَهْوَ علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أعْطَيْتَ ولاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ "[3].**

دل هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على مشروعية الدُّعاء بهذا الذِّكر دبر كل صلاة؛ لأن الله –عز وجل– هو المعطي والمانع؛ فلا ينفع الإنسان إلا عمله الصالح، وقد سبق هذا الحديث النَّبوي أحاديث نبوية آخرى تتضمن أدعية تُبين أن الرسول–ρ– كان يدعو بها ويعلمها لأصحابه؛ لما فيها من خير عظيم؛ لما قال أبو هريرة– رضي الله عنه–: **"جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ – ρ– فَقَالُوا: "ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلاَ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ: يُصَلُّونَ مَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ. قَالَ: أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ، إِلاَّ مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ: تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ**

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص 21.

[2]– ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد ( ت761هـ) : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط6، ت. د. مازن المبارك ، محمد علي حمد اللهدار الفكر، دمشق، 1985، ج1 ، ص 73.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآذان: باب الذكر بعد الصلاة، م1، ص218.

**كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ"[1]، وعنِ ابنِ عَبَّاسٍ – رَضِي الله تَعَالَى عَنْهُمَا–، قَالَ: " كُنْتُ أَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلاَةِ النَّبِيِّ – ρ– بِالتَّكْبِيرِ"[2].**

وقد جاء التَّناسب في الحديث النَّبوي الأول في التعريف بـ ( أل) في اللفظة النّبوية ( الحمد)؛ لتكون من عداد جنس الحامدين لله، وتشمل " جميع حمد أهل السماوات والأرض، وجميع أصناف المحامد التي بالأعيان والأعراض" [3]، وفي هذا تعظيم لله – عز وجل–، وإثبات الحمد الكامل له؛ فهو المستحق بالمدح الكامل؛ لأنه هو " مالك الملك كله استحق أن تكون جميع المحامد له دون غيره، فلا يجوز أن يحمد غيره" [4].

ومن المواطن التي تؤدي الدِّلالة نفسها[5]: **عَن أَبِي هُرَيْرَةَ: أَن رَسُولَ اللهِ–ρ– قَالَ: "إِذَا أَمَّنَ الإِمامُ فأَمِّنُوا، فإِنَّهُ منْ وافَقَ تأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"[6].**

يدل هذا الحديث النَّبوي الشَّريف على فضل التَّأمين للإمام والمأموم في الصَّلاة، بأن من وافق تأمينه تأمين الإمام غفر له ذنبه، وقد أُردف هذا الحديث الشَّريف بأحاديث نبوية أخرى تؤكد مشروعية جهر الإمام بالتأمين، وبيان فضله؛ **فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ– رضي الله عنه– عَن النَّبِيِّ –ρ– : قَالَ " إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، وَقَالَتْ الْمَلاِئكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ، فَوَافَقَتْ**

---

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآذان: باب الذكر بعد الصلاة، م1، ص218.

[2] – المصدر نفسه.

[3]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج6، ص 134.

[4]– المصدر نفسه.

[5]– ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب سجود المسلمين مع المشركين، م1، ص 275.

– المصدر نفسه، كتاب الاعتكاف: باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، م2، ص 70.

[6]– المصدر نفسه، كتاب الآذان: باب جهر الإمام بالتأمين، م1، ص 203.

**إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"**[1]، وما روى أبو هريرة– رضي الله عنه– أيضًا: **"إِذَا قَالَ الإِمامُ: (غيرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) فَقُولُوا: آمِينَ؛ فَإِنَّهُ مَنْ وافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"**[2].

وقد جاء التَّعريف بـ (أل) في لفظة (الملائكة)؛ لغرض تناسبي إبداعي؛ لإرادة كل فرد من أفراد الملائكة؛ فهم " جميع الملائكة، بدليل عموم اللفظ؛ لأن الجمع المحلى باللام يفيد الاستغراق بأن يقولها الحاضرون من الحفظة ومن فوقهم حتى ينتهي إلى الملأ الأعلى، وأهل السماوات"[3] .

ومهما يكن من أمر فقد مثل التَّعريف بإضافة (أل) أبعادًا دلالية مترامية الأهداف، ومنهجًا بيانيًا كاشفًا عن الفائدة التناسبية التي اكتسبها التَّعريف بإضافة ( أل) وسياق الحديث النَّبوي الشَّريف.

## المطلب الثَّالث: الحذف ودلالاته التَّناسبية:

إنَّ الأصل في اللغة العربية أن تذكر الجملة بكامل أركانها – ولكن قد تسقط بعض الكلمات لما يدل عليها كلمات أخر، أو ما يهدي إليه مقام الجمل وسياقها، وهذا ما يسمى بـ " الحذف" الذي يعد من الأساليب البلاغية الذي يرقى ببناء الجملة، ويكسبها تكثيفًا في

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب فضل التأمين، م1، ص 203.

[2] – المصدر نفسه، كتاب الآذان، باب جهر المأموم بالتأمين، م1، ص203.

[3] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج6، ص49.

الدِّلالـة والقوة، ويكـون فيهـا الكـلام أقوى وأبلـغ ، ويـؤدي مـن الـدِّلالات المرجوة مـا لا يحققه الإطالة والتفصيل.

والحذف لغة: "الإسقاط ومنه حذفت الشعر إذا أخذت منه" [1]، أما اصطلاحًا؛ فهو "إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل" [2].

وقد عده ابن جني " من شجاعة العربية"[3]؛ فيقول: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته" [4] .

وأما صاحب الكتاب فقد قال فيه: "اعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطًا" [5]، وثمة مواطن يحسن فيها الحذف في الجملة عندما توجد فيها القرائن التي تدل على المحذوف " إنما يحسن الحذف ما لم شكل به المعنى لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء فيكون في تعدادها طول وسآمة فيحذف ويكتفي بدلالة الحال عليه، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها على الحال"[6] . ولأسلوب الحذف قيمة أسلوبية تسمو به الجملة، ويشتد نظمها، ويقوي حبكها، وقد بدأ الجرجاني باب الحذف بقوله: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك

---

[1]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 102، وينظر: الحموي ، ابن حجة ، تقي الدين أبو بكر ( ت 837هـ): خزانة الأدب وغاية الأرب، د.ط، ت. عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، 2004م، ج2، ص448.

[2]- المصدر نفسه.

[3]- ابن جني: الخصائص، ج2، ص 362.

[4]- المصدر نفسه.

[5]- سيبويه: الكتاب، ج1، ص 24- 25.

[6]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 105- 106.

ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن "[1]، فمثلت ظاهرة الحذف في الأحاديث النبوية ظاهرة تناسبية تشوق النفس لمعرفة المحذوف، وتكسب النص إثراء في الدِّلالات التَّناسبية المتولدة من ظاهرة الحذف وتقدير المحذوف؛ "ليستوضح ويتبين ويكشف الأسرار والمعاني وراء الإيحاءات والرُّموز، وحين يدرك مراده، ويقع على طلبته من المعنى يكون ذلك أمكن في نفسه وأملك لها من المعاني التي يجدها مبذولة في حاق اللفظ" [2].

بناء على هذا، فإن هذا المبحث سيتناول دراسة الأنماط المتعلقة بالحذف المتمثلة بـ : حذف المسند إليه (المبتدأ والفاعل)، وحذف المسند (الخبر)، وحذف المفعول به، و حذف الحرف.

**التناسب في حذف المسند إليه ( المبتدأ) :**

المسند إليه هو "أحد ركني الجملة، بل هو الرُّكن الأعظم؛ لأنه عبارة عن الذَّات، والمسند كالوصف له، والذات أقوى في الثُّبوت من الوصف"[3]، ومع هذه القيمة إلاَّ إنه يحسن حذفه[4]؛ للتعبير عن الدَّواعي والأغراض البلاغية التي يقتضيها السَّياق، ومن هذه الأغراض: " الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، يعنى بقوله في الظاهر أن ذكره يكون في الظاهر

---

[1]- الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ج1، ص146.

[2]- أبو موسى: خصائص التراكيب، ص 154.

[3]- عتيق، عبد العزيز ( ت 1396 ه): علم المعاني، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2009م، ج1، ص 122.

[4]- المصدر نفسه، ص122 وما بعدها.

عبثًا لإغناء القرينة عنه"[1]، مثال ذلك: **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَن رسولَ اللَّهِ –ρ– سُئِلَ أيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: "إيمانٌ باللَّهِ وَرَسُولِهِ"، قِيلَ: ثُمَّ مَاذا قالَ؟"الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، قِيل ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ"** [2].

يدل هذا الحديث النَّبوي الشّريف على أن الإيمان بالله قول وفعل هو من أفضل الأعمال، ثم يأتي الجهاد في سبيل الله مقدمًا على الحج؛ " للاحتياج إليه أول الإسلام، ومحاربة الأعداء؛ فيكون الجهاد أفضل من سائر الأعمال عند استيلاء الكفار على بلاد المسلمين"[3]. وما يعضد هذا المعنى في فضل الجهاد، ومقاتلة المرتدين عن الإسلام ما رواه أنس بن مالك عن رسول الله– ρ – في الحديث النَّبوي الذي يسبقه؛ إذ قال رسول الله – ρ –: " **أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ الله وأنّ مُحمَّدًا رسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَ هُمْ وأمْوالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّ الإسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ"** [4].

ولعل موطن التَّناسب النَّبوي ظاهر في هذا الحديث الشَّريف الذي يتمثل في حذف المبتدأ ثلاث مرات، وقد تمثل ذلك في قول رسول الله – ρ–: (إيمان بالله، والجهاد في سبيل الله، وحج مبرور) وتقدير المحذوف (المسند إليه) : "هو إيمان بالله، والتقدير: أفضل الأعمال

---

[1]– السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي ( ت 773 ه): عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ط 1، ت. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 2003 م، ج1، ص165. وينظر: القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة، ج2، ص4–5، و الهاشمي: جواهر البلاغة، ج1، ص103.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان: باب من قال: إن الإيمان هو العمل لقول الله تعالى: **(وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)**، م1، ص15.

[3] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 1، ص 189.

[4] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان: باب **(فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وآتُوا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ)**، م1، ص 14.

الإيمان بالله، أي: هو الجهاد، والتقدير: أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله الجهاد" [1]، وتقدير المحذوف في حج مبرور، أي: هو حج مبرور، وهو أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله والجهاد في سبيله.

وتكمن اللمحة الجمالية التَّناسبية من وراء حذف المسند إليه "كونه معلومًا إحترازًا عن العبث"[2]، أي أن التصريح بذكر المسند إليه في السياق النَّبوي الذي يدل عليه يثقل الأسلوب، ولا يكسبه فائدة، وهذا ما انسجم مع سياق الحديث النَّبوي.

وقد يأتي حذف المسند إليه محققًا دلالة مفادها " عدم الفائدة من ذكر المسند إليه "[3]، ويكثر مثل هذا الحذف "إذا وقع بعد القول وما اشتق منه"[4]، مثال ذلك: **عَنْ أَسْمَاءَ بنتِ أَبِي بكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَتْ: أَتيْتُ عائِشَةَ وَهْيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا شأْنُ النَّاسِ؟ فَأشارَتْ إلَى السَّماءِ فَإذَا النَّاسُ قِيامٌ، فقالَتْ: سُبْحانَ الله! قُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأشارَتْ عَائِشَةَ بِرَأْسِها أيْ: نَعَمْ، فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلاَّنِي الغَشْيُ، فَجَعَلْتُ أصُبُّ على رأسِي الْمَاءَ، فَحَمِدَ اللهَ النَّبِيُّ - ρ- وأثْنَى عَلَيْهِ ثمَّ قَالَ: مَا مِنْ شَيءٍ لَمْ أكنْ أرِيتُهُ إلَّا رَأيْتُهُ في مَقَامِي هَذَا، حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فأوْحَى اللهُ إليَّ أنكُمْ تُفْتَنُونَ في قُبُورِكُمْ مِثْلَ أوْ قَرِيباً مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّال..."**[5].

ينوه هذا الحديث النَّبوي الشَّريف إلى كثرة الفتن بين المسلمين وانتشار القتل، وذلك عندما يموت العلماء، فيكثر الجهل والجاهلين، وقد أكدت هذه الدِّلالة الحديث النَّبوي الشَّريف الذي سبق الحديث المتناول؛ **فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ - ρ- قَالَ: " يُقْبَضُ**

---

[1]- العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج1، ص 188.

[2]- المصدر نفسه.

[3]- عباس، فضل حسن: البلاغة فنونها وأفنانها، ص 274.

[4]- المصدر نفسه.

[5]- البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم: باب من أجاب الفتيا باشارة اليد والرأس، م1، ص34.

**العِلْمُ وَيَظْهَرُ الجَهْلُ والفِتَنُ وَيَكْثُرُ الهَرْجُ" قِيلَ: يَا رَسُول الله، ومَا الهَرْجُ؟ فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَها كأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ"[1] .**

وقد تناسب حذف (المسند إليه) في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف بعد القول: ( قلت آية)؛ ف "آية خبر لمبتدأ محذوف، تقديره:(هي آية): أي علامة لعذاب الناس" [2]، كما أن حذفه مثل ظاهرة بلاغية تناسبت مع الموقف العظيم الذي يصفه رسول الله – ρ– من رؤيته الجنة والنار، وفتنة الناس بالمسيح الدجال؛ فمن كان مؤمنًا يشهد أن محمدًا رسول الله، ومن كان كافرًا فلا يجد ما يقول، فهذا الموقف تحتشد فيه النُّفوس وتهتز له المشاعر؛ فيكون الإنسان مترقبًا لما سيحدث عاجلًا لما هو آت، وهذه الحالة توجب أن يحذف المسند إليه؛ ليسلط الضوء على بؤرة الحديث النَّبوي الشَّريف، والتَّعبير عما هو مقصود .

ومن المواطن التي يحذف فيها (المسند إليه) مقامات إنشاء المدح أو الذم أو التَّرحم؛ "فالمسند إليه إذا كان مبتدأ يترجح حذفه إذا قصد به إنشاء المدح أو الذَّم أو التَّرحم، وكان في الكلام قرينة تدل عليه" [3]، مثال هذا: **عنْ أَنَسٍ –رَضِي الله تَعَالَى عنهُ– قَالَ مُرَّ علَى النَّبِيِّ –ρ– بِجَنَازَةٍ فأثْنُوا علَيْها خَيْراً، فَقَالَ: " وجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى فأثْنُوا علَيْها شَرًّا أوْ قالَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقِيلَ: يَا رسولَ الله، قُلْتَ لِهَذَا وجَبَتْ ولِهَذَا وجبَتْ؟ قَالَ: شَهَادَةُ الْقَوْمِ المُؤْمِنُونَ، شُهَدَاءُ الله فِي الأَرْضِ" [4].**

---

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم: باب من أجاب الفتيا باشارة اليد والرأس، م1، ص33.

[2] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 2، ص95.

[3]– عتيق، عبد العزيز: علم المعاني، ج1، ص125، وينظر: عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، ص 272.

[4]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشهادات: باب تعديل كم يجوز، م2، ص 232.

أجاز الرسول –ρ– في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف "جواز الثناء على الميت المسلم بما يعلم عنه من الصلاح والخير، وحسن السلوك في حياته، وأن من أثنى عليه اثنان فصاعدًا بالاستقامة على الأعمال الصالحة في دنياه، فإنه يرجى له الخير في الدَّار الآخرة، كما يرجى له الفوز بالجنة والنَّجاة من النَّار" [1].

وقد ناسب حذف (المسند إليه) في قوله: (شهداء الله في الأرض)، وتقديره: هم شهداء الله في الأرض، سياق المدح الذي ورد فيه وصف المؤمنين بأنهم شهداء الله في الأرض، وهم "المخاطبون بذلك من الصحابة، ومن كان على صفتهم من الإيمان. فالمعتبر شهادة أهل الفضل والصدق، لا الفسقة. لأنهم قد يثنون على من كان مثلهم، ولا من بينه وبين الميت عداوة، لأن شهادة العدو لا تقبل" [2]، فجاء التناسب بين حذف المبتدأ في سياق المدح من أبرز وجوه التّناسب النَّبوي وتناسقه.

**ومن صور الحذف: حذف (المسند إليه) الفاعل**؛ الذي يحذف لأغراض أسلوبية وبيانية تناسب السَّياق الذي ورد فيه، ومن ذلك: **أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ – رَضِيَ الله تَعَالَى عنهُ–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** –ρ–: "**أُمِرتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقولوا لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ، فإِذَا قَالُوها وصَلَّوْا صَلاَتَنا واسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنا دِماؤُهُمْ وأَمْوالُهُمْ إِلاَّ بِحَقِّها وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**" [3].

ورد هذا الحديث النَّبوي الشَّريف في سياق الحديث عن فضل القبلة وتعظيم شأنها، إذ يعد استقبالها شرطًا من شروط الصلاة؛ " فالصلاة أعظم قربات الدين، ومن ترك القبلة متعمدًا، فلا

---

[1]– قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج2، ص 402.

[2]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج2، ص 458.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال الكعبة، م1، ص 113.

صلاة له"[1]، كما أن هذا الحديث النَّبوي الشَّريف يقر بوجوب قتال المنكرين لله عز وجل، ولنبوة رسوله –ρ– ؛ فدعاهم الرَّسول– ρ – إلى الإقرار بالله وبالوحدانية؛ فمن آمن بالله وصدق بما جاء به رسول الله–ρ– حُرم دمه وماله، فيرد أمره وحسابه إلى الله، ولا يقطع عليه بكفر.

وقد سبق هذا الحديث النَّبوي الشَّريف حديث نبويّ آخر، يوضح أن المسلم إذا قام بصلاته، واستقبل قبلته، وأكل من ذبائح المسلمين، فهو في ذمة الله ورسوله–ρ–؛ فعن أنسِ بنِ مالكٍ قَالَ، قالَ رَسُولُ اللهِ –ρ–: **مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وأَكَلَ ذَبيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ"**[2]، كما جاء بعده –أيضًا– حديث نبوي آخر يحمل المعنى نفسه ويؤكده؛ **سَأَلَ مَيْمُونُ بْنُ سِيَاهٍ أَنَسَ بْنَ مالِكٍ، قَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، مَا يُحَرِّمُ دَمَ الْعَبْدِ ومالَهُ؟ : " مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَصَلَّى صَلاَتَنا وأَكَلَ ذَبِيحَتَنا فَهُوَ الْمُسْلِمُ، لهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وعلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ"**[3].

وقد مثل حذف الفاعل في قوله: ( أُمرت) مقصدًا تناسبيًا؛ ليناسب مقام التبجيل والتعظيم لله تعالى؛ أي أنه طوى ذكر الفاعل " لشهرته وتعظيمه"[4]، فإن الخالق تبارك وتعالى هو الآمر والناهي، وهذه الحقيقة لا يماري فيها عاقل.

ومن الأمثلة على هذا الضَّرب: **عَنْ حَكِيمَ بنَ حِزَامٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنهُ– قَالَ: سألْتُ رَسُولَ اللهِ –ρ– فأعْطَانِي، ثُمَّ سألْتُهُ فَأعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ لي: يَا حَكِيمُ، إِن هَذَا المَالَ خَضِرٌ**

---

[1] – ابن بطال: شرح صحيح البخاري، ج2، ص 53.

[2] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال الكعبة، م1، ص 113.

[3] – المصدر نفسه.

[4] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج4، ص 126.

**حُلْوٌ فَمَن أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَن أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفسٍ لَم يُبَارِك لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَد الْعُلْيَا خَيرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلى"[1].**

يطوي هذا الحديث النَّبوي الشَّريف معاني جليلة عظيمة تحث على التعفف في السؤال والقناعة، وأخذ المال عن طيب خاطر وسماحة نفس؛ ليبارك الله – تبارك وتعالى – فيه، كما أن الله – عز وجل– فضل اليد العفيفة العليا على اليد السَّائلة الذَّليلة التي لم تصن نفسها عن ذل السؤال.

وأما موطن التَّناسب في هذا الحديث الشَّريف؛ فيتمثل في حذف الفاعل في قوله: **(بُورِكَ لَهُ فِيهِ، و لَم يُبَارِك لَهُ فِيهِ)**؛ إذ إن الفاعل هو الله عز وجل، وقد حذف لشهرته وتعظيمه؛ فـ "البركة هي خلق من خلق الله تعالى"[2].

ومن قبيل حذف (الفاعل) لدلالة تناسبية مقتضاها **العلم بالفاعل**، الذي ورد في أكثر من موضع[3]، ومنه: **عَنْ عَائِشَةَ وابْنِ عَبَّاس – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ– قَالَا: " لَمَّا نَزَلَ برَسُولِ اللهِ–ρ – طَفِقَ يَطْرَحُ خَميصَةً لَهُ عَلَى وَجهِهِ، فَإِذا اغتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَن وَجهِهِ، فَقَالَ: وَهُوَ كَذَلِك "لَعنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائهمْ مَسَاجِدَ " [4].**

---

[1] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الخمس، بال ما كان النبي –ρ– يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، م2، ص 379.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج9، ص53.

[3]– ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة: باب إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم، وكان في ذلك صلاح لهم، م2، ص 147.

[4]– المصدر نفسه، كتاب الصلاة: باب ، م1، ص 122.

حرَّم الرَّسول – ρ – في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف بناء المساجد فوق القبور[1]، وقد تطلب السَّياق النَّظمي لهذا الحديث النَّبوي الشَّريف حذف (المسند إليه) الفاعل، وهو (الموت)؛ "لأن الفاعل معلوم للمخاطب فلا داعي إلى ذكره"[2]، وهذا ما يمثل أروع غايات التَّناسب وأدقه مع مقام الحديث النَّبوي وسياقه.

أما التَّناسب في حذف المسند (الخبر)؛ فيحذف لأغراض بيانية، وأهداف بلاغية، تناسب السَّياق والمقام النَّظمي الذي ورد فيه، ومن هذه الأهداف: "أن لا يكون في ذكر المسند فائدة؛ بل يمكن الاستغناء عنه كأن يكون جوابًا عن سؤال" [3]؛ نحو ذلك: **عنْ رِفَاعَةَ بنِ رَافِعٍ الزُّرَقِي قَالَ: " كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ –ρ–، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، قَالَ: سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ، قالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قالَ: مَن المُتَكَلِّمُ؟ قَالَ: أَنا، قَالَ: رَأَيْتُ بِضْعَةً وثَلاَثِينَ ملَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ"[4]**.

يأتي هذا الحديث النَّبوي الشَّريف في سياق ثناء المأموم على الله – عز وجل–؛ فيشرع له بالزِّيادة في التَّحميد والثَّناء عليه، وقد سبق هذا الحديث الشريف حديث نبوي آخر يوضح أن أبا هريرة – رضي الله عنه– كان يقنت في الرَّكعة الأخيرة من صلاة الصبح والظهر والعشاء، ويقول: " **سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ، فَيَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَلْعَنُ الكُفَّارَ**"[5]؛ فـ "الصلاة التي فيها القنوت قد ذكر فيها التَّسميع والتَّحميد معًا، ويدل ذكر التَّحميد فيه على فضله؛ لأن الموضع كان موضع الدعاء، فدل هذا الحديث المختصر من الأصل على فضيلة التحميد، من حيث إنه –

---

[1] – تم تحليل هذا الحديث النبوي الشريف، والحديث النبوي الذي سبقه ص 112.

[2]– عتيق، عبد العزيز: علم المعاني، ج1، ص127.

[3]– عباس، فضل حسن: البلاغة فنونها وأفنانها، ص 279.

[4]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب ، م1، ص 207.

[5] – المصدر نفسه.

ρ- بينهما في الدعاء، والذي يدل على الفضل في الأصل صريحًا يدل على المختصر منه دلالة"[1] .

وقد حذف الخبر في قوله (أنا) وتقديره: أنا المتكلم، وناسب حذفه السَّياق النَّظمي للحديث النَّبوي الشَّريف؛ لأنه لا داعي لذكره؛ ففي هذا الحذف " احتراز من العبث بعدم ذكر ما لا ضرورة لذكره، وهذا من شأنه أن يكسب الأسلوب قوة، ويضفي عليه جمالًا" [2].

وقد يكون حذف المسند " مظهرًا لأناقة العبارة، وقوة لمح المتكلم، وحسن اقتداره" [3]، ومنه قول النبي – ρ- للرجل الذي تزوج امرأة ثيبًا؛ لتقوم على رعاية أخواته وتفقد أحوالهن: " **فهَلاَّ جارِيةً تُلاعِبُها وتُلاعِبُكَ؟، قلْتُ: إنَّ أبي تُوَفِّيَ وتَرَكَ بَناتٍ، فأرْدْتُ أنْ أنْكِحَ امرَأةً قَدْ جَرَّبَتْ خَلا مِنْها، قَالَ: "فَذَلِكَ"**[4].

إن مزية الَّتناسب في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف مرده إلى حذف المسند في قوله: (فذلك): "أي: قال رسول الله – ρ-: فذلك، وهو مبتدأ خبر محذوف؛ أي: فذلك مبارك" [5].

كما يكثر "حذف الخبر في الجملة الواقعة بعد (إذا) الفجائية، وكان الخبر المحذوف يدل على معنى عام يفهم من سياق الكلام"[6]، ومنه: **عَن سَهلِ بنِ سَعْدٍ – رَضِيَ اللهُ عَنهُ- قَالَ: بَلَغَ رَسُولُ اللهِ –ρ- أنَّ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ كَانَ بَينَهُم شَيْءٌ، فَخَرَجَ يُصلِحُ بَينَهُم فِي أُنَاسٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَحُبِسَ رَسُولُ الله – ρ – وَحَانَت الصَّلَاةُ، فجَاءَ بِلَالٌ إِلَى أَبي بَكرٍ –**

---

[1] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 6، ص 72.

[2]– عتيق، عبد العزيز :علم المعاني، ج1، ص 128.

[3]– أبو موسى: خصائص التراكيب، ص 278.

[4]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوكالة: باب إذا وكل رجل أن يعطي شيئا ولم يبين كم يعطي فأعطى على ما يتعارفه الناس، م2، ص140.

[5]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ج12، ص 140.

[6]– عتيق، عبد العزيز: علم المعاني،ج1، ص 128.

**رَضِي الله عَنْهُمَا–، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكرٍ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ – ρ– قَد حُبِسَ، وَقَد حَانَت الصَّلَاةُ فَهَل لَكَ أَن تَؤُمَّ للنَّاس قَالَ: نَعَم إِن شِئْتَ، فَأَقَامَ بِلَالٌ الصَّلَاةَ، وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكرٍ –رَضِي الله عَنهُ– فَكَبَّر لِلنَّاسِ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ – ρ– يَمشي فِي الصُّفُوف يَشُقُّهَا شَقّا، حَتَّى قَامَ فِي الصَّفّ، فَأَخَذَ النَّاسُ فِي التَّصفِيحِ، قَالَ سَهلٌ: التَّصفِيحُ هُوَ: التَّصفِيق، قَالَ: وَكَانَ أَبُو بَكرٍ رَضِي الله عَنهُ لَا يلْتَفتُ فِي صَلَاتِه، فَلَمَّا أَكثَرَ النَّاسُ الْتَفَتَ فَإِذا رَسُولُ اللهِ – ρ – فَأَشَارَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ أَن يُصَلِّيَ، فَرَفَعَ أَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عِنْه يَدَهُ، فَحَمِدَ اللهَ...." [1].**

يرجع مزية حذف الخبر في هذا الموضع إلى قوة الدِّلالة المنبثقة من (إذا) الفجائية؛ فالخبر المحذوف تقديره (قادم أو آت)، وهو معنى عام يفهم من سياق الكلام؛ لذا يتناسب حذف الخبر بعد إذا الفجائية لدلالة سياق الحديث النّبوي عليه.

**التَّناسب في حذف المفعول به:**

شكل حذف المفعول به في الأحاديث النَّبوية الشريفة غرضًا تناسبيًا وملحمًا بيانيًا في النَّظم النَّبوي، فكان له أثر واضح وبارز في إثرائه بالمعاني الجليلة، والدلالات الإيحائية، التي تستنتج بتدبر السِّياق، يقول الجرجاني في حذف المفعول به: "فإن الحاجة إليه أمس، وهو بما نحن بصدده أخص واللطائف كأنها فيه أكثر، ومما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر"[2]، وأولى الدلالات التي تؤدي إلى تحقيق التَّماسك بين نظم الحديث النَّبوي والمقصد التَّناسبي الذي يؤديه حذف المفعول به تتمثل في: "توجيه النُّفوس لإثبات

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب العمل في الصلاة: باب رفع الأيدي في الصلاة لأمر نزل به، م1، ص 311.

[2]– الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ج1، ص153.

الفعل للفاعل، وعدم الانشغال بالمفعول"[1]؛ لأن "أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين، من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين"[2]، و مثال هذا: **عَنْ ابْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ρ –: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمسٍ: شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ"** [3].

يعد هذا الحديث النَّبوي الشَّريف قاعدة أساسية من قواعد الإسلام؛ لاشتماله على الرَّكائز المتينة التي يقوم عليها الدّين الإسلامي، وأول هذه الأركان: الشهادتان؛ فيجب على المؤمن أن يعترف ويقر بوجود الله – عز وجل–، " فلا بد في الشهادتيْن من العلم واليقين، والعمل بمدلولهما، أما النطق بها من غير معرفة لمعناها، ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك، وإخلاص القول والعمل، وقول القلب واللسان وعمل القلب واللسان؛ فغير نافع بالإجماع، فإنَّ الشهادة لا تصح إلا إذا كانت عن علم ويقين وصدق وإخلاص"[4].

وأما الرُّكن الثَّاني من أركان الإسلام؛ فهو إقامة الصلاة بكل شروطها، والمحافظة عليها في أوقاتها، وثالث هذه الأركان فهو إيتاء الزكاة لمن يستحقها، وقد جاءت آية كريمة بينت الأصناف التي تجب عليها الزكاة، إذ قال الله – عز وجل–: **(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ**

---

[1]– عباس، فضل حسن: البلاغة فنونها وأفنانها، ص 289، وينظر: الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ج1، ص 165.

[2]– الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ج1، ص 154.

[3]–البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان: باب دعاؤكم إيمانكم، م1، ص 10.

[4] – قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح صحيح البخاري، ج1، ص80.

**وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)**[1].

أما الحج فهو رابع هذه الأركان، إذ يجب على كل مسلم أن يحج ولو مرة واحدة في العمر؛ لقوله تعالى: **(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ومَنْ كَفَرَ فإنَّ الله غَنِيٌّ عنِ العَالِمِينَ)**[2].

ويعد الصوم خامس هذه الأركان، وقد بين الرَّسول –ρ– أهميته وفضائله عند الله عز وجل؛ ف: **عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنهُ، عنِ النبيِّ –ρ– قَالَ: " كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصِّيامَ فإنَّهُ لِي وأنَا أُجْزِي بِهِ"** [3].

أما موطن الشاهد في هذا الحديث النّبوي المتناول؛ فيتمثل في قول الرسول –ρ–: (إيتاء الزكاة)، وقد "حذف أحد المفعولين للعلم به؛ لأن الإيتاء متعد إلى مفعولين والتقدير إيتاء الزكاة مستحقيها" [4]؛ كـ ( الفقراء، والمساكين، والعاملين على الزكاة الذين يقومون بجمعها، والمؤلفة قلوبهم؛ يأخذون من مال الزكاة تأليفًا لقلوبهم؛ للدخول في الإسلام، وفي الرّقاب؛ أي عتق المسلم من الزكاة ومساعدة المكاتبين، والغارمين: هم من تحمل حمالة، أو ضمن دينًا فلزمه فأجحف بماله، أو غرم في أداء دينه أو في معصية ثم تاب، وفي سبيل الله: هم الغزاة

[1] – سورة التوبة، آية 60.

[2] – سورة آل عمران، آية 97.

[3] – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول: إني صائم إذا شتم، م2، ص 37.

[4] – العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج1، ص 120.

الذين لا حق لهم في الديون، وابن السبيل هو المسافر لمجتاز في بلد ليس معه شيء يستعين به على سفره، فيعطى من الصدقات ما يكفيه إلى بلده، وإن كان له مال)[1] .

فحذف المفعول به في هذا الموطن له قصد بارع، وغرض تناسبي مهم في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف يتمثل في التَّركيز على وجوب إيتاء الزكاة، دون ذكر المفعول به الثاني؛ لكونه معلومًا.

وما جاء على طريقته، ليزيد من نظم الكلام حلاوة وتناسبًا: **عَنْ أبي هُرَيْرَةَ – رَضِي الله عَنهُ، أنَّ رَسُولَ اللهِ –ρ– قَالَ: "لَوْ يَعْلمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أنْ يَسْتَهِمُوا عليهِ لاستَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إلَيْهِ، ولَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا ولَوْ حَبْوًا"** [2].

يتضمن هذا الحديث النّبوي الشَّريف جملة من الفوائد التي حرص الرسول– ρ– على الحث عليها، والترغيب فيها؛ لما لها من أجر عظيم عند الله – عز وجل–؛ كفضل الآذان وثوابه، وقد سبق هذا الحديث النَّبوي حديث نبوي شريف يوضح فضل استحباب رفع الصَّوت بالآذان والجهر به؛ ليكثر من يشهد له يوم القيامة، وشاهد هذا: **عَنْ عبدِ اللهِ بن عبدِ الرحمنِ بن أبي صَعصعةَ الأَنصاريّ ثم المازني أنَّ أبا سعيدٍ الخدْري قالَ له: " إنّي أراكَ تُحِبُّ الغَنَمَ والبَادِيَةَ، فَإذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أوْ بَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بالصَّلاَةِ فارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ؛ فإنَّهُ لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤذِّنِ جِنٌّ ولاَ إنْسٌ ولاَ شَيْءٌ إلاَّ شَهِدَ لهُ يَوْمَ القِيَامَةِ"**[3].

---

[1] – ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ): تفسير القرآن العظيم، ط2، تح. سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999، ج 4، ص 166 وما بعدها.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآذان: باب الاستهام في الآذان، م1، ص 165.

[3] – البخاري: صحيح البخاري، باب رفع الصوت بالنداء، م1، ص 163.

وأما فضل الصلاة في الصّف الأول؛ فقد كان الصحابة يتنافسون ويتسابقون على هذا الأمر، حتى لو يصل الأمر إلى القرعة؛ " لأن الناس لا يقترعون إلا على أنفس الأشياء وأعظمها قدراً"[1]، ثم بين الرَّسول – ρ– فضل المبادرة إلى الصَّلاة، وعدم التهاون بها، كما حث – أيضًا– على أداء صلاتي الفجر والعشاء جماعة.

و يشكل قول رسول الله –ρ–: " **وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ** " موطن التَّناسب في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف؛ فقد حذف المفعول به للفعل (يعلم)، وتقديره "لو يعلم الناس ما في الصف الأول، وأطلق مفعول يعلم وهو كلمة ما ولم يبين الفضيلة ما هي؟"[2]؛ لمزية بلاغية تتسق مع نظم الحديث النَّبوي وسياقه في عدم بيان الفضيلة والخير والبركة التي تتحصل من الصَّلاة في الصَّف الأول بعد الإمام؛ " ليفيد ضربًا من المبالغة، وأنه مما لا يدخل تحت الوصف" [3]، وما أسهم في تعزيز هذه الدلالة العدول في التَّعبير من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع ( يعلم)؛ لـ " يفيد استمرار العلم" [4].

وقد يحذف المفعول به إذا قصد منه دلالة **التَّعميم**[5]، ومنه: **عن جَابِرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: "جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ρ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لاَ أَعقِلُ، فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ علَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ فَعَقَلْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ لِمَنِ المِيرَاثُ؟ إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلاَلَةٌ، فَنزلَتْ آيَةُ الفَرَائِضِ"** [6].

---

[1] – قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص112.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج5، ص 125.

[3]– المصدر نفسه.

[4]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج5، ص124 ، و القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج2، ص9.

[5]– ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء: باب النهي عن الاستنجاء باليمين، م1، ص 52.

– المصدر نفسه، كتاب الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، م2، ص235.

[6]– المصدر نفسه، كتاب الوضوء: باب صب النبي ρوضوءه على المغمى عليه، م1. ص 62.

إن هذا الحديث النبوي الشريف يصف حال المريض الذي أعياه المرض والهزل، وقد حذف مفعول (لا أعقل) للمحة بيانية مفادها التعميم[1]؛ أي أن أصل تركيب الجملة (لا أعقل شيئًا)؛ فيدخل تحت إطار حذف المفعول به، وتقديره: لا يفهم شيئًا مما يحدّث به .

وقد يكون حذفه "إذا كان معلومًا بدلالة الحال؛ وقد يكون المفعول مقصودًا، ولكننا لا نذكره لكونه معلومًا بدلالة الحال، أو يكون قد جرى له ذكر"[2]، مثال ذلك: **عَن عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنها– قَالَتْ: "أَتَتْهَا بَرِيرَةُ تَسْأَلُهَا فِي كِتَابَتِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتُ أَهْلَكِ وَيَكُونُ الْوَلاَءُ لِي، وَقَالَ أَهْلُهَا: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتِهَا مَا بَقِي"[3]** .

حذف المفعول الثَّاني في هذا الموضع للفعل (أعطيت) وتقديره " بقية ما عليك" [4]، وفي هذا الحذف نكتة تناسبية بالغة الدِّقة تتمثل في إظهار وجه التَّناسب بين حذفه والدِّلالة المنبثقة عنه؛ إذ إنه حذف في هذا السَّياق " لدلالة الكلام عليه"[5].

ومنه – أيضًا–: **عنْ أبي مَسْعُودٍ الأنْصارِيّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاَةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلاَنٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ –ρ– فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ"** [6].

---

[1]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج3، ص 87.

[2]– عباس، فضل حسن: البلاغة فنونها وأفنانهاعلم المعاني، ص 288 .

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة: باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، م1، ص 127.

[4]– القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج1، ص446.

[5]– المصدر نفسه.

[6]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم: باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، م1، ص 35.

يرشد هذا الحديث النّبوي الشّريف إلى ضرورة تخفيف القيام، والقراءة في الصلاة؛ مراعاة لأحوال المصلين وظروفهم[1]، وقد حذف المفعول به في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف في قوله: (فليخفف)، وتقديره: (فليخفف القراءة)؛ مراعاة لأحوال المصلين فمنهم: المريض والضعيف وذو الحاجة .

ومن الحذف – أيضًا– **حذف الحرف** الذي يطوي حذفه معاني دقيقة، وفوائد جليلة، تناسب المعنى السِّياقي للحديث النَّبوي؛ أي أنه "جاز في بعض الأحوال حذفه؛ لقوة الدلالة عليه" [2]، من ذلك: **عَنْ أبي هُرَيْرَةَ عنِ النَّبيِّ – ρ–، قَالَ: " إنَّ عِفْرِيتاً مِنَ الجنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ البَارِحَةَ أوْ كَلِمَةً نحْوَها لِيقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلاَةَ، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنهُ فَأَرَدْتُ إنْ أرْبِطَهُ إلَى سارِية مِنْ سَوَارِي المسْجدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وتَنْظُرُوا إلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكرْتُ قَوْلَ أخِي سُلَيْمَانَ: (قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لأحَدٍ مِنْ بَعْدي) [ص:35]"**[3] .

والشَّاهد في هذا الحديث النَّبوي الشَّريف حذف حرف النِّداء (يا) في الآية الكريمة، وتقديره (يا رب) ، وفي ذلك سر بلاغي مرده إلى التَّعظيم والتَّنزيه؛ "لأن النَّداء يتشرب معنى الأمر فحذفت يا من نداء الرّب؛ ليزول معنى الأمر ويتمحض التَّعظيم والإجلال"[4]، وهذا ما يتناسب مع قدرة رب العالمين والإجلال لهيبته.

ومن حذف الحرف – أيضًا–: عَنْ أَبي أمامة، قَالَ: **"صَلَّيْنَا مَعَ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ الظُّهْرَ ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أنَسِ بنِ مالِكٍ فَوَجَدْنَاهُ يُصَلِّي العَصْرَ، فَقُلْتُ: يَا عَمِّ مَا**

---

[1] – تم تحليل هذا الحديث النبوي ص 136.

[2]– الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 210.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة: باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد، م1، ص 129.

[4]– الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص213.

**هَذِهِ الصَّلاَةُ الَّتِي صَلَّيْتَ؟ قَالَ: العَصْرُ، وهَذِهِ صَلاَةُ رسولِ الله –ρ –التِي كُنَّا نُصَلِّي مَعَهُ"** [1].

يشتمل هذا النَّظم النَّبوي على حذف حرف الياء، في قوله: ( يا عم)، وتقديره ( يا عمي)، ووراء هذا الحذف مقصد تناسبي يتمثل في إظهار " التَّوقير والإكرام لأنس؛ لأنه ليس عمه على الحقيقة" [2].

ويأتي حذف حرف النداء – أيضًا– ليشعر بقصر المسافة بين المُنادي والمَنادى، وشاهد هذا: **عَنْ أمِّ الْعَلَاءِ إِمْرَاة مِنَ الأنصَارِ – رَضِيَ الله عَنْهَا– بَايَعَتْ النَّبِيَّ – ρ –، قَالَتْ: إنَّه اقْتسِمَ المهَاجِرونَ قرْعَةً، فطَارَ لَنَا عُثْمَان بْن مَظْعونٍ، فأنزلْنَاه في أبيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَة الَّذِي توفِّيَ فِيهِ، فَلَمَّا توفِّيَ وَغسِّلَ وكُفِّنَ في أثْوَابِهِ دَخَلَ رَسول اللهِ – ρ –، فَقلْت: "رَحْمَةُ اللهِ عليْكَ أبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لقدْ أكْرَمَكَ اللهُ، فَقَالَ النَّبِي ρ: ومَا يُدْرِيكِ أنَّ اللهَ أكْرَمَهُ؟ فَقُلْتُ: بِأبِي أنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللهُ؟ فَقَالَ: أمَّا هُوَ فَوَاللهِ جَاءَهُ اليَقِينُ وَاللهِ إنِّي لأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، وَوَاللهِ مَا أدْرِي؟ وَأنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي؟ قالَتْ: وَاللهِ لاَ أُزَكِّي بَعْدَهُ أَحَدًا أبَدًا"**[3].

تناسب حذف حرف النِّداء (يا) وسياق النَّظم النَّبوي، وتقديره: (يا أبا السائب)، وتكمن اللفتة التَّناسبية من هذا الحذف إلى قرب المُنادي من المُنادى، وإظهار محبته وقربه منه؛ فحذف حرف النداء؛ كي لا يكون بينهما أي عائق.

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة: باب وقت العصر، م1، ص 149.

[2]– العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج5، ص36.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، كتاب التعبير: باب رؤيا النساء، م4، ص 349.

وخلاصة ما تقدم ذكره أن الحذف له قيمة جليلة في النص النَّبوي بما يمثله من دلالات تناسبية تستنبط من القرائن والسِّياقات النبوية، ومن هذه الدلالات: التَّعميم، ودلالة السياق على المحذوف، والاختصار، وغيرها.

# الخاتمة

توصلت هذه الدِّراسة إلى مجموعة من النتائج، كانت كالآتي:

- إنَّ علم المناسبة ليس مختصا بالقرآن الكريم، وإنما يمكن تطبيقه على النُّصوص العالية الأخرى؛ كالأحاديث النَّبوية الشَّريفة، ويتطلب ذلك دراستها من النَّواحي التّرتيبية واللغوية والبلاغية، وأن تكون دلالات هذه النّواحي موائمة للسِّياق النَّبوي، إذ هو الفيصل الوحيد الذي يعين على استقراء الدِّلالات التَّناسبية والبلاغية لكل الأحاديث النَّبوية الشَّريفة.

- برز في الفصل الأول أنواع الوجوه التَّناسبية بين أبواب الجامع الصَّحيح، التي ترمي إلى تحقيق غاية نبويّة معينة تناسب السَّياق النَّبوي الشَّريف؛ إذ إن الباب ينتقل من مقصد لآخر في ترابط متين ونسيج نبوي محكم، فما يتم الباب إلا ومهد له بباب آخر يكمله ويوضحه، أو يفصله بعد إجماله، أو يبن حكمه، أو يؤكده، أو يبين وجه السؤال والاستفسار فيه، أو يظهر مدى انسجام المقابلات بين الأحاديث النَّبوية كوجه من وجوه التَّناسب.

- تعددت الأساليب التناسبية التي توضح مدى ترابط الأحاديث النَّبويّة في النّص النّبوي بسياقها مع الأحاديث النَّبوية التي سبقتها مباشرة أو بشكل عام، ومع الأحاديث النّبوية التي جاءت بعدها مباشرة أو بشكل عام، ومن هذه الأساليب: أسلوب التحذير والوعيد، وأسلوب التأكيد، وغيرها.

- توصلت هذه الدِّراسة إلى أن ثمة علاقة تناسبية بين جوهر أصوات اللفظة وظلال معانيها الموحية، فلا يتأتى بلاغة المعنى المراد إلا بفهم المكونات الصَّوتية للفظة، والوقوف على دلالاتها التناسبية؛ فوظفت الأصوات المهموسة في السياقات النبوية التي تتطلب الهدوء والسكينة، فيما وظفت الأصوات المجهورة وأصوات القلقلة في السياقات النبوية التي تتطلب القوة والشدة، أما الأصوات المفخمة فناسب توظيفها المقامات النَّبوية التي تتطلب التَّفخيم والتَّعظيم، ووظفت الأصوات المرققة في السِّياقات النَّبوية التي تصف

مشاعر الحزن والألم، فضلًا عن انسجام صوت الشين مع صفة التَّفشي التي تضفي على النّص النَّبوي دلالة مفادها الانتشار.

- أضفى مبحث التَّكرار الصَّوتي بأنماطه المختلفة مزايا تناسبية في النظم والدلالة، وقد حقق أغراضًا بيانية، منها: التَّحذير من مغبة الوقوع في أمر معين، وتأكيد الإنذار، وكان من أهمها: بيان أهمية المكرر ورفع قيمته.

- تنوعت دلالات الصيغ الصرفية في الأحاديث النبوية الشريفة بناء على السياق النظمي لهذه الأحاديث الشريفة، كما مثل المصدر الميمي دلالات بلاغية أعمق وأقوى من دلالة المصدر الأصلي.

- أفاد أسلوب التقديم والتأخير – من خلال السياقات النبوية– نكات تناسبية، منها: التعظيم، والتشويق، كما برزت ظاهرة تقديم المتعلقات التي أدت في مجملها معنى الاختصاص.

- وفيما يتعلق بدلالات تنكير اللفظة النَّبوية وتعريفها، فقد برزت أنماط مختلفة من التَّعريف، كـ: التَّعريف بالإضافة، والتَّعريف باسم الإشارة، والتَّعريف بـ ( أل)، وقد انزاحت هذه المعارف إلى دلالات التَّعظيم، والتَّحقير، وغيرها. ومن الدِّلالات التي برزت في التَّنكير: التَّعظيم، والتَّحقير، وغيرها.

- مثلت ظاهرة الحذف في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة المتناولة دلالات تناسبية اقتضاها السِّياق المقامي.

- توصي الباحثة في نهاية هذا الدراسة: بفتح باب الدِّراسات التَّناسبية البلاغية في مضمار الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، واستكمال البحث في علم المناسبة، واستقراء أوجه أخرى للمناسبات؛ لأن الدِّراسات التَّطبيقية في هذا المجال ما زالت بكرًا، ومن شأن هذه الدِّراسات الوقوف على دقة سنة رسول الله –ρ–.

- كما توصي – أيضًا– بتناول كل مبحث من المباحث التي جاءت في هذه الدِّراسة بتكوين رسائل مستقلة؛ لأن جميع ما جاء فيها ما هو إلا محاولات جزئية يستنير بها القارئ؛ للوقوف على أهمية هذا العلم العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# فهرست الآيات القرآنية

| السورة | الصفحة | الآية |
|---|---|---|
| البقرة | 26 | **( إنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والهُدَى).** |
| البقرة | 115 | **( وَاتَّخذُوا مِنْ مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى).** |
| البقرة | 196 | **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ).** |
| البقرة | 90 | **(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).** |
| البقرة | 177 | **(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ).** |
| البقرة | 131 | **(أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ إِلهاً واحِداً ).** |
| البقرة | 146 | **(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ).** |
| البقرة | 157 | **(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ).** |
| آل عمران | 222 | **(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ومَنْ كَفَرَ فإنَّ الله غَنِيٌّ عنِ العَالِمِينَ).** |
| آل عمران | 147 | **(إنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله وأيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا).** |
| المائدة | 120 | **(إنَّما الخَمْرُ وَالمَيْسَرُ وَالأنْصابُ وَالأزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ).** |
| الأعراف | 196 | **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ).** |
| الأنفال | 118 | **(فإنَّ لله خُمُسَهُ ولِلْرَّسُولِ).** |

| | | |
|---|---|---|
| التوبة | 91 | ( فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون). |
| التوبة | 186 | (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ). |
| التوبة | 221 | (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ). |
| الأنبياء | 59 | (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ). |
| الحج | 144 | (وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ). |
| الحج | 174 | ( الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ). |
| المؤمنون | 177 | (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ). |
| الزمر | 148 | (وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ). |
| الأحقاف | 30 | (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا) |
| محمد | 113 | (وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ). |
| الفتح | 141 | (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا). |
| الذاريات | 158 | (سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ). |

| | | |
|---|---|---|
| النجم | 195 | **وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى).** |
| القمر | 94 | **(سَيُهزَمُ الجَمعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر).** |
| الواقعة | 189 | **(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا).** |
| الطلاق | 118 | **(لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ).** |
| التحريم | 118 | **( يَا أَيُّهَا النبيُّ لَمْ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ الله لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ).** |
| الحاقة | 31 | **(سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ).** |
| عبس | 186 | **(أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ).** |

# فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.


| الحديث النبوي الشريف | رقم الصفحة | رقم الحديث في صحيح البخاري |
|---|---|---|
| " كُنْتُ أَنا وجارٌ لِي مِنَ الأَنْصارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بنِ زَيْدٍ، وهْيَ مِنْ عَوالِي المَدِينَةِ، وكُنَّا نَتَناوَبُ النُّزُولَ عَلَى رسولِ الله ρيَنْزِلُ يَوْماً وأَنْزِلُ يَوْماً، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ ". | 24 | 89 |
| " قَالَ رَجُلٌ: يَا رسولَ الله لَا أكادُ أُدْرِكُ الصَّلاةِ مَمَّا يُطَوّلُ بِنَا فُلانٌ ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبيَّ ρفِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَباً مِنْ يوْمِئذٍ...". | 24 | 90 |
| "إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، ولوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثا،...". | 26 | 118 |
| " كَانَتِ الرِّيْحُ الشَّدِيدَةُ إِذَا هَبَّتْ عُرِفَ ذَلِكَ في وَجْهِ النَّبِيِّ – ρ–. | 30 | 1034 |
| " نُصِرْتُ بالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ". | 30 | 1035 |
| " اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا" | 31 | 1032 |
| أَصَابَت النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهدِ رَسُولِ اللهِ – ρ– فَبَيَنا رَسُولُ اللهِ – ρ – يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَامَ أَعْرَابِيٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله هَلَكَ المَالُ، وجَاعَ الْعِيَالُ...". | 31 | 1033 |
| " جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيّ ρفقالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا القتالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبا ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً؟ فَرَفَعَ إِلَيْهِ رأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلاَّ أَنَّهُ كانَ قائِمًا...". | 31 | 123 |
| "رَأيتُ النَّبِيَّρعِندَ الجَمرَةِ وَهُوَ يُسأَلُ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ،نَحَرتُ قَبلَ أَن أَرمِيَ قال:" ارمِ وَلا حَرَجَ"، قَالَ آخَر: يَا رَسُولَ اللهِ، حَلَقتُ قَبلَ أَن ...". | 32 | 124 |
| "جَاءَت أُمُ سُلَيمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِρفَقَالَت: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ اللهَ لَا يَستَحيى منَ الْحَقِّ، فَهَل عَلَى الْمَرْأَة مِن غُسلٍ إِذا احْتَلَمت؟ قَالَ النَّبِيُ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إِذَا رَأَتْ المَاءَ ...". | 33 | 130 |
| " إِنَّ عَلِيّ بن أَبِي طَالِبٍ قَالَ: كُنتُ رَجُلًا مَذَّاءً ، فَأَمَرتُ المِقدَادَ أَن يَسأَلَ النَّبِيَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَسَأَلَهُ فَقَالَ: فِيهِ الْوُضُوءُ". | 33 | 132 |
| " رَقِيتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى ظَهرِ الْمَسْجِدِ فَتَوَضَّأَ فَقَالَ: إِنّي سَمِعتُ النَّبِيρيَقُولُ: إِنَ أُمَّتِي يُدعَونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرّا مُحَجَّلِينَ مِن آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَن اسْتَطَاعَ مِنْكُم أَن يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيفْعَل". | 34 | 136 |
| " إِنَّ عبَّادَ بن تَمِيم عَن عَمه أَنه شكا إِلَى رَسُول الله ρالرّجُلُ الَّذِي يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَجِدُ الشَّيْءَ فِي الصَّلَاة، فَقَالَ: لَا يَنْفَتِل أَو لَا يَنْصَرِف حَتَّى يَسمَعَ صَوتا أَو يَجِدَ رِيحًا" | 34 | 137 |
| "رَأَيتُ رسولَ اللَّهِ ρوحَانَتْ صَلاةُ العَصْرِ، فالْتَمَسَ النَّاسُ الوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَرسولُ اللَّهِ ρبِوَضُوءٍ فَوَضَعَ رسولُ اللَّهِ ρفِي ذَلِكَ الإِناءِ يَدَهُ، وأَمَرَ النَّاسَ أَنْيَتَوَضَّؤوامِنْهُ...". | 35 | 169 |

| | | |
|---|---|---|
| "قُلْتُ لِعَبِيدَةَ عِنْدَنَا مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ ρأَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ، أَوْ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ أَنَسٍ فَقَالَ: لأَنْ تَكُونَ عِنْدِى شَعَرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا". | 35 | 170 |
| " إِنَّ النَّبِيَّρنَامَ حَتَّى نَفَخَ ثُمَّ صَلَّى، وَرُبمَا قَالَ اضْطَجَعَ حَتَّى نَفَخَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، ثُمَّ حَدَّثَنَا بِهِ سُفْيَانُ مَرَّةٍ بَعدَ مَرَّةٍ عَن عَمْرٍو، عَن كُرَيبٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ...". | 36 | 138 |
| " دَفَعَ رَسُولُ اللهِρمِن عَرَفَةَ حَتَّى إِذا كَانَ بِالشِّعبِ نَزَلَ فَبَالَ ثُمَّ تَوَضَّأ، وَلَم يُسبِغِ الْوضُوءَ، فَقُلتُ: الصَّلَاةَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ أَمَامَكَ،فَركِبَ فَلَمَّا جَاءَ الْمزْدَلِفَةَ...". | 37 | 138 |
| " كَانَ النبيُّ ρيَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ، قُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قالَ يُجزِئُ أَحَدَنَا الوُضُوءُ مَا لَمْ يُحْدِثْ" . | 37 | 214 |
| مَرَّ النَّبيُّ ρبِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فقالَ النبيُّ ρ: يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ...". | 38 | 216 |
| " الحَلالُ بَيّنٌ والحَرامُ بَيّنٌ وَبيْنِهما مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُها كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، ومَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعِي يَرْعَى حَولَ الحِمى...". | 39 | 52 |
| " إِنَّ وَفْدَ عَبدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوا النَّبِي ρ، قَالَ: من الْقَوْم أَو مَنِ الْوَفْدِ؟ قَالُوا: رَبِيعَةُ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالقَومِ أَو بِالوَفْدِ غَيرَخَزَايَا وَلَا نَدَامَى، فَقَالُوا:...". | 39 | 53 |
| " لَا تَكْذِبُوا عليَّ، فإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عليَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ". | 41 | 106 |
| " عَن أَبِي جُحَيْفَةَ قالَ: قُلْتُ لِعَلِي بنِ أَبِي طَالِبٍ هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ؟ قَالَ: لاَ! إلاَّ كِتابُ اللَّهِ أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ...". | 41 | 111 |
| "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ". | 44 | 105 |
| "قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ فأمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فأوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ". | 45 | 3019 |
| " إِنَّ رَهْطًا مِنْ عُكْلٍ ثَمَانِيَةً، قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ –ρ– فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْغِنَا رِسْلاً، قَالَ: مَا أَجِدُ لَكُمْ إِلاَّ أَنْ تَلْحَقُوا بِالذَّوْدِ...". | 45 | 3018 |
| "إِنَّ وَفْدَ عَبدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوا النَّبِي ρ، قَالَ: من الْقَوْم أَو مَنِ الْوَفْدِ؟ قَالُوا: رَبِيعَةُ، قَالَ...". | 47 | 53 |
| " الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ". | 47 | 54 |
| إِنَّ النَّبِيَّρوَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحلِ، قَالَ: يَا مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ...". | 48 | 128 |

| | | |
|---|---|---|
| "جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إلى رَسُولِ الله – ρ–فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ اللهَ لَا يَستحيِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرأةِ مِنْ غُسْل إذا احْتَلَمَتْ؟ | 46 | 130 |
| " ابدأن بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا". | 50 | 167 |
| "مَنْ تَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ، ومَنِ اسْتجْمَرَ فَلْيُوتِرْ". | 50 | 161 |
| تَخَلَّفَ النَّبيُّ– ρ– عَنَّا فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا، فَادْرَكَنَا وَقَدْ أرْهَقَنَا العَصْرُ". | 50 | 163 |
| "أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ ؛ فَإِنَّ أَبَا القَاسِمِ – ρ– قَالَ: " وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّار". | 50 | 165 |
| " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ: إِنِّي أَجنَبتُ فَلَم أُصِبِ المَاءَ، فَقَالَ عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ لعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ: أما تَذْكُر أنَّا كُنَّا في سَفَرٍ أنا وَأنْتَ...". | 50 | 338 |
| أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ منْ أَسْماءَ قِلاَدةً فَهَلَكَتْ، فَبَعَثَ رسولُ اللَّهِ ρ رَجُلًا فَوَجَدَها، فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلاةُ...". | 51 | 336 |
| أَقْبَلَ النَّبِيُّ – ρ – مِنْ نَحْوِ بِئْرِ جَمَل فَلَقِيَهُ رَجُلٌ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ،...". | 51 | 337 |
| لَا تُقبَلُ صَلَاةُ مَن أَحدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأ، قَالَ رَجُلٌ مِن حَضرَمَوتَ: مَا الْحَدَثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: فُسَاءٌ أَو ضُرَاطٌ". | 52 | 135 |
| " إنَّ أمَّتِي يُدْعَوْنَ يومَ الْقِيَامَةِ غُرّاً محَجّلِينَ منْ آثارِ الْوُضوءِ، فمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أنْ يطِيلَ غرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ". | 52 | 136 |
| "إنَّهُ شَكَا إلى رَسُولِ اللهِ – ρ– الرَّجُلَ الذي يُخَيَّلُ إليْهِ أَنَّهُ يَجِدُ الشَّيءَ في الصَّلَاةِ، فَقَالَ: لَا يَنْفَتِلُ أو لا يَنْصَرِفْ حتَّى يَسْمَعَ صَوْتاً أو يَجِدَ رِيحاً". | 52 | 137 |
| " صَلَّى جَابِرٌ فِي إِزَارٍ قَدْ عَقَدَهُ مِنْ قِبَلِ قَفَاهُ وَثِيَابُهُ مَوْضُوعَةٌ عَلَى الْمِشْجَبِ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: تُصَلِّي فِي إِزَارٍ وَاحِدٍ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا صَنَعْتُ ذَلِكَ لِيَرَانِي أَحْمَقُ مِثْلُكَ...". | 53 | 352 |
| " رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ –ρ– يُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ مُشْتَمِلاً بِهِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ وَاضِعًا طَرَفَيْهِ...". | 53 | 355 |
| " كَانَ رِجَالٌ يُصَلُّونَ مَعَ النَّبِيِّ –ρ– عَاقِدِي أُزْرِهِمْ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ كَهَيْئَةِ الصِّبْيَانِ...". | 53 | 362 |
| عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا أُنْزِلَتِ الآيَاتُ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي الرِّبَا خَرَجَ النَّبِيُّ –ρ– إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَرَأَهُنَّ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ حَرَّمَ تِجَارَةَ الْخَمْرِ". | 54 | 459 |
| " لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى: يُقْبَضَ العِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، ويَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ ". | 55 | 1036 |
| "والَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، ويَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، ويَضَعَ الجِزْيَةَ، ويَفِيضَ المالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أحدٌ ". | 55 | 2222 |
| " بَايَعْتُ رسولَ اللَّهِ ρعلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ وإِيتَاءِ الزَّكاةِ والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ". | 56 | 57 |
| "إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثمَّ اضْطَجِعْ علَى شِقِّكَ الأيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: ...". | 57 | 247 |

| | | |
|---|---|---|
| " كَلِمتانِ حَبيبَتان إِلَى الرَّحْمنِ خَفِيفتانِ عَلى اللِّسانِ، ثَقيلَتانِ فِي المِيزانِ: سبْحان الله وبِحَمْدِهِ، سبْحانَ الله العَظِيمِ". | 58 | 7563 |
| " إِنَّمَا الْأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلّ امرِئٍ مَا نَوَى، فَمَن كَانَت هِجرَتُهُ إِلَى دُنيَا يُصِيبُهَا أَو إِلَى امْرَأَةٍ يَنكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ". | 58 | 1 |
| عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّρدَخَلَ الْخَلَاءَ فَوَضَعتُ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ: مَن وَضعَ هَذَا؟ فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّههُ فِي الدّينِ". | 60 | 143 |
| "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ". | 61 | 6360 |
| " عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ –ρ– دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ فُلاَنَةُ –تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا– قَالَ: مَهْ...". | 61 | 43 |
| " يَجِيءُ الدَّجَالُ حتَّى يَنْزِلَ فِي ناحِيَةَ المَدِينَةِ، ثُمَّ تَرْجِفُ المَدِينَةُ ثَلاَثَ رجَفَاتٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ كَافِرٍ ومُنَافِقٍ". | 68 | 7124 |
| " إِن مَكَّة حرمهَا اللهُ، وَلم يُحَرّمهَا النَّاسُ، فَلا يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَماً...". | 69 | 1832 |
| خُذُوا ساحِلَ البَحْرِ حَتَّى نَلْتَقِيَ" فأخذُوا ساحِلَ الْبَحْرِ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا أَحْرَمُوا كُلُّهُمْ إِلاَّ أَبُو قَتَادَةَ لَمْ يُحْرِمْ...". | 70 | 1824 |
| خَمْسٌ من الدَّوَابّ كُلُّهُنَّ فَاسِقٌ يُقتَلْنَ في الْحَرَمِ: الغُرَابُ، والْحِدَاة، والْعَقْرَبُ، والفَارَةُ...". | 71 | 1828 |
| " إِنَّ يَهُودِيّاً رَضَّ رَأسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ، قِيلَ: مَن فَعَلَ هَذَا بِكِ؟ أَفُلانٌ أَفُلانٌ حَتَّى سُمِّيَ الْيَهُودِيُّ فأوْمَتْ بِرَأسِها، فأُخِذَ الْيَهُودِيُّ فاعْتَرَفَ فأمَرَ بِهِ النبيُّ ρ، فرُضَّ رَأسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ". | 71 | 2413 |
| " مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ"قَالَت عَائِشَةُ: إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ،إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَم يَستَطِعِ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ قَالَ: "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ" فَعَادَت فَقَالَ: "مُرِي أَبَابَكْرٍ فليُصَلِّ بالنَّاسِ...". | 73 | 678 |
| "إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عنْ أُمَّتِي مَا وسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُها، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ". | 75 | 2528 |
| "" إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا، وأبشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالغُدْوَةِ والرَّوْحَةِ". | 76 | 39 |
| " أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ | 77 | 39 |
| "اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللهِρوعِنْدَهُ نِسوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ ويَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صوتِهِ...". | 78 | 3683 |
| "إِذَا وُضِعَتِ الجَنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرِّجالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ...". | 80 | 1316 |

| | | |
|---|---|---|
| " أسْرِعُوا بِالجِنَازَةِ، فإنْ تَكُ صالِحَةً، فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إلَيْهِ، وَإنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عنْ رِقَابِكُمْ". | 80 | 1252 |
| "كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النبيُّ ρفَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ...". | 82 | 1362 |
| " دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –ρ– عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ – وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ–عَلَيْهِ السَّلاَمُ– فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ...". | 83 | 1303 |
| أمَرَنا رَسُولُ الله ρبِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ، نَهَانَا: عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ، وَلُبْسِ الحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالإِسْتَبْرَقِ، وَعَنِ القَسِّيِّ وَالمِيثَرَةِ، وَأَمَرَنَا: أَنْ نَتْبَعَ الجَنَائِزَ، ونَعُودَ المَرِيضَ، ونُفْشِيَ السَّلاَمَ". | 85 | 5650 |
| "خَمِّرُوا الآنِيَةَ وَأَوْكُوا الأَسْقِيَةَ، وَأَجِيفُوا الأَبْوَابَ، وَاكْفِتُوا صِبْيَانَكُمْ عِنْدَ العِشَاءِ؛ فَإِنَّ لِلْجِنِّ انْتِشَاراً وَخَطْفَةً، وَاطفِئُوا المَصَابِيحَ عِنْدَ الرُّقَادِ؛ فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ رُبَّمَا اجْتَرَّت، الفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ". | 86 | 3316 |
| "بَيْنَما رجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ". | 87 | 5790 |
| "لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزارَهُ بطَراً". | 88 | 5788 |
| " وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بَينَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَو مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ...". | 89 | 1400 |
| اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعدَكَ، اللَّهُمَّ إِن شِئْتَ لَم تُعبَد بَعدَ الْيَوْمِ" فَأَخَذَ أَبُو بَكرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَد أَلحَحتَ عَلَى رَبِّك، ...". | 94 | 2915 |
| " لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، ويَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ، ويَكْثُرَ الهَرْجُ – وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ–، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المالُ فَيَفِيضَ". | 95 | 1036 |
| " ألاَ أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ، فإنَّ لِي غُلاما نجَّارا؟ قَالَ "إنْ شِئْتِ" قَالَ: فَعَمِلَتْ لَهُ المِنْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ قَعَدَ النبيُّ ρعَلَى المِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ...". | 96 | 2095 |
| "مَا مِن يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ أَلَّلهُمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا". | 99 | 1442 |
| " مَثَلُ البَخِيلِ والمُنْفِقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتانِ مِنْ حَدِيدٍ، مِنْ ثُدْيَيْهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِما...". | 100 | 1443 |
| " يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا". | 102 | 69 |
| كَانَ النبيُّ –ρ– يَتَخَوَّلُنا بالمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ؛ كَرَاهةَ السَّآمَة عَلَيْنا". | 103 | 68 |
| "الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ". | 103 | 2447 |

| | | |
|---|---|---|
| " أنَّ النَّبِيَّ – ρ – بَعَثَ مُعاذًا إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فإنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وبيْنَ الله حجَابٌ" | 104 | 2248 |
| "أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي". | 105 | 21 |
| " مَا عِنْدَنَا شَيءٌ إلاَّ كِتَابُ الله، وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ عَنِ النَّبِيِّ ρ: المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا...". | 110 | 1870 |
| "المَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ كَذَا إِلَى كَذَا، لاَ يُقْطَعُ شَجَرُهَا، ولاَ يُحْدَثُ فِيها حَدَثٌ، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدثا فعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله والمَلاَئِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ" | 111 | 1867 |
| " حُرِّمَ مَا بَيْنَ لاَبَتَي المَدِينَةِ عَلَى لِسَانِي". | 112 | 1868 |
| " مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إلاَّ أَنْزَلَ لهُ شِفاءً". | 112 | 5678 |
| " كُنَّا مَعَ رسَولِ اللهِρفِي سَفَرٍ فَقَالَ لِرَجُلٍ:"انْزِلْ فاجْدَحْ لِي...". | 112 | 1941 |
| " خَفَّتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ وأَمْلَقُوا فأَتَوُا النبيَّ ρفِي نَحْرِ إِبِلِهِمْ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَلَقِيَهُمْ عُمَرُ فأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: مَا بَقاؤُكُمْ بَعْدَ إِبِلِكُمْ؟...". | 113 | 2428 |
| "قاتَلَ اللَّهُ اليَهُودَ اتَّخَذوا وقُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ". | 114 | 436 |
| "أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا ماتَ فِيهِمُ العَبْدُ الصَّالِحُ أَو الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ". | 114 | 434 |
| " وَافَقتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فَقلتُ يَا رَسُولَ اللهِ لَو اتَّخَذنَا مِن مَقَام إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَت:(وَاتَّخذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)". | 115 | 402 |
| "مَنْ تَرَدَّى منْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ، خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً، ومَنْ تَحَسَّى سُمّاً فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جهنَّمَ، خَالِدا مُخَلّداً فِيهَا أَبَداً...". | 116 | 5778 |
| " مَنِ اصْطَبَحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ اليَوْمَ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ". | 116 | 5779 |
| "إِنَّ النَّبِيَّρوَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحلِ، قَالَ:"يَا مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ"، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيكَ، قَالَ:"يَا مُعَاذُ"، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيكَ ثَلَاثًا...". | 117 | 128 |
| "إِنَّ ابنَ عُمَرَ كَانَ يَقُولُ: كَانَ المُسْلِمُونَ حَينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلاةَ، لَيْسَ يُنَادِي لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ...". | 117 | 604 |
| " أُمِرَ بِلَالٌ أَنْ يُشْفَعَ الْأَذَانَ، وأَنْ يُوتِرَ الإِقَامَةَ إِلَّا الإِقَامَةَ". | 119 | 605 |
| "اخْتَصَمَ سَعْدُ بنُ أَبِي وقاصٍ وعَبْدُ بنُ زَمْعَةَ فِي غلامٍ، فقالَ سَعْدٌ: هَذَا يَا رسُولَ اللهِ ابنُ أَخي عُتْبَةَ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ عَهِدَ إِلَيَّ أَنَّهُ ابْنُهُ، انْظُر إِلَى شبَهِهِ...". | 120 | 2218 |
| "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ، فإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ ... ". | 120 | 7390 |

| | | |
|---|---|---|
| "كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ –ρ– فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: " وَيْحَ عَمَّارٍ...". | 123 | **447** |
| "كَانَ رَسُولُ اللهِρإِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ، تَبِعتُهُ أَنَا وَغُلَامٌ مِنَّا، مَعَنَا إِدَاوَةٌ مِن ماءٍ". | 125 | **150** |
| " اللَّهُمَّ انِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ والْخَبَائِثِ". | 125 | **142** |
| أَن النَّبِيَّ –ρ– دَخَلَ الْخَلَاء، فَوَضَعْتُ لَهُ وضُوءًا، قَالَ: "مَنْ وَضَعَ هَذَا؟"، فَأُخْبِرَ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ". | 125 | **143** |
| قَالَ رَسُولُ اللهِ –ρ–: " إِذَا أتى أحدُكُمْ الغَائِطَ فلا يَسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ ولا يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ، ولكنْ شَرِّقُوا أو غَرِّبُوا" . | 125 | **144** |
| "قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ρمَقاماً، فَأَخبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ". | 127 | **3192** |
| "انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلاَّ إِيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ...". | 127 | **36** |
| "إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عنهُ النَّوْمُ؛ فانَّ أَحَدَكُمْ إِذَ صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ". | 131 | **212** |
| "أَنَّ رَجُلًا وَقَصَهُ بَعِيرُهُ وَنَحنُ مَعَ النَّبِي – ρ– وَهُوَ مُحرِمٌ، فَقَالَ النَّبِيُ – ρ–: " اغسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُمِسُّوهُ طِيبًا، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّ اللهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا". | 132 | **1267** |
| " اشْتَكَى ابْنٌ لأبي طَلْحَةَ، قَالَ: فَمَاتَ، وأبو طَلْحَةُ خَارِجٌ، فَلمَا رَأتْ امْرَأتهُ أَنَّهُ قدْ مَاتَ، هَيَأت شَيْئاً | 135 | **1301** |
| "الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولى" | 135 | 1302 |
| " مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍ إِلاَّ أَنْذَرَ قَوْمَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ". | 136 | **7406** |
| "إِنَّ عَائِشَة زَوجَ النَّبِي – ρ– قَالَت: لَم أَعقِل أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدّينَ، وَلَم يَمُرَّ عَلَينَا يَوْمٌ إِلَّا يَأتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ – ρ– طَرَفَي النَّهَارِ بُكرَةً وَعَشِيَّةً...". | 138 | **476** |
| "كُنَّا نُخَيِّر بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ –ρ– فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَر ابنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ" | 138 | **36** |
| " كانَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ρثُمَّ يَرْجِعُ فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَصَلَّى العِشَاءَ فَقَرَأَ بِالبَقَرَةِ فانْصَرَفَ الرَّجُلُ، فَكَأَنَّ مُعَاذا تَنَاوَلَ مِنْهُ...". | 139 | **701** |
| " وَاللهِ يَا رَسُولَ الله، إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ؛ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا...". | 140 | **702** |

| | | |
|---|---|---|
| " كَانَ النَّبِيُّ – ρ – لَيَقُومُ– أَو لَيُصَلِّي– حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ أَو سَاقَاهُ، فَيُقَالُ لَـهُ: فَيَقُولُ:"أَفَلا أَكُونُ عَبدًا شَكُورًا". | 141 | **1130** |
| "إِنَّ عائِشَةَ –رَضِي الله تَعَالَى عَنْهَا– قالَتْ: جَاءَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، فَقَالَتْ: يَا رسُولَ اللهِ إِنَّ أَبَا سُفْيانَ رجُلٌ مِسّيكٌ...". | 141 | **2460** |
| "إِنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ قَالَت: وَالَّذِي ذَهَبَ بِهِ مَا تَرَكَهُمَا حَتَّى لَقِيَ اللهَ، وَمَا لَقِيَ اللهَ تعالَى حَتَّى ثَقُلَ عنِ الصَّلاَةِ، وَكَانَ يُصَلِّي كَثِيرا مِنْ صَلاَتِهِ قاعِدا ...". | 144 | **590** |
| " مَا تَرَكَ النَّبِيُّ – ρ– السَّجْدَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ عِنْدِي قَطُّ". | 145 | **591** |
| رَكْعَتَانِ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ –ρ – يَدَعُهُمَا سِرًّا وَلاَ عَلاَنِيَةً: رَكْعَتَانِ قَبْلَ صَلاَةِ الصُّبْحِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ الْعَصْرِ" | 145 | **592** |
| "مَا كَانَ النَّبِيُّ –ρ – يَأْتِينِي فِي يَوْمٍ بَعْدَ الْعَصْرِ إِلاَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ". | 145 | **593** |
| لاَ صَلاَةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ، وَلاَ صَلاَةَ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمسُ". | 145 | **586** |
| الْحَلِفُ مَنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلبَرَكَةِ". | 146 | **2087** |
| "أَنَّ رَجُلاً أَقامَ سِلْعَةً وَهْوَ فِي السُّوقِ فَحَلَفَ بِاللَّه لَقَدْ أَعْطَى بِهَا مَا لَمْ يُعْطَ؛ لِيُوقِعَ فِيها رَجُلًا مِنَ المُسْلِمِينَ". | 147 | **2088** |
| " الحَرْبُ خَدْعَةٌ". | 148 | **3030** |
| " مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، فَإِنَّـهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَـهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ | 148 | **3031** |
| " رَأَيْتُنِي دَخَلتُ الْجنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيصَاءِ– امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَة– وَسَمِعتُ خَشَفَةً، فَقُلتُ: مَن هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَة، فَقلتُ: لِمَن هَذَا؟ | 149 | **3679** |
| "الصِّيامُ جُنَّـةٌ، فَـلاَ يَرْفُثْ ولاَ يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قاتَلَـهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّـي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله تعَالى مِنْ رِيحِ المِسْكِ...". | 155 | **1894** |
| "الَّذِي تَفُوتُهُ صَلاَةُ العَصْرِ كأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ ومالَهُ". | 157 | **552** |
| " بَكِّرُوا بِصَلاَةِ العَصْرِ؛ فَإِنَّ النَّبِي –ρ– قَالَ: "مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ". | 157 | **553** |
| " إِنكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَما تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِـهِ، فإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوْا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فافْعَلُوا...". | 158 | **554** |
| "يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ ومَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْر" | 158 | **555** |
| كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ –ρ – فِي دَعْوَةٍ، فَرُفِعت إِلَيْهِ الذِّرَاعُ –وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ. فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً وَقَالَ: " أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...". | 159 | **3340** |

| | | |
|---|---|---|
| "بَيْنَما رجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ". | 159 | **5790** |
| "إِنَّ رسولَ الله ρكانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثلاثَ تَكْبِيراتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: لَا إِلهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ ...". | 160 | **6022** |
| " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرَءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهَ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ". | 161 | **16** |
| "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ." | 161 | **13** |
| " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إليهِ مِنْ والِدِهِ وَوَلَدِهِ". | 162 | **14** |
| " لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ". | 162 | **15** |
| " إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ...". | 162 | **1896** |
| منْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ الله نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ يَا عَبْدَ الله، هَذَا خَيرٌ، فَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاةِ... | 163 | **1897** |
| " فِي الجُمُعَةِ ساعَة لَا يُوَافِقُها مُسْلمٌ قائِمٌ يُصَلِّي فَسأل الله خَيْراً إلاّ أُعطاهُ إِيَّاهُ". | 164 | **935** |
| قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ –ρ– أُجَاهِدُ؟ قَالَ: "لَكَ أَبَوَانِ"؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ". | 165 | **3004** |
| "اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّماواتِ والأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ ...". | 165 | **1120** |
| " خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ إِلَى السُّوقِ فَلَحِقَت عُمَرَ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ، فَقَالَت: يَا أَمِيرَ الْمُؤمنِينَ هَلَكَ زَوجي وَترك صِبيَةً صِغَارًا، وَاللهِ مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعًا وَلَا لَهُم زَرعٌ...". | 166 | **4147** |
| أَصَابَ أَهْلَ المَدِينَةِ قَحْطٌ علَى عَهْدِ رسُولِ الله ρ، فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ، إِذْ قامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الكُرَاعُ، هَلَكَتِ الشَّاءُ...". | 167 | **3582** |
| "ذَاكَ رَجُلٌ لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ، بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رسُولَ الله ρيَقُولُ:"اسْتَقْرِئوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وأُبَيّ بنِ كَعْبٍ، وَمُعاذِ بنِ جَبَلٍ" | 168 | **3758** |
| " أَنْتَ قَيِّمُ السَّماواتِ والأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ...". | 169 | **1120** |
| "المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، والمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ". | 169 | **10** |
| " الإِيمَانُ بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً، والحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ". | 170 | **9** |
| "أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ". | 170 | **11** |
| "إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلماءِ...". | 172 | **100** |

| | | |
|---|---|---|
| "مَن أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ – ρ–: " لَقَدْ ظَنَنْتُ يا أبَا هُرَيْرَةَ أنْ لَا يَسْألنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أحَدٌ أوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأيتُ مِنْ حِرْصِكِ عَلَى الْحَدِيثِ...". | 173 | 99 |
| " خَرَجْنا مَعَ رسولِ الله –ρ– فِي أشْهُرِ الحَجِّ ولَيَالي الحَجِّ وَحُرِم الْحَج، فنزَلْنا بِسَرِفَ ..." | 174 | 1560 |
| تُوُفِّيَ أبي وعَلَيْهِ دَيْنٌ فَعَرَضْتُ عَلى غُرَمَائِهِ أنْ يَأْخُذُوا التَّمْرَ بِمَا عَلَيْهِ، فأبَوْا ولَمْ يَرَوْا أنَّ فِيهِ وَفَاءً ، فأتَيْتُ النبيّ –ρ– فَذَكَرْتُ ذلِكَ لَهُ...". | 174 | 7209 |
| كَانَ يُؤْتَي بِالرَّجُلِ المُتَوَفَّى عَلَيْهِ الدَّيْنُ، فَيَسْأل: "هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا"؟ فإنْ حُدِّثَ أنَّهُ تَرَكَ لِدِينِهِ وَفَاءً...". | 174 | 2298 |
| " كَيفَ أنْتُم إذا نزل ابْن مَرْيَم فِيكُم وإمامكم مِنْكُم" | 175 | 3349 |
| " والَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ لَيُوشِكَنَّ أنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، ويَقْتُلَ الخَنْزِيرَ ويَضَعَ الجِزْيَةَ، ويَفِيضُ المَالُ حتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أحَد...". | 175 | 3348 |
| " كَانَ النَّاس يؤمرون أَن يضع الرجل الْيَد الْيُمْنَى على ذراعه الْيُسْرَى فِي الصَّلَاة " | 176 | 740 |
| "هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَاهُنا، وَاللهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ رُكُوعَكُمْ ولاَ خُشُوعَكُمْ، وإنِّي لأَرَّكُمْ وَرَاءَ ظَهْرِي". | 177 | 741 |
| أَلاَ تَزَوَّجُ ابْنَةَ حَمْزَةَ؟ قَالَ: "إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ" | 178 | 5100 |
| سَمِعَتْ صَوْتَ رَجُلٍ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُرَاهُ فُلاَنًا، لِعَمِّ حَفْصَةَ مِنَ الرَّضَاعَةِ –فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِكَ...". | 178 | 5099 |
| " لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ρ إِلَى أُحُدٍ، رجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، وكانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ρ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ...". | 179 | 4050 |
| " يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ– وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ– فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ...". | 184 | 2809 |
| " أَتَى النَّبِيّ –ρ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالْحَدِيدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ...". | 184 | 2808 |
| " مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّار". | 184 | 2811 |
| إنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأرْضِ...". | 185 | 2790 |
| "إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ....". | 185 | 6094 |
| " آيةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا وعَدَ أَخْلَفَ، وإذَا اؤْتُمِنَ خانَ". | 187 | 6095 |
| " رأيْتُ اللَّيْلَةَ رَجلَين أتَياني قَالَا: الَّذِي رأيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ بالْكَذْبَةِ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى..". | 187 | 6096 |
| ""مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِى اللَّهُ، وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ". | 188 | 71 |

| | | |
|---|---|---|
| "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ". | 188 | **2320** |
| " أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ". | 190 | **3244** |
| أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، والَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً...". | 191 | **3245** |
| حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَكَّةَ فَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلاَ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، لاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا وَلاَ يُعْضَدُ شَجَرُهَا وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا وَلاَ تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلاَّ لِمُعَرِّفٍ...". | 191 | **1349** |
| كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ –ρ– فِي دَعْوَةٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، وَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَنْ يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ ...". | 194 | **3340** |
| ρ –: "يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَىْ رَبِّ. فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيّ. فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ | 195 | **3339** |
| "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ والدِّرْهَمِ، والقَطِيفَةِ والخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطَى رَضِىَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ". | 196 | **2886** |
| تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ...". | 196 | **2287** |
| كَانَ رسولُ الله يُعَلِّمُ أصحابَهُ الاسْتِخارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّها كَمَا يُعَلِّمُ السُّورَةَ مِنَ القُرآنِ، يَقُولُ:...". | 197 | **6382** |
| " كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتِجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيها جَدْعَاءَ؟ ". | 198 | **1385** |
| " سُئِلَ رَسُولُ اللهِ عنْ ذَرارِيِّ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ: (الله أعْلَمُ بِما كانُوا عامِلِينَ). | 199 | **1384** |
| " كُنَّا عِنْدَ النبيِّ إِذْ جاءَهُ رسولُ إِحْدَى بَناتِهِ يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِها فِي المَوْتِ، فَقَالَ النَّبيُّ –ρ–: "ارْجِعْ فأَخْبِرْها أَنَّ لله مَا أَخَذَ، ولهُ مَا أَعْطَى وكلُّ شَيْءٍ عِنْدهُ بأَجَلٍ مُسَمًّى ..." | 200 | **7377** |
| "وكَّلَنِي رَسُولُ الله ρبِحِفْظِ زَكاةِ رَمَضانَ،فأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعامِ فأَخَذْتُهُ، وقُلْتُ: وَالله لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رسُولِ الله ρ، قَالَ: إِنِّي مُحْتاجٌ وعَلَيَّ عِيالٌ ولِي حاجَةٌ شَدِيدةٌ...". | 201 | **2311** |
| "هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – بِسَارَةَ، فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ –أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ...". | 202 | **2217** |
| " صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فيما سِوَاهُ إِلَّا المَسْجِدَ الْحَرَامَ". | 203 | **1190** |
| لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ – ρ– وَمَسْجِدِ الأَقْصَى". | 204 | **1189** |
| "إِنّ رسولَ اللَّهِ ρمَرَّ عَلى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخاهُ فِي الْحَيَاء، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَان". | 206 | **24** |

| | | |
|---|---|---|
| **بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبيّ ρفِي المَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ على جَمَلٍ، فأَنَاخَهُ فِي المَسْجِدِ ثمَّ عَقَلَهُ، ثمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟** | 207 | **63** |
| **" إنَّ النبيَّ ρكانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَـهُ، لَـهُ المُلْكُ ولَـهُ الحَمْدُ وَهُوَ علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ولاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ...".** | 207 | **844** |
| **"جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ – ρ– فَقَالُوا: "ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلاَ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ: يُصَلُّونَ مَا نُصَلِّي...".** | 207 | **843** |
| **كُنْتُ أَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلاَةِ النَّبِيِّ – ρ– بِالتَّكْبِيرِ"** | 208 | **842** |
| **"إِذَا أَمَّنَ الإمامُ فأَمِّنُوا، فإِنَّهُ منْ وافَقَ تأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ".** | 208 | **782** |
| **إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، وَقَالَتْ الْمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"** | 209 | **781** |
| **"إِذَا قَالَ الإمامُ: ( غيرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) فَقُولُوا: آمِينَ؛ فَإِنَّهُ مَنْ وافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** | 209 | **782** |
| **" إِن رَسُولَ اللَّهِ ρ سُئِلَ، أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ:"إِيمانٌ باللَّهِ وَرَسُولِهِ"، قِيلَ: ثُمَّ مَاذا قالَ؟ "الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، قِيل ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ".** | 209 | **26** |
| **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأَنّ مُحمَّدًا رسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ".** | 212 | **25** |
| **مَا شأْنُ النَّاسِ؟ فَأَشارَتْ إِلَى السَّماءِ فَإِذَا النَّاسُ قِيامٌ، فقالَتْ: سُبْحانَ اللهِ! قُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشارَتْ بِرَأْسِها أَيْ: نَعَمْ...".** | 212 | **86** |
| **" مُرَّ علَى النَّبِي، ρ بِجَنَازَةٍ فأَثْنُوا علَيْها خَيْراً، فَقَالَ: وجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى فأَثْنُوا علَيْها شَرّاً أَوْ قالَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقِيلَ...".** | 213 | **2642** |
| **" أَمِرتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقولوا لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ، فـإِذَا قَالُوها وصَلَّوْا صَلاَتَنا واسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنا دِماؤُهُمْ وأَمْوالُهُمْ إِلاَّ بِحَقِّها وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ".** | 214 | **392** |
| **"مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الذِي لَـهُ ذِمَّـةُ اللَّهِ وذِمَّـةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ"** | 215 | **391** |
| **" مَنْ شَـهِدَ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَـا وَصَـلَّى صَلاَتَنا وأَكَلَ ذَبِيحَتَنـا فَهُوَ الْمُسْلِمُ، لَـهُ مَـا لِلْمُسْلِمِ وعلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ".** | 216 | **393** |
| **"إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ فَمَن أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفسٍ بُورِكَ لَـهُ فِيـهِ، وَمَن أَخَذَهُ بِإِشْرافِ نَفسٍ لَم يُبَارك لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَد الْعُلْيَا خَيرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلى".** | 216 | **3143** |

| | | |
|---|---|---|
| " لَمَّا نَزَلَ برَسُولِ اللهِ-ρ- طَفِقَ يَطْرَحُ خَميصَةً لَهُ عَلَى وَجهِهِ، فَإِذا اغتَمَّ بِهَا كَشَفَها عَن وَجهِهِ، فَقَالَ: وَهُوَ كَذَلِك "لَعنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائهِمْ مَسَاجِدَ ". | 217 | **436** |
| " كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ρ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، قَالَ: سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ، قالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدا كَثِيرا طَيِّبا مُبَارَكا فِيهِ...". | 217 | **799** |
| سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ، فَيَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَلْعَنُ الكُفَّارَ". | 218 | |
| " فهَلاَّ جارِيةً تُلاعِبُها وتُلاعِبُكَ؟، قلْتُ: إنَّ أبي تُوَفِّيَ وتَرَكَ بَناتٍ...". | 218 | **2309** |
| "إنَّ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ كَانَ بَينَهُم شَيْءٌ، فَخَرَجَ يُصلِحُ بَينَهُم فِي أُنَاسٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَحُبِسَ رَسُولُ الله – ρ – وَحَانَت الصَّلَاةُ، فجَاءَ بِلَالٌ...". | 219 | **1218** |
| " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمسٍ: شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ". | 219 | **8** |
| " كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصِّيامَ فإنَّهُ لِي وأنَا أُجْزِي بِهِ". | 221 | **1904** |
| "لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عليهِ لاستَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، ولَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا ولَوْ حَبْوا". | 222 | **615** |
| أراكَ تُحِبُّ الغَنَمَ والبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بالصَّلاَةِ فارْفَعْ صَوْتَكَ...". | 223 | **609** |
| جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ρيَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لاَ أَعقِلُ، فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ علَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ فَعَقَلْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ لِمَنِ المِيرَاثُ؟ إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلاَلَةٌ، فَنزلَتْ آيَةُ الفَرَائِضِ". | 223 | **194** |
| "إِنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: "أَتَتْهَا بَرِيرَةُ تَسْأَلُهَا فِي كِتَابَتِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتُ أَهْلَكِ وَيَكُونُ الْوَلاَءُ لِي، وَقَالَ أَهْلُهَا: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتِهَا مَا بَقِي". | 225 | **456** |
| قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاَةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلاَنٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ -ρ- فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، ...". | 225 | **90** |
| " إِنَّ عِفْرِيتاً مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ البَارِحَةَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَها لِيقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلاَةَ، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنهُ، فَأَرَدْتُ إِنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سارِيةِ مِنْ سَوَارِي ..." | 226 | **461** |
| "صَلَّيْنَا مَعَ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ الظُّهْرَ ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَنَسِ بنِ مالِكٍ فَوَجَدْنَاهُ يُصَلِّي العَصْرَ، فَقُلْتُ: يَا عَمِّ مَا هَذِهِ الصَّلاَةُ الَّتِي صَلَّيْتَ؟ قَالَ: العَصْرُ...". | 226 | **549** |
| اقْتسِمَ المهَاجِرونَ قرْعَةً، فطَارَ لَنَا عُثْمَان بْن مَظْعونٍ، فأنزلْنَاه فِي أبيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي توفِّيَ فِيهِ، فَلَمَّا توفِّيَ وَغسِّلَ وكُفِّنَ فِي أثْوَابِهِ...". | 227 | **7003** |

## قائمة المصادر والمراجع


ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت630هـ): اللباب في تهذيب الأنساب، د.ط، د.ت، دار صادر – بيروت.

ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني( ت 637هـ ):المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت. محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشربيروت، 1420.

الإسكندراني، أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي ( ت 683هـ): المتواري علي تراجم أبواب البخاري، د.ط، ت، صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا – الكويت.

الإشبيلي، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد ( ت 696هـ): الممتع الكبير في التصريف، ط1، د.ت، مكتبة لبنان، 1969.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ( ت 745هـ) : البحر المحيط في التفسير، د. ط، ت. صدقي محمد جميل ، دار الفكر– بيروت، 1420 هـ.

أنيس، إبراهيم ( 1977): الأصوات اللغوية ، ( د.ت) ، (د.ط)، مطبعة نهضة، مصر.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت256هـ): صحيح البخاري، ط2، د.ت، دار الفجر للتراث– القاهرة، 2009م.

بشر، كمال ( 2015): علم الأصوات، ( د.ت) ، ( د.ط) ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000.

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ( ت 463هـ): تاريخ بغداد، ط1، تح. دكتور بشارعواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 2002 م.

البغدادي، قدامة بن جعفر( ت 337هـ) : نقد الشعر، ط1، : مطبعة الجوائب – قسطنطينية.

البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر (ت 885 هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، د.ت، د.ط، دار الكتاب الإسلامي– القاهرة،1948 م.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب ( ت 255هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ): أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني – جدة.

الجرجاني،علي بن محمد بن علي (ت 816هـ): التعريفات، ط1، ت. ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، 1983.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ( ت471هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني، ط3، ت. محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني – جدة.

ابن جني، أبو الفتح عثمان( ت 392هـ): الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العربية للكتاب.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد ( ت 393هـ):الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، ت. أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت– 1987 م.

الحريري، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان (ت 516هـ) :درة الغواص في أوهام الخواص، ط1، ت. عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، 1998هـ.

حسن، عباس ( ت1398هـ): النحو الوافي، ط15، د.ت، دار المعارف.

الحملاوي، أحمد بن محمد ( ت 1351هـ): شذا العرف في فن الصرف، ت. نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد –الرياض.

الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد(ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط1، ت. محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت.

الحموي، ابن حجة، تقي الدين أبو بكر ( ت837هـ): خزانة الأدب وغاية الأرب، ت. عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال–بيروت، 2004م.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط1، ت. إحسان عباس دار صادر – بيروت.

الدّمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ( ت 774هـ): البداية والنهاية، ط1، ت. علي شيري، دار إحياء التراث العربي، 1988 م.

الذّهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ): تذكرة الحفاظ ، ط1، د.ت، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، 1998م.

الذّهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ( ت 748هـ): الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، ط1، ت: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية – مؤسسة علوم القرآن، جدة، 1992 م.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ): سير أعلام النبلاء، د.ط، د.ت، دار الحديث– القاهرة، 2006م.

الرّاجحي، عبده (2010): التطبيق الصرفي، د.ط، د.ت، دار النهضة العربية، بيروت.

الرّازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (606هـ): مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420.

الرّازي، أحمد بن فارس (ت 395): مقاييس اللغة، ت. عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979.

الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية.

الزجاجي، أبو القاسم ( ت337هـ): الإيضاح في علل النحو، ط3، تح. مازن المبارك، مكتبة النفائس– بيروت، 1979م.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله ( ت 794هـ): البرهان في علوم القرآن ، ط1، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعرفة– بيروت، 1957 م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ( ت 538هـ) : المفصل في صنعة الإعراب، ط1، ت. علي أبو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، 1993.

الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم ( ت 651هـ): البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، ط1، ت. خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، 1974م.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى ( ت1394هـ): زهرة التفاسير، د.ت، د.ط، دار الفكر العربي، ج2.

السامرائي، إبراهيم (2001): الفعل زمانه وأبنيته، ط3، د.ت، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.

السامرائي، فاضل صالح( 1977): معاني الأبنية العربية، ط2، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، 2007.

السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي ( ت 773 هـ): عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ط 1، ت. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 2003 م.

السعران، محمود( 1794): علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، د.ط، د.ت، دار النهضة العربية، بيروت.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر ( ت 626هـ): مفتاح العلوم، ط2، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، – 1987 م.

سلطان، منير: بلاغة الكلمة والجملة والجمل، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور ( ت 562هـ): الأنساب، ط1، ت: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1962 .

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر( ت 180هـ): الكتاب، ت. عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988.

السيد، عز الدين: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ( د.ت)، (د.ط)، دار الطباعة المحمدية، بالأزهر –القاهرة.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ( ت 911هـ):الإتقان في علوم القرآن، د.ط، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974 م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ( ت 911هـ)، طبقات الحفاظ، ط1، د.ت، دار الكتب العلمية ، بيروت1403.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ) : المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط1، ت. فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، 1998م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر( ت911هـ):معترك الأقران في إعجاز القرآن، ط1، ( د.ت)، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، 1988.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ( ت 911هـ): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، د.ط، ت. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر.

شرشر، محمد حسن: البناء الصوتي في البنيان القرآني، ط1، ( د.ت)، المطبعة المحمدية، القاهرة،1988.

الصاوي، مصطفى: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، د.ت، ط2، دار المعارف، مصر.

الصايغ، عبد العزيز( 411هـ): المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ط2، دار الفكر- بيروت، 2007.

الصعيدي، عبد المتعال (ت1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط17، مكتبة الآداب، 2005 .

الصغير، محمد حسين علي : الصوت اللغوي في القرآن، ط1، دار المؤرخ العربي- لبنان.

الطنطاوي، محمد (2017): تصريف الأسماء، ط6، 1408هـ.

عباس، فضل حسن(2011): البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، ط9،د.ت، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م.

عباس، فضل حسن(2011): البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، ط1، د.ت، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م.

العباسي، عبد الله بن محمد المعتز بالله (ت 296هـ): البديع في البديع، ط1، دار الجيل، 1990م.

ابن عبد ، ابن بطال أبو الحسن ت : (449هـ)، شرح صحيح البخارى لابن بطال، ط 2، ت. أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، 2003.

عتر، نور الدين : منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، 1997م.

عتيق، عبد العزيز ( ت 1396 ه): علم المعاني، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2009م.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر( ت 852هـ): تهذيب التهذيب، ط1، د.ت، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، 1326ه.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر ( ت 852ه): فتح الباري شرح صحيح البخاري ، د.ط ت. محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت 1973.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر ( ت 852ه): هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، د.ط، ت. الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1993.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت 359 هـ): الصناعتين، ت. علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت ، 1419ه.

العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم (ت 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1423 ه.

العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ( ت 855هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الفاخري، صالح سليم عبد القادر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية.

الفاكهي، عبد الله بن أحمد (972هـ): شرح كتاب الحدود في النحو، ط2، ت. د. متولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، 1993.

قاسم، حمزة محمد (1431هـ) : منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، 1990 م.

قباوة، فخر الدين: تصريف الأسماء والأفعال، ط2، د.ت، مكتبة المعارف، بيروت ، 1988هـ.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر ( ت 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، ط3، ت. محمد عبد المنعم خفاجي، : دار الجيل – بيروت.

القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك ( ت 923هـ): إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، ط7، د.ت، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.

ابن قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ( ت 751هـ) : بدائع الفوائد، د.ط، د.ت، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

كافي، أبو بكر: منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها ( من خلال الجامع الصحيح )، ط1، د.ت، دار ابن حزم بيروت، 2000 م .

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ): تفسير القرآن العظيم، ط2، تح. سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999.

مـالمبرج، برتيـل: علـم الأصـوات، تعريـب ودراسـة: عبـد الصـبور شـاهين، (د.ط)، مكتبـة الشباب، القاهرة، 1984.

المبـرد، محمـد بـن يزيـد (ت 285هـ): المقتضـب، ت. محمـد عبـد الخـالق عظيمـة، عـالم الكتب– بيروت.

المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ( ت 742ه): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط1 ت: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1980.

مسلم، مصطفى : مباحث في التفسير الموضوعي، ط4، د. ت، دار القلم، 2005.

المطعنـي، عبـد العظـيم إبـراهيم محمـد (ت 1429ه): خصـائص التعبيـر القرآنـي وسـماته البلاغية، ط1، مكتبة وهبة، 1992 م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على ( ت 711هـ): لسان العرب، ط 3، دار صادر – بيروت، 1414.

أبـو موسـى، محمـد: خصـائص التراكيـب دراسـة تحليليـة لمسـائل علـم المعـاني، ط7، مكتبـة وهبة– القاهرة.

أبـو موسـى، محمـد: شـرح أحاديـث مـن صـحيح البخـاري دراسـة فـي سـمت الكـلام الأول، ط1،د.ت، مكتبة وهبة، 2001.

أبـو موسـى، محمـد: الشـعر الجـاهلي دراسـة فـي منـازع الشـعراء، ط1، د.ت، مكتبـة وهبـة، القاهرة.

نهر، هادي: الصرف الوافي دراسات وصفية تطبيقية، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت 676هـ): الأذكار للنووي، ط1، د.ت، الجفان والجابي – دار ابن حزم للطباعة ،2004.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت1362هـ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ت. يوسف الصميلي المكتبة العصرية، بيروت.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ( ت 761هـ): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ت. يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ( ت 761هـ): شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، د.ط، ت: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد ( ت761هـ) : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط6، ت. د. مازن المبارك و محمد علي حمد اللهدار الفكر، دمشق، 1985.

ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي ( ت 643هـ): شرح المفصل، ط 1، قدم له الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2001.

**الرسائل الجامعية والدوريات.**


الحلبي، نور الدين محمد عتر: الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح، الناشر: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – الكويت، عدد 4 ،1985.

حماد، أحلام مطيع: رسالة ماجستير، الموصولات في صحيح البخاري دراسة تحليلية تطبيقية، الجامعة الإسلامية، غزة، 2016.

السيد، محمد يوسف هاشم: رسالة ماجستير، المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية لسورتي الأحزاب وسبأ، الجامعة الإسلامية– غزة، 2009.

العبيدي، زهراء خالد سعد الله:رسالة دكتوراة، دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، الموصل، مؤسسة الواحة، 2007.

محمد مختار، المفتي: التناسب البياني في السنة النبوية، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، لبنان، مج19، عدد 73، 2013.

مذكور، أحمد بن محمد:رسالة ماجستير،المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، جامعة أم القرى، السعودية، 2008.

المسعودي، منال حامد: رسالة دكتوراة، التناسب في تفسير الإمام الرازي دراسة في أسرار الاقتران جامعة أم القرى، السعودية.

مشاهرة، مشهور موسى مشهور: رسالة ماجستير، التناسب القرآني عند الإمام البقاعي دراسة بلاغية، الجامعة الأردنية، 2001.